توفيق الفتّاح العليم

في

تيسير خُطب رحموني سليم

الجزء الرّابع

السّيرة النّبويّة

(صحابة الرسول ﷺ)

جمعه

الشّيخ الفقيه الحاج سليم بن الطّاهر رحموني

إمام أستاذ خطيب ومُدَرِّس بمسجد التّجانيّة بمدينة بسكرة

-الجزائر-

السيرة النّبويّة

صحابة الرسول ﷺ

01- تحفة أهل التّصديق بالرَّوْض الأنيق المشتمل على بعض مناقب سيّدنا أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه رضاءًا هو به خليق

الحمد لله الذي كشف عن وجه عباده بنور هدايته القناع. وفتح لهم بأنواع العبرة في عوالمه البصائر والأسماع. وأورث مَنْ شاء منهم مقام الصّدّيقيّة الشامل للأفراد والأشفاع. فسبحانه من إله جعل خير هذه الأمّة بعد نبيّها سيّدَنا أبا بكر الصديق، شيخ الإسلام على التحقيق، ورفع مقامه على كل مقام بزيادة اليقين والتصديق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فيما أبدعه واخترعه. وأحسن إتقان ما أوجده واصطنعه. فغرس التصديق في الصّدّيق وجمعه. وفرّق بالفاروق بين الحقّ والباطل فدفعه. وألبس ذي النُّورَيْن لباس الحياء وأَوْدعه. وأعلى بسيّدنا عليّ منار الإسلام ورفعه. ونوّر قلب مَنِ اِتّبع آثارهم ونفعه. ونسأله تعالى أن يحشرنا مع هؤلاء الأربعة. وأشهد أنّ سيّدنا محمدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. أفاض عليه ربّه عظيم المهابة والجلالة. وهدى به الصراط السّويّ مَنِ اِختار إسعاده وإجلاله. ووفّق للسبق إلى إجابته أقواما كراما يُسِّروا لليُسرى. وجاهدوا في الله حقّ جهاده. فحُقّت لهم المثوبة والبشرى.

قد أفلح السالكون المهتدون بهِ * وفي غدٍ كلّنا حقّا نلوذ بهِ

عند الصراط وننجوا من تعطّبهِ * إن شئتُمُ أن تنالوا عزّ جانبهِ

صلّوا على المصطفى يا مؤمنين بهِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمد. مصباح النبوءة الأنور. وخطيب بساط العزّ الأكبر. المخصوص بالأوصاف الكاملة والمدد الأغزر. وعلى آله أغصان دوحة الشرف الأنضر. وصحابته الذين بايعوه على النصر. والنشاط في العسر واليسر. صلاة ننتفع بها في السر والجهر. ونكون بها مِمَّنْ توشّح بوشاح الحمد والشكر. ونُعطى بها من جزيل الفضل ما لا يدخل تحت حدٍّ ولا حصر. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ سِيَرَ الصالحين تتعطّر بها المجالس. وتنشرح لها القلوب. وتُهَذَّب بها النفوس، قال تعالى في سورة يوسف: ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)). وإنّ التاريخ الحقّ. والسيرة الصدق. تبدأ من سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن

الصدر الأوّل من صحابته الأبرار. الذين لم يشهد التاريخ مثلهم. مِمَّنْ قَوِيَ بالله عزمهم. وصدقت لله نواياهم. ففتحوا الدنيا في بضعِ سنين. وشادوا بالقرآن وآياته نظامًا جديدًا. وعالَمًا فريدًا. وهذا وربِّك الإعجاز في الإنجاز، نفوس صدقت في إيمانها. وأخلصت لله نياتها. قد صاغ الدين فضائلهم. وهذّب القرآن سجاياهم. فكانوا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى في سورة الأعراف: ((فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). فالواجب على المسلمين محبّتهم واحترامهم. ومعرفة فضلهم وسبقهم. والإستغفار لهم، كما قال تعالى في سورة الحشر: ((وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)). أيّها المسلمون. فهذه وقفة مع سيرة رجل من هؤلاء الأفذاذ. رجل لا كالرجال. عظيم القَدْر. رفيع المنزلة، جاهد في الله. وأنفق لله. وانتصر لله، نصر الرسول صلى الله عليه وسلم إذ خذله الناس، وآمن به إذ كفر به الناس، وصدّقه إذ كذّبه الناس. الذي في مثل هذا الشهر أعني شهر جمادى الثانية من سنة ثلاث عشرة للهجرة وافته المنية. إنّه أوّل مَنْ آمن من الرجال على الصحيح، إنّه الورِع الحيِيّ. الحازم الرحيم. التاجر الكريم، صاحب الفطرة السليمة من أدران الضلال، لم يُؤْثَر عنه أنّه شرب خمرًا قط، ولا سجد لصنم قط، ولم يأكل ربًا قط، ولم يكذب قط. لا في الجاهلية ولا في الإسلام، شبيهًا بالمصطفى عليه الصلاة والسلام. وأنعِم به من شبه. إنّه أفضل الصحابةِ علَى الإطلاقِ؛ الذي عانَقَتْ فضائِلُهُ السبْعَ الطِّباقَ. إنّه سيّدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، فهوَ الصحابيُّ الذي لَزِمَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في الليلِ والنهارِ، وصَحِبَهُ في جميعِ الغَزَواتِ والأَسْفارِ، ويكفِيهِ فخراً ذِكْرُ العزيزِ الغفَّارِ. في سورة التوبة حيث قال: ((إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ)). وقَدْ سُمِّيَ سيّدنا أبو بكرٍ رضي الله عنه بالصدِّيقِ؛ لِكمالِهِ في الإيمانِ والتصديقِ، أخرجَ الحاكِمُ في مستدركه عَنْ أمّ المؤمنين السيّدة عائشةَ رضِيَ اللهُ عَنْها قالَتْ: لمأَّ أُسرِيَ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم إلى المسجدِ الأقصَى. أصبحَ يتحدَّثُ الناسُ بذلِكَ، فارتدَّ ناسٌ مِمَّنْ كانَ آمنُوا بهِ وصَدَّقوهُ، وسعَى رجالٌ مِنَ المشرِكينَ إلى أبي بكرٍ رضي الله عنه، فقالوا: هَلْ لكَ إلى صاحِبكَ؛ يزعُمُ أنَّه أُسرِيَ بهِ الليلةَ إلى بيتِ المقدسِ؟! فقالَ أبو بكرٍ: أَوَ قالَ ذلِكَ؟ قالوا: نَعَمْ. فقالَ أبو بكرٍ: لِئَنْ قالَ ذلِكَ؛ لَقَدْ صدَقَ. قالوا: أَوَ تصدِّقُهُ أنَّهُ ذهبَ الليلةَ إلى بيتِ المقدسِ؛ وجاءَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ؟! فقالَ أبو بكرٍ: نَعَمْ، إنيّ لأُصدِّقُهُ فِيما

هو أبعدُ مِنْ ذلِكَ، أصُدِّقُهُ في خَبَرِ السماءِ؛ في غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ. فَلِذلِكَ سُمِّيَ: أبو بكرٍ الصدِّيقَ. كما لُقِّبَ رضي الله عنه مِنْ قِبَلِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بالعَتيقِ، فقَدْ أخرجَ الترمذيُّ عَنْ السيّدة عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها: أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه دخلَ على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقالَ: أنتَ عَتيقُ اللهِ مِنَ النارِ، فيومَئذٍ سُمِّيَ عَتيقاً. يلتقي نسبه رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجدّ السادس: مُرَّة بن كعب، وُلِدَ رضي الله عنه بعد عام الفيل بسنتين وستّة أشهر. ونشأ نشأة كريمة طيّبة في حضن أبوين لهما الكرامة والعزّ في قومهم. وعندما نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ يدعو الأفراد إلى الله. وقع أوّلُ اختياره على الصدّيق رضي الله عنه، فهو صاحبه الذي يعرفه قبل البعثة بدماثة خُلُقه وكريم سجاياه، فلم يتردّد لحظة في تصديقه والإيمان به. وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: ((ما عرضتُ هذا الأمر على أحد إلا كانت منه كَبْوَةَ وتردّد. إلاّ ما كان من أبي بكر، ما إنْ عرضتُ عليه الأمر حتى صدّقني وآمن بي)). لهذا كان الصدّيق رضي الله عنه أوّلَ مَنْ أسلم من الرجال الأحرار. وكانت أوّل ثماره الدعوية دخول صفوة من خيرة الخلق في الإسلام، وهم: الزبير بن العوّام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن مظعون، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنهم. وجاء بهؤلاء الصحابة الكرام فرادى فأسلموا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا الدعامات الأولى التي قام عليها صرح الدعوة الإسلامية، وليس من الصحابة مَنْ أسلم أبوه وأمّه وأولاده وأدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وأدركه أيضًا بنو أولاده. إلا سيّدنا أبو بكر رضي الله عنه. من جهة الرجال والنساء، فكلّهم آمنوا بالنبيّ صلى الله عليه وسلم وصحبوه. فهذا سيّدنا عبد الله بن الزبير، أمّه أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة، فهؤلاء الأربعة صحابة متناسلون، رضي الله عنهم. أيّها المسلمون، كان سيّدنا أبو بكر رضي الله عنه رجلاً تاجراً. فلمّا أسلم صار يشتري بماله كلَّ مَنْ أسلم من العبيد والإماء ثم يعتقهم. حتى أعتق عشرين من السابقين الأوّلين. منهم سيّدنا بلال رضي الله عنه. ويكفي الصّدّيق شرفاً أنّ الله تعالى وَصَفَه في كتابه العزيز بالتقوى والإخلاص. وبيّن سبحانه أنّه عنه راضٍ. وذلك في سورة الليل. قال تعالى: ((وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى))، حكى ابن كثير إجماع المفسرين على أنّها نزلت في سيّدنا أبي

بكر الصّدّيق رضي الله عنه. وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض مواقفه المشرقة. منها قوله تعالى في سورة فصّلت: ((إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ))، ذكر القرطبي في تفسيره عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر، ذلك أنّ المشركين قالوا: ربنا الله والملائكة بناته وهؤلاء شفعاؤنا. ولم يستقيموا. وقال أبو بكر: ربنا الله وحده لا شريك له، ومحمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله. فاستقام. ومِمَّا نزل فيه أيضاً قوله تعالى في سورة النور: ((وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))، ورُوِيَ عن الحسن البصري رضي الله عنه أنّه قال: إنّ الله تعالى عاتب جميع الناس في النبيّ صلى الله عليه وسم. إلاّ أبا بكر فإنّه أخرجه من المعاتبة. بقوله في سورة التوبة: ((إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا))، ومِمَّا نزل تصديقا لبعض مواقفه المشرقة. قوله تعالى في سورة آل عمران: ((لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ))، وذلك أنّ النبي صلّى الله عليه وسلم كتب إلى يهود بنى قينقاع، يدعوهم إلى الإسلام، وإلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن يقرضوا الله قرضا حسنا، فقال رجل منهم: إنّ الله فقير سألنا القرض؟! فلطمه الصّدّيق رضي الله عنه على وجهه. وقال: لو لا ما بيننا من العهد لضربت عنقك، فشكاه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم. فقال له عليه الصلاة والسلام: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: يا رسول الله، إنّ عدوّ الله قال قولا عظيما، زعم أنّ الله فقير، وهم أغنياء، فجحد اليهودي ما قال، فنزلت الآية تكذيبا له. وتصديقا لسيّدنا أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه. أيّها المسلمون، إنّ فضائِل الصّدّيقِ رضي الله عنه كثيرةٌ. ومناقِبُه وفيرةٌ، فمِنْها: أنَّه ما سابَقَه مُسابِقٌ في مَيْدانِ الفضائِلِ، سواءٌ ما كانَ في مَيْدانِ المسابقةِ في صالِحِ الأعمالِ، أوْ في مَيْدانِ المسارعَةِ في إنفاقِ الأموالِ. فقد أخرجَ البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هريرةَرضي الله عنه قالَ: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ أصبحَ مِنْكُمُ اليومَ صائِماً؟ قالَ أبو بكرٍ: أنا. قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: فمَنْ تبِعَ مِنْكُمُ اليومَ جِنازةً؟ قالَ أبو بكرٍ: أنا. قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: فمَنْ أطعمَ مِنْكُمُ اليومَ مِسْكيناً؟ قالَ أبو بكرٍ: أنا. قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: فمَنْ عادَ مِنْكُمُ اليومَ مَرِيضاً؟ قال أبو بكرٍ: أنا. فقالَ رسولُ اللهِ صلى

الله عليه وسلم: ما اجتمَعْنَ في امْرِئٍ إلا دخَلَ الجنَّةَ))، فثبَتَ أنَّ صِدّيقَ الأمَّةِ مِنْ أهْلِ الجنَّةِ بِلا ارتيابٍ، وَمِنْ فَضَائِلِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَنْفَقَ مَالَهُ كُلَّهُ فِي سَبِيلِ اللهِ لَمَّا حَثَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ مَرَّةٍ عَلَى النَّفَقَةِ. فقد روى التِّرْمِذِيُّ عن سيّدِنا عُمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عِنْدِي. فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْماً. قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟). قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ. فَقَالَ: (يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟). فَقَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسولَهُ! قَالَ عُمَرُ قُلْتُ: وَاللهِ لا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدَاً. أيّها المسلمون، لِذا فقَدْ استحقَّ الصدِّيقُ رضي الله عنه أن تُقابَلَ صِدِّيقِيَّتُهُ بالصِّدْق في الوفاءِ والوَلاءِ، وأنْ يَصْدُقَهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم في المحبَّةِ والإخاءِ، فمصداقُ صِدْقِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الحبِّ والوفاءِ. ما أخرجَهُ البخاريُّ ومسلمٌ عَنْ سيّدنا عمرِو ابنِ العاصِ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بعثَهُ على جيشِ ذاتِ السلاسِلِ، قالَ: فأتيتُهُ فقلتُ: أيُّ الناسِ أحبُّ إليكَ؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عائشةُ. قُلْتُ: مِنَ الرجالِ؟ قالَ: أَبوها. ومِصْداقُ صِدْقِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الولاءِ والإخاءِ. ما أخرجَهُ البخاريُّ في صحيحِهِ عَنْ أبي الدَّرْداءِ رضي الله عنه قالَ: كنتُ جالِساً عِنْدَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم إذْ أقبلَ أبو بكرٍ رضي الله عنه آخِذاً بِطَرَفِ ثوبِهِ. حتى أبدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فقالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: أمَّا صاحِبُكُمْ فقَدْ غامَرَ. فسَلَّمَ وقالَ: إنّي كانَ بَيْنِي وبينَ ابنِ الخطابِ شيءٌ، فأسرَعْتُ إليهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فسألتُهُ أنْ يغفرَ لِي؛ فأبَى علَيَّ، فأقبَلْتُ إليكَ. فقالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "يغفِرُ اللهُ لكَ يا أبا بكرٍ، يغفرُ اللهُ لكَ يا أبا بكرٍ، يغفرُ اللهُ لكَ يا أبا بكرٍ. ثُمَّ إنَّ عمرَ نَدِمَ فأتَى مَنْزِلَ أبي بكرٍ، فسألَ أَثَمَّ أبو بكرٍ؟ فقالوا: لا. فأتَى إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فجعلَ وجْهُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم يتمعَّرُ، حتَّى أشفَقَ أبو بكرٍ فجَثا على ركبتَيْهِ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ؛ واللهِ أنا كنْتُ أظْلَمَ، واللهِ أنا كنتُ أظلمَ، فقالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: إنَّ اللهَ بعثَنِي إليكُمْ، فقلْتُم: كذَبْتَ، وقالَ: أبو بكرٍ صدَقَ، وواسانِي بنفسِهِ ومالِهِ، فهلْ أنتمْ تارِكُوا لِي صاحِبِي، فهلْ أنتمْ تارِكُو ا لي صاحِبي، فَما أُوذِيَ أبو بكرٍ بَعْدَها. أيّها المسلمون، وَمِنْ فَضَائِلِ ومناقب سيّدِنا أَبي بَكْرٍ الصِّدّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنّه أَوَّلُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الذين أُمِرْنَا أَنْ نَقْتَدِيَ بِهِمْ. فقد روى أبو داود والترمذي عن الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ

الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ). وَاسْتَقَرَّ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ دُونَ مُنَازِعٍ، وَلَقَّبَهُ الْمُسْلِمُونَ بِخَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وخلافته رضي الله عنه منصوص عليها. ففي الصحيحين عَنْ أمّ المؤمنين السيّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا مَرِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَضَهُ الذِي مَاتَ فِيهِ. أَتَاهُ بِلالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلاةِ. فَقَالَ: مُروا أَبا بَكْرٍ فَلْيُصَلّ. قُلْتُ: إنَّ أبا بكرٍ رجلٌ أَسِيفٌ. وَفِي رِوَايَةٍ: رَجُلٌ رَقِيقٌ. إنْ يَقُمْ مَقامَكَ يَبْكِي فَلا يَقْدِرُ عَلَى الْقِراءَةِ. قَالَ: مُروا أَبا بكرٍ فلْيُصلّ. فقلتُ مِثْلَهُ: فقال في الثالثةِ أَوِ الرابعةِ: (إنَّكُنَّ صَواحِبُ يوسفَ! مُروا أَبا بكرٍ فلْيُصلّ). فَصَلَّى. لذا قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَفَلا نَرْضَى لِدُنْيَانَا مَنْ رَضِيَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِدِينِنَا؟ وَمِنْ أَعْظَمِ أَعْمَالِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ التِي قَامَ بِهَا بَعْدَ تَوَلِّيهِ الْخِلافَةِ حَرْبُ الْمُرْتَدِّينَ! فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ. وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنْ الْعَرَبِ. قَالَ عُمَرُ: يَا أَبَا بَكْرٍ كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ. فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ. وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا. قَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ. لَقَدْ سُجِّلَ هَذَا الْمَوْقِفُ الصَّلْبُ الْقَوِيُّ لِسيّدنا أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. حَتَّى قِيلَ: نَصَرَ اللهُ الإِسْلامَ بِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَ الرِّدَّةِ، وَبِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَل يَوْمَ الْفِتْنَةِ! فَحَارَبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْمُرْتَدِّينَ وَمَانِعِي الزَّكَاةِ، وَقَتَلَ اللهُ مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابَ فِي زَمَانِهِ . وَفِي عَهْدِهِ فُتِحَتِ الشَّامُ وَالْعِرَاقِ! وَفِي عَهْدِهِ جُمِعَ الْقُرْآنُ، حَيْثُ أَمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ زَيْدَ بْنِ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. أَنْ يَجْمَعَ الْقُرْآنَ! وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَرِعاً زَاهِداً فِي الدُّنْيَا. حَتَّى لَمَّا تَوَلَّى الْخِلافَةَ خَرَجَ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ فَرَدَّهُ سيّدنا عُمَرُ رضي الله عنه. وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يُجْرُوا لَهُ رَزْقاً مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. نَظيرَ مَا يَقُومُ بِهِ مِنْ أَعْبَاءِ الْخِلَافَةِ! وكانت مدّة خلافته رضي الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وثلاثة أيّام. ولمّا اشتدّ به مرض وفاته. قيل له: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني فقال: إنّي فعّال لِمَا أُريد. وقيل: إنّ سبب وفاته رضي الله عنه كَمَدٌ أيْ حُزْنٌ مكتوم أصابه من كثرة وَجْده على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفي. وما زال يُذيب جسمه حتى توفي رضي الله عنه وأرضاه. يَوْم الإِثْنَيْنِ فِي جَمَادى الثانية سَنَةَ ثَلاثَ عَشَرَةَ

مِنَ الْهِجْرَةِ، وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ سَنَة. وصلّى عليه سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان قد أوصى رضي الله عنه أن تُحمَل جنازتُه ويُستَأذَن بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإن انفتح الباب من غير مفتاح أدخلوه. ودفنوه إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإلاّ ردّوه إلى البقيع. قال سيّدنا علي كرّم الله وجهه ورضي عنه: ما أتْمَمْتُ كلامي حتى انفتح الباب من غير مفتاح. وإذا منادٍ ينادي: أدخلوا الحبيبَ إلى الحبيب. إنّ الحبيبَ إلى الحبيب مشتاقٌ. أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ. هَذَا غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ. وَقَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ. مِنْ فَضَائِلِ ومناقب هَذَا الصّدّيق. والخليفة الشفيق. رضي الله عنه وأرضاه. وجعل في حضيرة القدس متقلَّبه ومثواه. ونختم كلامنا بتوسّل الإمام البوصيري رحمه الله بسيّدنا أبي بكر رضي الله عنه في همزيّته حيث قال:

بِأَبِي بَكْرٍ الذِي صَحَّ لِلنَّا * سِ بِهِ فِي حَيَاتِكَ الإِقْتِدَاءُ

وَالْمُهَدِّي يَوْمَ السَّقِيفَةِ لَمَّا * أَرْجَفَ النَّاسُ إِنَّهُ الدَّأْدَاءُ

أَنْقَذَ الدِّينَ بَعْدَ مَا كَانَ لِلدِّيـــ*ـــنِ عَلَى كُلِّ كُرْبَةٍ إِشْفَاءُ

أَنْفَقَ الْمَالَ فِي رِضَاكَ وَلاَ مَـــ*ـــنٌّ وَأَعْطَى جَمّاً وَلاَ إِكْدَاءُ

فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا. ونفعنا ببركته. وملأ قلوبنا بمحبّته، وحشرنا في زمرته. اللهم اجعلنا مِمَّنْ قلت فيهم: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءوف رَحِيمٌ)). بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

02- فتْحُ المَلِكِ الوهّاب وقُرَّةُ عيْنِ الأحباب في معرفةِ بعضِ مناقبِ سيّدِنا عمر بنِ الخطاب أدام الله رضوانَه عليه بغير حساب

الحمد لله الذى عمّت آلاؤه جميع المخلوقات. فأبى أكثر الناس إلاّ كفورا. ونصب من الآيات البيّنات الباهرات ما دلّ على وحدانِيّته. فعمِيَت بصائر الكافرين والمنافقين فما زادهم إلاّ نفورا. وبصّر المؤمنين في التفكير في آياته. فأشرقت قلوبهم بالإيمان به مَنًّا منه وتيسيرا. فسبحانه من إله نشرَ بقدرتِهِ البَشَرَ، وصرَّفَ

بحكمِتهِ القَدَر. وابتَعَث سيّدَنا محمّدا صلّى الله عليه وسلَّم إلى كافّة الناس. مِنْ عُرْبٍ وعَجَمٍ وبَدْوٍ وحَضَرٍ. فابتُلِيَ في بداية النبوّة بِمَن كفر. حتى دخل دار الأرقم فاختفى واستتر. إلى أن أعزّ اللهُ الإسلامَ بإسلامِ سيّدِنا عُمَر.

فأسلم إسلاما تعاظم أمْرُه * فكبّر أهلُ الدار طُرًّا وهَيْنَمُوا

وقال له يا خيرَ مَنْ وَطِئَ الحصا * أباطِيلُهُمْ تبدو وحقُّك يُكْتَمُ

قُمِ الآن فاظهِرْ دينَ ربّك مُعْلِناً * ودعني لهم كَلاًّ ولا تخش منهُمُ

فقام رسولُ الله وهو أمامَه * فأظلم نادي الشّرك لَمّا تقدّموا

فضائلُه جلّت عن الحصر والمدى * ومن بعضها ما ذكرتُ إليكُمُ

عليه سلام الله ما سحّ هاطلٌ وما سجعت وَرْقاءُ والليل مظلِمُ

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له؛ فرَّقَ بينَ الكفرِ والإسلامِ بفاروقِهِ، ونشرَ التوحيدَ بعدَ ظهورِ الشركِ وبُروقِهِ، فظهرَ دينُ الحقِّ علَى الدِّينِ كلِّهِ وقامَ علَى سُوقِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. وصفيّه مِنْ خَلْقه وخليله. خيرُ مَنْ تواطأت القلوب على طاعته وحبّه. وأفضلُ مَنِ اشتاقت النفوس إلى مجاورته وقُرْبِه. الذي مِنْ مناقب وزيره سراجِ أهلِ الجنّة. وناصرِ الدين والسّنّة. ما رُوِيَ عنه صلى الله عليه وسلَّم أنّه قال: ((اللهم اهْدِ عُمَر. اللهم أعِزَّ الإسلام بعمر بنِ الخطاب)).

إخواني: إذا أرادتم في القيامة بهجة الأنوار. ورغِبتم في السلامة من هذه الدار. صلّوا على هذا النبيّ المختار. تفوزوا بقُرْبه في دار القرار. اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدِنا محمّد. الذي ما رأت العيونُ أحسن من طلعته البهية. وعلى آله ذوي الأجسام الطاهرة والقلوب النورانية. وصحابته أهلِ الأحوال الربانية والكشوفات العيانية. صلاة تنوّر بها بصائرنا بأنوار الفتوحات العرفانية. وتروي بها أفئدتنا من مواهب العلوم اللدنية. ولطائف الأسرار الرحمانية. وتختِم بها لنا برؤية وجه نبيّك سيّدِنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل فوات الأَجَل وحلولِ المنيّة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ سِيرَة الصالحين تتعطَّر بها المجالس. وتنشرِح لها القلوب. وتُهذَّب بها النفوس، قال تعالى في سورة يوسف: ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ)). إذ النّفوس لَتَكِلُّ عن العمل،

وتفترُ عن الطاعة، كما تكلُّ الأبدانُ وتفترُ، وإنّ ممّا يبعثُ نشاطَها. ويزيدُ قوّتَها ويقوّي يقينَها. قراءةُ سِيَرِ الصالحين. ومعرفةُ أحوالِهم؛ ولذلك قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لَسِيَرُ الصالحين أحبُّ إلينا من كثيرٍ من الفقه. وفي تاريخنا الطويل من بعثة نبيّنا سيّدِنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا الحاضر. عِبَرٌ ودروس في أحداث الزمان وسِيَرِ العظماء. وأوّل ما يتّجه إليه النظر في هذا التاريخ الطويل. سيرة أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم، فهم أفضل الخلق بعد الأنبياء، وهم الهداة المهتدون. الذين عرفوا الحق وبه كانوا يعملون، لم يأت ولن يأتِيَ مثلهم في الناس، وهم الصفوة من قرون هذه الأمّة. التي هي خيرُ الأمم وأكرمُها على الله، لهم من الفضائل ما ليس لغيرهم، ولهم من السبق والإيمان ما لو وُزِن بإيمان أهل الأرض لَوَزَنَهم، روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلبَ سيّدِنا محمّدٍ صلى الله عليه وسلم خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعدَ قلب سيّدِنا محمّد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوبَ أصحابه خيرَ قلوب العباد، فجعلهم وزراءَ نبيّه، يقاتِلون على دينه. ورحم الله الإمام البوصيري إذ يقول في همزيّته متوسّلا بفضائل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وَبِأَصْحَابِكَ الذِينَ هُمُ بَعْـ*ـــدَكَ فِينَا الهُدَاةُ وَالأَوْصِيَاءُ

أَحْسَنُوا بَعْدَكَ الْخِلاَفَةَ فِي الدِّيـ*ـنِ وَكُلٌّ لِمَا تَوَلَّى إِزَاءُ

أَغْنِيَاءٌ نَزَاهَةً فُقَرَاءُ * عُلَمَاءٌ أَئِمَّةٌ أُمَرَاءُ

زَهِدُوا فِي الدُّنَا فَمَا عُرِفَ الْمَيْـ*ـلُ إِلَيْهَا مِنْهُمْ وَلاَ الرَّغْبَاءُ

أَرْخَصُوا فِي الْوَغَى نُفُوسَ مُلُوكٍ * حَارَبُوهَا أَسْلاَبُهَا إِغْلاَءُ

كُلُّهُمْ فِي أَحْكَامِهِ ذُو اجْتِهَادٍ * وَصَوَابٍ وَكُلُّهُمْ أَكْفَاءُ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ وَرَضُوا عَنْـ*ـــهُ فَأَنَّى يَخْطُو إِلَيْهِمْ خَطَاءُ

جَاءَ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ بِحَقٍّ * وَعَلَى الْمَنْهَجِ الْحَنِيفِيِّ جَاءُوا

مَا لِمُوسَى وَلاَ لِعِيسَى حَوَارٍ * يُّونَ فِي عَدِّهِمْ وَلاَ نُقَبَاءُ

فالواجب على المؤمنين محبّتُهم واحترامُهم ومعرفةُ فضلِهم وسبْقِهم والإستغفارِ لهم، حتى نكون من الذين قال الله فيهم كما في سورة الحشر: ((وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءوف رَحِيمٌ)). أيّها المسلمون. إنّ سيرة كلّ عظيم منهم عِظَة وعِبْرة، وفي اقتفاء أثر أحدِهم هداية، وفي الحِياد عن طريقِهم غِواية. وإنّنا اليوم على موعِد مع واحدٍ من هؤلاء العظماء، الذي عانَقَتْ فضائِلُهُ عَنَانَ السماءِ. وعَلَمٌ مِنْ أعلامِ الأُمَّةِ النُّبلاءِ؛ صائم إذا ذُكِرَ الصّائمون، وقائم إذا ذُكِرَ القائمون، وبطَل مِغْوار إذا ذُكِرَ المجاهدون. إذا ذُكِرَ الخوف قيل كان له خطّان أسْوَدان من البكاء، وإذا ذُكِرَ الزّهد والإيثار قيل لم يكن يأكل حتى يشبَع المسلمون، وإذا ذُكِرَت الشدّة في الحقّ. قيل هو الذي كان إبليس يَفْرَق من ظِلِّه، والشياطين تَسْلُك فجًّا غيرَ فجّه. وَلِيٌّ من أولياء الله الصالحين، وخليفة من خلفاء المسلمين، إنّه شهيد المحراب، الذي في مثل هذا الشهر. أعني في السادس والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة. قُتِل شهيدا وهو يصلّي الفجر بالناس على يَدِ مَنْ لم يسجد لله سجدة، إنّه الفاروقُ سيّدُنا عمرُ بنُ الخطاب. صاحبُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ورفيقُه في دعوتِه وجهادِه، والخليفةُ الراشدُ بَعْد وفاةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وصاحبِه. رضي الله عنه وأرضَاهُ. أيّها المسلمون، إذا أردنا أن نتحدّث عن سيرة سيّدنا عمر فبماذا وعن ماذا نتحدّث؟! أنتحدّث عن دينه وعِلْمه، أم نتحدّث عن زهده وورعه وتقواه، أم عن حُكْمه وسياسته وعدْله، أم عن شجاعته وقوّته وجهاده، أم عن محافظته على سنّة النبي صلى الله عليه وسلم والتمسّك بها. وتأديب كلّ مَنْ حاول الإحداث في الدين، أم عن سهره ومراقبته لكل ما يحدث في البلاد. ومتابعته بنفسه لكل صغيرة وكبيرة؟! حقًّا إنّك لتحتار وأنتَ تتحدَّث عن سيّدنا عمر رضي الله عنه! يجتمع نسبه رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي بن غالب، كان رضي الله عنه رجلا طويلاً جسيماً. أصلع أسمر، وكان لفرط طوله يركب الدابة فيرفع رجليه عن الأرض. لئلا تمسّ رجلاه الأرض وهو راكب. ولذا كان يقال له: الراجل الراكب. وكان يجيد الكتابة بكلتا يديه، وكان رضي الله عنه في الجاهلية سفير قريش لدى القبائل إذا وقع بينهم حرب أو مفاخرة. أمّا أوّل شعاعة من نور الإيمان لامست قلبَه يوم رأى نساء قريش يتركن بلدهنّ ويرحلن إلى بلد بعيد عن بلدهنّ. بسبب ما لقين منه ومن أمثاله، فرقّ قلبُه، وعاتبَه ضميرُه، فرثى لهنّ، وأسمعهنّ الكلمة الطيّبة التي لم

يكنّ يطمعن أن يسمعن منه مثلها. قالت أم عبد الله بنت حنتمة: لما كنّا نرتحل مهاجرين إلى الحبشة أقبل عمر حتى وقف عليّ، وكنّا نلقَى منه البلاء والأذى والغلظة علينا، فقال لي: إنّه الإنطلاق يا أمَّ عبدِ الله؟ قلت: نعم، واللهِ لنخرجنّ في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجًا، فقال عمر: صحبكم الله، ورأيتُ منه رِقَّة لم أرها قط. فلمّا جاء عامر بن ربيعة وكان قد ذهب في بعض حاجته وذكرتُ له ذلك فقال: كأنّكِ قد طمعتِ في إسلام عمر؟ قلت له: نعم، فقال: إنّه لا يُسْلِم حتى يسلم حمار الخطاب. وبعد هذه الحادثة بقليل أسلم سيّدنا عمر بسبب بركة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم. فقد كَانَ يَدْعُو أَنَ يُعِزَّ اَللهُ بِهِ الإسلام، فَاستَجَابَ اَللهُ دُعَاءَهُ. أخرجَ الإمام أحمدُ والترمذيُّ عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ رضِيَ اللهُ عنهما أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: ((اللهمَّ أَعِزَّ الإسلامَ بِأحبِّ هَذَيْنِ الرجليْنِ إليكَ: بأبي جهلٍ؛ أوْ بعمرَ بنِ الخطابِ، وكانَ أحبَّهما إليهِ: عمرُ)). قالت السيّدة عائشة رضي الله عنها كانت دعوة النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء فأسلم عمر يوم الخميس. وأخرج أبو نُعَيْم في الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنّه بعد أنْ أسلم قال: يا رسول الله، ألسنا على الحقّ إنْ مِتْنا وإن حَيِينا؟! قال: ((بلى، والذي نفسي بيده إنّكم على الحقّ، إن مِتُّم وإن حييتم))، قال: ففيمَ الإختفاء؟! والذي بعثك بالحقّ لَتَخرُجَنّ. فأَذِن بالإعلان، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفَّيْن، عمر في أحدهما، وحمزة في الآخر حتى دخل المسجد، فنظرت قريش إلى عمر وحمزة فأصابتهم كآبة لم تصبهم قطّ، وسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق. أي الذي يُفَرِّق بين الحقّ والباطل. وفي غزوة بدر كنّاه النبيُّ صلى الله عليه وسلم بأبي حفص. أسلم رضي الهّ عنه في شهر ذي الحجة من السنة السادسة من البعثة النبوية، وهو ابن سبع وعشرين سنة، وكان إسلامه بعد إسلام سيّدنا حمزة رضي اله عنه بثلاثة أيام، وكان المسلمون يومئذ تسعة وثلاثين فكمّلهم أربعين. وصحّ أنّه لمّا أسلم نزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمّد قد استبشر أهل السماوات بإسلام عمر. ونزل قولُ تعالى في سورة الأنفال: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)). وأخرج ابن هشام في سيرته وابن سعد في طبقاته عن عبد الله بن مَسعُودٍ رضي الله عنه أنّه قال: كَانَ إِسلامُهُ فَتحًا، وَهِجرَتُهُ نَصْرًا، وَكانت إِمارَتُهُ رَحْمَةً، وَلقد كُنَّا مَا نُصلِّي عِندَ الكَعبَةِ حَتى أَسلَمَ عُمَر. وقال أيضا كما في البخاري: ما زِلْنا أعِزَّةً منذ أَسْلَمَ عمر. ولما أراد رضي الله عنه الهجرة إلى المدينة المنوّرة.

أبى إلا أن تكون علانية، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما علمتُ أنّ أحدًا من المهاجرين هاجر إلا متخفيًّا إلاّ عمر بن الخطاب، فإنّه لما همّ بالهجرة تقلّد سيفه، وتنكّب قوسه، وانتضى في يده أَسْهُمًا، واختصر عَنْزَتَه، ومضى قِبَلَ الكعبة، والملأُ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعًا متمكِّنًا، ثم أتى المقام، فصلّى متمكِّنًا، ثم وقف على الْحِلَقِ واحدة واحدة، فقال لهم: شاهت الوجوه، لا يُرغِمُ اللهُ إلاّ هذه المعاطس، مَنْ أراد أنْ تَثْكِلَه أُمُّه ويُوتِم ولدَه أو يُرَمِّل زوْجَه فليلقني وراء هذا الوادي. قال عليّ رضي الله عنه: فما تبعه أحد. أيّها المسلمون. إذا رُمْتُمْ معرِفَةَ شُموخِ هامَةِ عِلْمِهِ؛ ورُسوخِ قَدَمِ فهمِهِ: فاسمعوا تأويلَ رُؤْيا المنامِ؛ التي رآها خيرُ الأنامِ؛ عليهِ أفضلُ الصلاةِ وأزْكَى السلامِ، ورؤيا الأنبياءِ حقٌّ لا أضغاثُ أحلام. فَقَدْ أخرجَ البخاريُّ عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ رضِيَ اللهُ عنهما قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: ((بَيْنا أنا نائمٌ أُتِيتُ بقَدَحِ لَبَنٍ، فشرِبْتُ حتَّى إنِّي لأَرَى الرِّيَّ؟ يخرجُ في أظفارِي، ثمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عمرَ بنَ الخطابِ. قالوا: فما أوَّلْتَهُ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: العِلْمَ)). وإنَّ مِنْ أماراتِ قُوَّتِهِ عِلْماً؛ وعلاماتِ حُجَّتِهِ فَهْماً: أنَّه كانَ مُحدَّثاً مُلْهَماً، أيْ يجري الصواب على لسانه من غير قصد، فقَدْ أخرجَ البخاريُّ عَنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((لقَدْ كانَ فِيمَنْ كانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إسرائيلَ رجالٌ يُكَلَّمونَ مِنْ غيرِ أنْ يكونوا أنبياءَ، فإنْ يكنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أحَدٌ فعمرُ)). قال الإمام النووي رحمه الله: في هذا الحديث إثبات كرامات الأولياء. وروى الجوهري في فوائده. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((قيل يا رسول الله وكيف يحدّث؟ قال تتكلّم الملائكة على لسانه)). ومِنْ آثارِ هذا التحديثِ. ما صحَّ في الحديثِ، مِنْ قولِ سيّدنا عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه: وافَقْتُ ربِّي في ثلاثٍ. فقلْتُ: يا رسولَ اللهِ؛ لَوِ اتَّخَذْنا مِنْ مَقامِ إبراهيمَ مُصلًّى، فنَزلَتْ: ((وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)). وآيةِ الحِجابِ، قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ؛ لَوْ أمَرْتَ نساءَكَ أنْ يَحْتَجِبْنَ، فإنَّهُ يُكلِّمُهنَّ البَرُّ والفاجِرُ، فنزلَتْ آيةُ الحِجابِ، واجتمَعَ نساءُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الغَيْرَةِ عليهِ، فقلْتُ لهنَّ: ((عسَى ربُّه إنْ طلقَكُنَّ أنْ يُبَدِّلَهُ أزواجاً خيراً مِنْكنَّ))، فنزلَتْ هذِهِ الآيةُ. أخرجَهُ البخاريُّ مِنْ حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه. ومن كراماته التي هي من قبيل هَذا التحديث والإلهام ما رواه البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وجّه عمر جيشا وأمّر عليهم رجلا يُدعى سارية. وجهّزه إلى بلاد فارس. فاشتدّ على عسكره الحال. وكاد المسلمون

ينهزمون. فصعِد عمر المنبر. وجعل ينادي بأعلى صوته: : يا سارية الجبل الجبل، وأسمع الله عزّ وجلّ سارية وجيوشه أجمعين صوته. وقالوا: هذا صوت أمير المؤمنين. فأسندوا ظهورهم إلى الجبل. فهزم الله العدو. وفتح على المسلمين. وكذلك ما رواه إمام الحرمين رخمه الله في كتابه الشامل: أنّ النّيل كان في الجاهلية لا يجري حتّى يلقى فيه عذراء في كلّ عام. فلمّا جاء الإسلام وجاء وقت جريان النّيل فلم يجر. أتى أهل مصر عمرو بن العاص فأخبروه أنّ لنيلهم سنّة وهو لا يجري حتى يلقى فيه جارية بكر بين أبويها ويجعل عليها من الحلل والثياب أفضل ما يكون. فقال لهم عمرو بن العاص رضي الله عنه: إنّ هذا لا يكون. وأرى الإسلام يهدم ما قبله. فأقاموا ثلاثة أشهر لا يجري قليلا ولا كثيرا. حتى همّوا بالجلاء. فكتب عمرو بذلك إلى عمر بن الخطاب. فكتب إليه عمر: قد أصبت إنّ الإسلام يهدم ما قبله. وقد بعثت إليك بطاقة فألقها في النيل. ففتح عمرو البطاقة قبل إلقائها. فإذا فيها: من عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر. أمّا بعد: فإن كنت تجري من قبلك فلا تجري. وإن كان الله الواحد القهّار هو الذي يجريك. فنسأل الله الواحد القهّار أن يجريك. فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب. وقد تهيّأ أهل مصر للجلاء والخروج منها. فأصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستّة عشر ذراعا في ليلة. أيها المسلمون، وهَذا التحديثُ والإلهامُ. ثمرةُ قِيامِهِ في الدِّينِ خيرَ قيامٍ، فقَدْ أخرجَ البخاريُّ ومسلمٌ مِنْ حديثِ أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((بَيْنا أنا نائِمٌ؛ رأيتُ الناسَ يُعْرَضونَ وعلَيْهِم قُمُصٌ، مِنْها ما يبلغُ الثَّدْيَ، ومِنْها ما يبلغُ دونَ ذلِكَ، ومرَّ عمرُ بنُ الخطابِ وعليهِ قميصٌ يجرُّهُ. قالوا: ماذا أوَّلْتَ ذلِكَ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: الدِّينَ)). وكان رضي الله عنه مِنْ أشدِّ المؤمنينَ غَيْرةً في الدِّينِ، فقَدْ أخرَجَ الشيخانِ البخاريُّ ومسلمٌ عَنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه عَنْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: ((بَيْنا أنا نائِمٌ إذْ رأيتُنِي في الجنَّةِ، فإذا امرأةٌ تتوضَّأُ إلى جانبِ قصرٍ، فقلْتُ: لِمَنْ هذا القصرُ؟ فقالوا: لِعمرَ بنِ الخطابِ، فذكرْتُ غَيْرَةَ عمرَ، فولَّيْتُ مُدْبِراً. قالَ أبو هريرةَ رضي الله عنه: فبكَى عمرُ رضي الله عنه ونحنُ جميعاً في ذلِكَ المجلسِ مَعَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ثمَّ قالَ عمرُ: بأبِي أنْتَ يا رسولَ اللهِ؛ أعليكَ أغارُ؟)). وقَدْ كانَ الشيطانُ يَفْرَقُ مِنْ إسمِهِ؛ وَيفِرُّ مِنْ رَسْمِهِ، فقَدْ أخرجَ البخاريُّ ومسلمٌ عَنْ سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بِيَدِهِ؛ ما لَقِيَكَ الشيطانُ قَطُّ سالِكاً فَجّاً إلاَّ سَلَكَ فَجّاً غيَر فَجِّكَ)). وحَسْبُ سيِّدِنا

عمرَ بنِ الخطابِ مِنْ هذَا الثناءِ. قولُ خاتَمِ الأنبياءِ. صلوات ربي وسلامه عليه بلا انتهاء. في الحديثِ الذي أخرجَهُ الإمام أحمدُ والترمذيُّ عن عُقْبةَ بنِ عامِرٍ رضي الله عنه أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: ((لَوْ كانَ بَعْدِي نَبيٌّ: لكانَ عمرَ بنَ الخطابِ)). أيها المسلمون، ما الذي أبثّه من سيرة سيّدنا عُمر؟! وما الذي أنشره من أخباره؟!

ما منْ حديث به المُخْتارُ يَفْتَخِرُ * إلا وكُنْتَ الذي يَعْنيه يا عُمرُ

يا راشدًا هَزَّتِ الْأجيالَ سيرَتُهُ * وبالميامين حصرًا تشْمَخُ السِّيَرُ

لك السوابقُ لا يحظى بها أحدٌ * ولم يَحُزْ مِثْلَها جِنٌّ ولا بَشَرُ

كمْ قُلْتَ رأْيًا حصيفا وانتفضتَ لهُ * ووافقتْكَ به الآياتُ والسُّوَرُ

قال ابن سعد في طبقاته: إنّ أَوّل مَن سُمّيَ بِأَمِيرِ المؤُمِنينَ، هو عمر بن الخطاب. وَهُوَ أَوّلُ مَن كَتَبَ التَارِيخ، كَتَبَهُ مِن هِجرَةِ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم إِلى المدينة المنوّرة، وَهُوَ أَوَّلُ مَن جَمَعَ القُرآن فِي المصحَف، وَهُوَ أَوَّلُ مَن جَمَعَ النَّاسَ عَلى قِيامِ شَهرِ رَمَضَان، وَهُوَ أَوّلُ مَن ضَربَ فِي الخمرِ ثَمَانِينَ جلدة. وَهُوَ أَوَّلُ مَن عَسَّ فِي عَمَلِهِ بِالمدينةِ، وَهُوَ أَوّلُ مَن فَتَحَ الفُتُوحَ؛ فَتَحَ العِراقَ كُلَّهُ وَأَذَرْبِجَانَ وَفَارِسَ. نعم، فتح فارس فلا نستغرب حِقْد الفرس عليه، وفتح الشَّامِ وَمِصرَ، وَهُوَ أَوّلُ مَن وَضَعَ الخراجَ عَلى الأَرضِ وَالجِزيَّةِ عَلى جَمَاجِمِ أَهلِّ الذِّمَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَن مَصّر الأَمصَارَ: الكُوفَةَ وَالبَصرة وَالمَوْصِل، وَأَنزَلَهَا العَرَبُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَن اِستَقضَى القُضَاةَ فيها وجعلها مدنًا، وَأَوَّلُ مَن دَوَّنَ الدَوَاوين، وَكَتَبَ لِلنَّاسِ عَلى قَبَائِلِهِم، وَهُوَ الذي أَخرجَ اليَهُودَ مِن جَزِيرَةِ العَرَبِ وفَتَحَ بَيتَ المقدِسِ، وَوَسَّعَ مَسجِدَ رَسُولِ اَللهِ صلى الله عليه وسلم وَفَرَشَهُ بِالحصَى. كَانَ رضي الله عنه بَارِعًا بِالخِلافَةِ والسِيَاسَةِ ساعيًا فيها للإصلاح، باشر أعماله بصفته خليفة للمسلمين فَوْرَ وفاة سيّدنا أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه. ورُوِيَ أنّه لَمَّا وَلِيَ الخلافة صَعِد المنبر وهمّ أن يجلس مكان أبي بكر فقال: ما كان الله ليراني أرى نفسي أهلًا لمجلس أبي بكر. فنزل درجة، فحمد الله وأثنى عليه ثم أكمل خطبته. وفي خلافته قَوِيَ سُلطَانُ الإسلامِ، وَاِنتَشَرَ حَتى قِيلَ: إِنَّ الفُتُوحَاتِ قَد بَلغت فِي عَهَدِهِ أَلفًا وَسِتًّا وَثَلاثِينَ مَدينَةٍ مَعَ سَوَادِهَا، بُنِيَ فِيهَا أَربَعَةُ آلافِ مَسجد، لقد كان الفاروق رضي الله عنه قُدْوَة في عَدْله، أَسَر القلوب وبَهَر العقول، سار في الناس سيرةً عُمَرِيّة ما سمع الناس

بمثلها. حتى اقترن إسْمُه بالعدل. حَكَم بالحقّ لرجل يهودي على مسلم، ولم يَحْمِلْه كُفْرَ اليهودي على ظُلْمِه والحَيْفِ عليه. وقِصَّتُه مع ابنِ سيّدِنا عمرو بن العاص مشهورة. حتى قال مقولتَه الخالدة: متى استعبدتُمُ الناسَ وقد ولدتْهُم أمّهاتُهم أَحرارًا؟! وثبت في الصحيحين أنّه أعطى المهاجرين الأوائل أربعةَ آلاف دِرْهم، وأعطى إبْنَه عبدَ الله ثلاثةَ آلاف وخمسمائة، فقيل له: إنّه كان من المهاجرين الأوائل، فقال: إنّما هاجر به أبوه. كان رضي الله عنه الخليفة العادل. والإمام الكامل، يقضي بالحقّ على نفسه وأهله وعشيرته، ويُسَوّي بين الناس، ولا يُحابِي ولا يُجامِل. ورحم الله الإمام البوصيري إذ يقول في همزيّته متوسّلا بسيّدِنا عمر رضي الله عنه:

وَأَبِي حَفْصٍ الذِي أَظْهَر اللّـ*ــهُ بِهِ الدِّينَ فَارْعَوَى الرُّقَبَاءُ

والذِي تَقْرُبُ الأَبَاعِدُ فِي اللّـ*ــهِ إِلَيْهِ وَتَبْعُدُ الْقُرَبَاءُ

عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مَنْ قَوْلُهُ الْفَصْـ*ــلُ وَمَنْ حُكْمُهُ السَّوِيُّ السَّواءُ

فَرَّ مِنْهُ الشَّيْطَانُ إِذْ كَانَ فَارُو * قاً فَلِلنَّارِ مِنْ سَنَاهُ انْبِرَاءُ

وفي سنة ثماني عشرة للهجرة، أصاب الناسُ سنةَ جَدْبٍ بالمدينة وما حولها، فكانت تَسْفي الريح ترابًا كالرماد، فسُمِّيَ ذلك العام عام الرمادة، حَلَف رضي الله عنه أن لا يذوق سمنًا ولا لبنًا ولا لحمًا حتى يحيا الناس، ذكر أهل السير أن قيصر عظيم الروم أرسل رسولاً إلى عمر رضي الله عنه لينظر أحواله ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال: أين ملككم؟ فقالوا: ما لنا مَلِك، بل لنا أمير قد خرجَ إلى ظاهر المدينة، فخرج الرسول في طلبه، فرآه نائمًا تحت شجرة، وقدْ وضعَ درَّته بجانبه، وعليه ثوبه المرقع وقد توسَّد ذراعه في أنعمِ نومةٍ عرفَهَا زعيمٌ، فلما رآه على هذه الحالة وقع الخشوع في قلبه وقال: رجل لا يَقَرّ للملوك قرارٌ من هيبته وتكون هذه حالته! ولكنك يا عمر عدلت فأمنت فنمت، ومَلِكُنا يجور فلا جرمَ أنه لا يزال ساهرًا خائفا، أشهد أنّ دينك الدينُ الحق، ولولا أنّني أتيت رسولاً لأسلمت، ولكن أعود وأسْلِم. قال حافظ إبراهيم شاعر النيل في قصيدته العمرية:

وراعَ صاحبَ كسرى أن رأى عُمَرًا * بين الرعية عُطْلًا وهو راعيها

وعهدُه بملوك الفرسِ أنَّ لها * سورًا من الجندِ والأحراسِ حاميها

رآه مستغرِقا في نومه فرأى * فيه الجلالة فِي أسْمى معانيها

فوق الثرى تحت ظلِّ الدوح مشتملًا * ببردةٍ كاد طولُ العهد يُبليها

فهان في عينه ما كان يكبره * من الأكاسر والدنيا بأيديها

فقال قولةَ حقٍّ أصبحت مثلًا * وصارَ الجيلُ بعدَ الجيلِ يحكيها

أمِنْتَ لمّا أقمتَ العدلَ بينهمُ * فنِمتَ نومَ قريرِ العين هانيها

ولما رجع من الشام إلى المدينة بعد فَتَحِ بَيتِ المقدِسِ انفرد عن الناس ليتفقّد أحوالَ الرعية، فمرّ بعجوزٍ في خِباء لها فقصدها، فقالت: يا هذا، ما فعل عمر؟ قال: قد أقبل من الشام سالمًا، فقالت: لا جزاه الله خيرا، قال: ولِمَ يرحمك الله؟! قالت: لأنّه واللهِ ما نالني من عَطائه منذ تَوَلَّى أمرَ المسلمين دينارٌ ولا دِرْهم، قال: وما يدرِي عمر بحالِك وأنتِ في هذا الموضِع؟! فقالت: سبحان الله! واللهِ ما ظننتُ أنّ أحدًا يلي على النّاس ولا يدري ما بين مشرِقها ومغرِبها، فبكى عمر وقال: واعُمَراه، كلُّ أحدٍ أفقه منك يا عمر، حتى العجائز. ثم قال لها: يا أمةَ الله، بكم تبيعيني ظلامَتَكِ من عمَر، فإنّي أرحمه مِنَ النّار، فقالت: لا تستهزئ بنا يرحمك الله، فقال: لستُ بهزّاء، فلَمْ يزل بها حتى اشتَرَى ظلامَتَها بخمسةٍ وعشرين دينارا. فبينما هو كذلك إذ أقبل عليّ بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فوضعَت العجوز يدَها على رأسها وقالت: واسوأتاه! شتمتُ أميرَ المؤمنين في وجهِه، فقال لها عمر: ما عليك يرحمك الله، ثم طلب رُقْعةً من جِلْد يكتب عليها فلم يجد، فقطّع قطعة من مُرَقَّعته وكتب فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اشترى به عمر من فلانة ظلامَتَها منذ وَلِيَ إلى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين دينارا، فما تدّعي عند وقوفه في الحشر بين يدَي الله تعالى فعمر منه بريء. شهد على ذلك علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود)، ثم دفع الكتاب إلى أحدهما وقال: إذا أنا متّ فاجعله في كفني ألقى به ربّي. أيّها المسلمون. من عباد الله الصالحين مَنْ تتزاحم عليه الأعمال الصالحة؛ فيُوَفَّق لأدائها، ويُخْتَم له بجميعها؛ كما كانت خاتمة فاروق هذه الأمَّة سيِّدُنا عمرُ بنُ الخطَّاب رضيَ الله عنه. فإنّه خَتَمَ عامه الذي مات فيه بالحَجِّ، ومَنْ حَجَّ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ؛ رجع كيوم ولدته أمُّه، ففي طبقات ابن سعْد: سمِعَتْهُ ابنتُه؛ أمُّ المؤمنين السيّدة حَفْصَة رضيَ الله عنها يدعو قائلاً: اللهم ارزقني قتلاً في سبيلكَ، ووفاةً في بلد نبيِّكَ. قالت:

قلتُ: وأنَّى ذلك؟ قال: إنَّ الله يأتي بأمره أنَّى شاء. وهذا من حُسْن ظنِّه بربِّه، ويقينه بقدرته جلَّ جلاله. وفي حِلْية الأولياء لأبي نُعَيْم عن سعيدٍ بن المسيّب رحمه الله تعالى قال: أنَّ عُمَرَ لمّا أفاض من مِنًى، أناخ بالإبْطِحْ، فكوَّم كومةً من بَطْحَاءَ، وطرح عليها طَرَف ثوبه، ثم استلقى عليها، ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم كَبُرَتْ سنِّي، وضَعُفَتْ قُوَّتي، وانتشَرَتْ رَعِيَّتي؛ فاقْبِضْني إليكَ غيرَ مُضَيِّعٍ ولا مُفَرِّط. قال سعيد: فما انسلخ ذو الحجَّة حتى طُعِنَ. وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال عمر في خطبته الأخيرة: رأيتُ ديكًا نقرني ثلاث نقرات، ولا أراه إلا حضور أجلي، فما مرَّ إلا تلك الجمعة حتى طُعِنَ. فلمَّا كان فجر يوم الأربعاء سنة ثلاث وعشرين للهجرة، قبل نهاية شهر ذي الحجَّة بأربعة أيام. كَمَنَ أبو لؤلؤة المجوسي في المسجد، ومعه سِكّينٌ ذات طرفَيْن مسمومةٌ، ووقف سيّدنا عمر يعدل الصفوف للصلاة، فلمّا كبَّر يصلي بالنَّاس، طعنه في كتفه وفي خاصرته؛ فقال سيّدنا عمر: ((وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا)). ثم أخذ الكلب يسعى، لا يمرُّ على أحدٍ يمينًا ولا شِمالاً إلا طعنه؛ حتى طَعَن ثلاثةَ عشرَ رجلاً، مات منهم سبعةٌ، فلما رأى رجلٌ من المسلمين ذلك؛ طرح عليه بُرْنُسًا، فلمّا ظنَّ العِلْجُ أنّه مأخوذٌ؛ نَحَرَ نفسَه. وتناول سيّدُنا عمرُ يَدَ سيّدِنا عبدِ الرحمن بنِ عوف؛ فقدَّمه للصلاة بالنَّاس، فصلَّى بهم صلاةً خفيفة، فلمّا عَلِم أنّ الذي قتله عبدٌ مجوسيٌّ قال: الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يحاجُّني عند الله بسجدةٍ سجدها قطُّ، وروى البخاري في فضائل الصحابة أنّه أرسل إبنَه عبدَ الله إلى السيّدة عائشة، قال: إنطلِق إلى عائشة أمِّ المؤمنين؛ فقُلْ: يقرأ عليكِ عمرُ السَّلامَ. ولا تَقُلْ أميرَ المؤمنين، فإنّي لستُ اليوم للمؤمنين أميرًا. وقُلْ: يستأذِن عمرُ بنُ الخطاب أنْ يُدْفَنَ مع صاحبَيْه. فسلَّم عبدُ الله بن عمر واستأذن على عائشة، فوجدها قاعدةً تبكي، فقال: يقرأ عليكِ عمرُ بنُ الخطاب السَّلام، ويستأذِن أن يُدْفَن مع صاحبَيْه. فقالت: كنتُ أريده لنفسي، ولأوثرنَّه اليوم على نفسي. فلمّا أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء. قال: إرفعوني. فأسنده ابن عباس إليه، فقال: ما لديكَ؟ قال: الذي تحبُّ يا أمير المؤمنين، أَذِنَتْ. قال: الحمد لله، ما كان من شيءٍ أهمّ إليَّ من ذلك، فإذا أنا قَضَيْتُ فاحْمِلوني؛ ثم سلِّم فقل: يستأذِن عمرُ بنُ الخطاب، فإن أَذِنَتْ لي فأدخلوني، وإن ردَّتني رُدُّوني إلى مقابر المسلمين. وفي طبقات ابن سعد: أنّه لمّا مات رضيَ الله عنه صلَّى عليه صُهَيْبٌ الرُّومي في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ودُفِنَ يوم الأحد هلال المحرّم بجانب صاحبَيْه؛ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأبي بكر رضيَ الله عنه.

وكانت مدّة خلافته عشرة أعوام وستّة أشهر وخمس ليال. وسِنُّه كسِنّ سيّدِنا أبي بكر ثلاثٌ وستّون سنة. رضيَ الله عنه وأرضاه. أيّها المسلمون. إنَّ هذا بعضُ ما أُثِرَ مِنْ فضائِلِ ثاني الخلفاءِ، وقَدْ غَبَطَ بعضُ الصحابَةِ سيّدَنا عمرَ رضِيَ اللهُ عَنْهمْ أجمعينَ علَى خِلالِهِ، وأثْنَوْا علَى خِصالِهِ، حتَى تَمنَّوْا أنْ يَلْقَوُا اللهَ تعالَى بِمثْلِ أعمالِهِ، فقَدْ أخرجَ البخاريُّ ومسلمٌ في قصَّةِ مَقْتلِهِ واستشهادِهِ عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضِيَ اللهُ عنهما يقولُ: وُضِعَ عمرُ بنُ الخطابِ علَى سريرِهِ، فتكنَّفَهُ الناسُ يَدْعونَ وَ يُثْنونَ ويصلُّونَ عليهِ قَبْلَ أنْ يُرْفَعَ وأنا فيهم، فلَمْ يَرُعْنِي إلاَّ برجلٍ قَدْ أخذَ بِمنكَبِي مِنْ ورائِي، فالتفتُّ إليهِ فإذا هوَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضِيَ اللهُ عنه، فترحَّمَ علَى عمرَ وقالَ: ما خلَّفْتَ أحداً أحبَّ إليَّ أنْ ألقَى اللهَ بمثلِ عملِهِ منْكَ، وايْمُ اللهِ؛ إنْ كنتُ لأظنُّ أنْ يجعلَكَ اللهُ معَ صاحِبَيْكَ، وذاكَ أنِّي كنتُ كثيراً أسمعُ رسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم يقولُ: ((جِئْتُ أنا وأبو بكرٍ وعمرُ، ودخلْتُ أنا وأبو بكرٍ وعمرُ، وخرجْتُ أنا وأبو بكرٍ وعمرُ، فإنْ كنتُ لَأَرجُو أوْ لَأَظنُّ أنْ يجعلَكَ اللهُ مَعَهُما)). فجزاك الله أيّها الحبيب الفاروق عن الإسلام والمسلمين كل خير، ورضي الله عنك وأرضاك وأسكنك الفردوس الأعلى بصحبة حبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم كما صاحبته في الدنيا، كنت من خيرة الصحب، الذين قال الله فيهم: ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)). اللهم وقد حُرِمْنا رؤيتَهم في الدنيا فاجمعنا بهم في الآخرة في جنّات ونهر في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدِر، واشرح اللهم بحبّهم صدورنا. ويسّر بجاههم أمورنا. بجاه حبيبك سيّدنا محمّد. صلى الله عليه وسلم. عين كمالاتهم. وسرّ جمالاتهم وجلالتهم. واحشرنا اللهم في زمرة النبيئين والصّدّيقين والشهداء والصالحين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

03- إتْحاف مَجالس الخِلاّن بعَبيق الرَّيْحان في ذِكْر مناقب ذي النُّورَيْن سيّدِنا عثمان بنِ عفّان عليه رِضَى الرّحمان

الحمد لله الذي اختار الإسلام ديناً وارتضاه، فأرسل به سيّدَنا محمّدا صلى الله عليه وسلم واصطفاه، وجعل له أصحاباً فاختار كلاًّ منهم لصحبته واجتباه، وجعلهم كالنجوم بأيّهم اقتدى الإنسان اهتدى إلى الحقّ واقتفاه، فسبحانه من إله جعل أهلَ

خاصّته أشرفَ الناس منزلةً وأعلاهم مقاما. ورفع بهم شأن هذه الملّة المحمّديّة وأعزّ إسلاما. وأظهر بسيّدِنا عثمان بنِ عفّان مرتبةَ الشهداء وأكرمَهم إكراما. وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له؛ إنتخب من أخيار خليقته سادة. وجعلهم لمصالح عباده قادة. وملأ قلوبهم بنور الإيمان. فأقبلت جوارحهم على طاعة ربّها منقادة، فباعوا أنفسهم وأموالهم من أجل الشهادة. حتى نالوا الحسنى وزيادة، وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. وصفيّه مِنْ خَلْقه وخليله.

شهِدتْ جميعُ الأنبياء بفضله * ولأجل خَتْمِهِمُ أَتَوْا مِنْ قَبْلِهِ

وله لِواء الْحَمد خُصّ بِحَمْله * هذا الفَخَارُ فهل سمِعتَ بمثله

واهًا لنشأته الكريمة واهًا

فشهِدتُ أنّ الله خَصَّ مُحمّدا * فغدا بأملاك السماء مُؤَيَّدا

وعلى لسان الأنبياء مُمَجَّدا * ورأيتُ فَضْلَ العالَمين مُحَدَّدا

وفضائل المختار لا تتناهى

يا أمّة الهادي ومَنْ كَمِثَالِكُمْ * فجلالُ أحْمدَ شاهد بجمالكمْ

هو سُتْرَتُكم هو ذُخرُكم ومليكُكُم * صلّوا عليه وسلِّموا فبذلكم

تُهْدَى النفوس لرُشْدِها وغِناها

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدِنا محمّد. الذي لِلرُّسْل مِسْك الخِتام. وعلى آله الأجّلة الأعلام. وصحابته نجوم الهداية ومصابيح الظلام. صلاة تختِم بها لنا بخاتمة الإسلام. وتثبّت بها أقدامنا على الصراط يومَ تزلّ الأقدام. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ الله اصطفَى لهذهِ الأمّةِ خيرَ الرّسُل، صلى الله عليه وسلَّم. واختارَ سبحانَه لصُحبة نبيّه خيرَ رجالٍ في أمّته. لا كان ولا يكون مثلُهم، غفر الله ذنبَهم. ورَفَع مكانتهم. ورَضِيَ عنهم؛ بإيمانهم وإخلاصهم وصُحبتهم وسَبْقِ نُصرتهم للنبيّ صلى الله عليه وسلَّم. قال عزّ وجلّ في سورة التوبة: ((وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا)). والحديثَ عَنِ الصحابَةِ الأخيارِ؛ مِنَ المهاجرينَ والأنصارِ رضِيَ اللهُ عنَهْم؛ مِمَّنِ اصْطفاهُمُ العزيزُ الغفَّارُ؛ لِصُحْبَةِ النبيّ المصطفَى المختارِ صلّى الله عليه وسلَّم. حَدِيثٌ لا تَمَلُّهُ الأسماعُ؛ ولا تَضْجَرُ مِنْهُ الطِّباعُ، كيفَ لا؛ وهُمُ الأُسْوَةُ في الصلاحِ؛ والقُدْوَةُ في الفلاحِ، أخرجَ أبونُعَيْمٍ في حِلْيَة الأولياء عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ رضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ: مَنْ كانَ مُسْتَنّاً فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ ماتَ، أُولئكَ أصحابُ محمدٍ صلّى الله عليه وسلَّم، كانوا خيرَ هذِهِ الأمَّةِ، أبرَّها قلوباً، وأعمَقَها عِلْماً، وأقلَّها تكلُّفاً، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لِصُحْبةِ نبيِّهِ صلّى الله عليه وسلَّم، ونَقْلِ دِينِهِ، فتشبَّهُوا بأخلاقِهِمْ وطرائِقِهِمْ، فهُمْ أصحابُ محمدٍ صلّى الله عليه وسلَّم، كانوا علَى الهَدْيِ المستقيمِ. وإنّ ممّا يزيد في الإيمان معرفةُ سِيَرِ مَنِ اتَّصَف بالصُّحْبة. وبادَرَ إلى التّصديق. وآزَر النبيَّ صلّى الله عليه وسلَّم ونَصرَه، قال الإمام أحمدُ رحمه الله: ومِن السّنَّة ذِكْرُ محاسنِ أصحابِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلَّم كلِّهم أجمعين. فالدعاء لهم قُرْبَة، والاقتداءُ بهم وسيلة، ومحبَّتهم من أصولِ الدين، أيّها المسلمون. إنّ جيل الصحابة رضوان الله عليهم خير جيل ظهر على وجه الأرض، هم الذين وضعوا أنفسهم بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم لكي يعلّمهم ويوجّههم ويصوغهم، فتلّقوا تلكم التربية النبوية الكريمة، حتى خلت نفوسُهم من حظّ نفوسِهم. ومن بين الصحب الكرام. صحابيّ جليل القَدْر والمكانة، كان من السابقين إلى الإسلام، وأحد العَشَرة المبَشَّرين بالجنّة، وأحد الخلفاء الراشدين، صلّى إلى القِبْلتَيْن، وهاجر الهجرتَيْن، الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة المنَوَّرة، وهو أوّل مَنْ شيّد المسجد، وأوّل مَنْ خطَّ المفصَّل، وأوّل مَنْ ختم القرآن في ركعة، وبمقتله كانت الفتنة الأولى في الإسلام، توفي رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم وهو عنه راضٍ. الذي في مثل يومنا هذا وهو يوم الجمعة. وفي مثل هذا الشهر. أعني في الثامن عشر من شهر ذي الحجة. من السنة الخامسة والثلاثين للهجرة النبوية. نال الشهادة مقتولا. ولحق بجوار ربّه في أعلى علّيّين. إنَّهُ صِهْرُ خاتَمِ النَّبيّينَ؛ وثالثُ الخُلفاءِ الرَّاشدينَ، سيّدنا عثمانُ بنُ عفانَ ذو النُّورَيْن. رضي الله عنه وأرضاهُ، يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جدِّه الثالث عبد مناف، وهو حفيدُ عمَّة النبيِّ صلى الله عليه وسلم البيضاء بنتِ عبد المطّلب، أسلم قديمًا على يدَيْ سيّدنا أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، قبل دخول رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وكانت سِنُّه قد

تجاوزت الثلاثين، وتحمّل في سبيل ذلك أذًى كثيرا. وظلّ ثابتا على عقيدته، كان سيّدنا عثمان رضي الله عنه من أجمل الرجال وجهاً، وأحسنِهِم شَكْلاً. حتى كان الناس قبل نزول آية الحجاب على النساء يحتارون في أيّهِم أجمل هو أمْ زوجته السيّدة رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولذلك يقول راجزهم:

أحسن زوْجَيْن رآهما إنسان * رقيّة وزوجها عثمان

قال سيّدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزل عثمان بصحفة فيها لحم. فدخلت، فإذا رقيّة رضي الله عنها جالسة، فجعلت مرّة أنظر إلى وجه رقيّة، ومرّة أنظر إلى وجه عثمان، فلمّا رجعتُ سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال لي: دخلتَ عليهما؟ قلتُ: نعم، قال: فهل رأيتَ زوجاً أحسن منهما؟ قلتُ: لا يا رسول الله. كان رضي الله عنه معتدل القامة، كبير اللحية، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس. حَسَن الثغر. قال عبد الله بن حزم المازني رضي الله عنه: رأيتُ عثمان بن عفان، فما رأيتُ قطّ ذكراً ولا أنثى أحسن وجهاً منه. أيّها المسلمون. لقد جمع الله لسيّدنا عثمان من الفضائل والمكارم ما جعله بحقٍّ أن يكون في الدرجة الثالثة في الإسلام بعد الشيْخيْن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فهو أوّل مَنْ هاجر إلى الحبشة مع زوجته رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الهجرة الأولى والثانية، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنّ عثمان لأوّل مَنْ هاجر إلى الله بأهله بعد لوطٍ))، لُقِّب رضي الله عنه بذي النُّورَيْن. لأنَّه استنارَ بشِهابِ قَبَسٍ مِنْ نورِ سيِّدِ الثَّقَلَيْنِ، فقد زوَّجَهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إبنتَهُ رقيّةَ رضيَ اللهُ عنها، فتُوفِّيَتْ بعدَ هجرتِها إلى المدينةِ بعامَيْنِ، ثمَّ زوَّجَهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ابنتَهُ أمَّ كُلثومٍ رضيَ اللهُ عنها بعدَ موتِ أختِها بستَّةِ أشهرٍ. فلمّا ماتت تأسّف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصاهرته فقال: ((والذي نفسي بيده، لو كان عندي ثالثة لزوّجتُكَها يا عثمان)). ولا يُعْرَفُ أَحَدٌ تزوّج بِنْتَيْ نبيّ غيرُه. وهُوَ رضي الله عنه أحدُ الذينَ اجتمعَتْ كلِمَةُ الصَّحابةِ رضيَ اللهُ عنهم على فضلِهِ؛ واتَّفقُوا على نُبْلِهِ، فقَدْ أخرجَ البخاريُّ في صحيحِهِ عنْ عبد اللهِ بن عمرَ رضيَ اللهِ عنهما قالَ: كنَّا في زمَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم لا نَعدِلُ بأبي بكرٍ أحداً، ثمَّ عمرَ، ثمَّ عثمانَ، ثمَّ نتركُ أصحابَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، لا نفاضِلُ بينهم، وقال سيّدنا علي كرّم الله وجهه ورضي عنه: كَانَ عثمانُ مِنَ الَّذِينَ ((آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ

اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)). وقال سيّدُنا عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بنُ الخطابِ رضِيَ اللهُ عَنْهُما في قوله تعالى: ((أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ)). قال: نزلت في عثمان، كما وصفه الله عزّ وجلّ بأنّه يَأمُر بالعدلِ، وهو على صراطٍ مستقيمٍ؛ فقد قال ابن عباسٍ رضِيَ اللهُ عَنْهُما في قولِه تعالى: ((هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))، قال: هو عثمان بن عفَّان، وكانَ رضيَ اللهُ عنه متخلِّقاً بخُلُقِ الحياءِ؛ حتَّى إنَّه لتَسْتَحِي منه ملائكةُ السَّماءِ، فقَدْ أخرجَ مسلمٌ في صحيحِهِ عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ: كانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مضْطجِعاً في بيتي؛ كاشِفاً عن فَخِذَيْهِ أو ساقَيْهِ، فاستَأْذَنَ أبو بكرٍ فأذِنَ لَهُ؛ وهُو على تلكَ الحالِ فتَحَدَّثَ، ثمَّ استأذَنَ عمرُ فأذِنَ لَهُ؛ وهُو كذلك فتَحَدَّثَ، ثمَّ استأذَن عثمانُ، فجَلَسَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم؛ وسوَّى ثيابَهُ، فدَخَلَ فتَحَدَّثَ، فلمَّا خَرَجَ قالتْ عائشةُ: دخَلَ أبو بكرٍ فلمْ تَهْتَشَّ لَهُ ولمْ تُبالِهِ، ثمَّ دخلَ عمرُ فلمْ تهتشَّ لَهُ ولمْ تبالِهِ، ثمَّ دخَلَ عثمانُ فجلَسْتَ وسوَّيْتَ ثيابَكَ، فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((ألا أستحِي مِنْ رجلٍ تستحِي منهُ الملائكةُ؟)). وقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ عثمانَ رجلٌ حَيِيٌّ، وإنّي خشِيتُ إنْ أذِنْتُ لَهُ على تلكَ الحالِ أنْ لا يَبْلُغَ إليَّ في حاجتِهِ)). أيّها المسلمون. ولقد أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيّدنا عثمان سَهْمَ البدريّين وأجْرَهم، وكان قد غاب عنها لتمريضه زوجته رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: ((إنّ لك أجر رَجُلٍ مِمَّن شَهِد بدْرًا وسهْمَه)). ويوم الحديبية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سيّدَنا عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أشراف قريش. لكونه أعزَّ بيتٍ بمكة، ليخبرهم أنّه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظِّماً لحرمته، فقالوا له: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. لكنّه امتنع أن يطوف بالبيت أدبا مع النبي صلى الله عليه وسلم أن يطوف قبله وقال: ما كنتُ لأفعل حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي غيبته اتّفقت بَيْعة الرضوان. فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله على يمينه وقال: ((هذه يدُ عثمان، اللَّهم هذه عن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك))، فقال الناس: هنيئًا لعثمان. ولقد كان رضي الله عنه صاحب ثروة عظيمة وجاه في قريش، أنفق الكثير من ماله الوفير لخدمة الاسلام والمسلمين. ومن ذلك شرائه لبئر رومة، فقد كانت هذه البئر لرجل يهودي في المدينة وكان يبيع ماءها، فلما هاجر المسلمون إلى المدينة المنوّرة تمنّى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يجد مِنْ بين

أصحابه مَنْ يشتريها. ليفيض ماؤها على المسلمين بغير ثمن وله الجنّة، فسارع سيّدنا عثمان رضي الله عنه إلى اليهودي فاشتراها منه ووهبها للمسلمين. ولما حثّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تجهيز جيش غزوة تبوك الذي سُمِّيَ بجيش العُسْرة، سارع سيّدنا عثمان رضي الله عنه بتقديم تسعمائة وأربعين بعيرا وستّين فرسا أتمّ بها الألف. فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: ((غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة)). كما قال صلى الله عليه وسلم: ((ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم)). ورحم الله الإمام البوصيري إذ يقول في همزيّته متوسّلا ببعض فضائلِه الكثيرةِ؛ ومناقبِه الوفيرةِ:

وَابْنِ عَفَّانَ ذِي الأَيَادِي التِي طَا * لَ إِلَى الْمُصْطَفَى بِهَا الإِسْدَاءُ

حَفَرَ الْبِئْرَ جَهَّزَ الْجَيْشَ أَهْدَى * الْهَدْيَ لَمَّا أَنْ صَدَّهُ الأَعْدَاءُ

وَأَبَى أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ إِذْ لَمْ * يَدْنُ مِنْهُ إِلَى النَّبِيِّ فِنَاءُ

فَجَزَتْهُ عَنْهَا بِبَيْعَةِ رِضْوَا * نٍ يَدٌ مِنْ نَبِيِّهِ بَيْضَاءُ

أَدَبٌ عِنْدَهُ تَضَاعَفَتِ الأَعْـ*ــمَالُ بِالتَّرْكِ حَبّذَا الأُدَبَاءُ

ومن أعماله رضي الله عنه العظيمة أيضاً، توسعة المسجد الحرام، عام ستّ وعشرين من الهجرة. فاشترى لذلك ما حولها من الأماكن. وفي سنة تسع وعشرين قام بتوسعة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبناه بالحجارة المنقوشة، وجعل أعمدته من الحجارة. أيّها المسلمون. وإنّ أعظم منقبة سُجِّلَت لسيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ولا ينساها التاريخ له أبداً، بل لا ينساها أهل الإسلام أبداً. لأنّه بها اجتمع شَمْل الأمّة المحمّدية. وذهب كيد الشيطان عنها. ألا وهو جَمْعُه الناس على حَرْف واحد، وكتابة المصحف على العَرْضَة الأخيرة التي درسها جبريل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر سني حياته. وكان سبب ذلك أنّ سيّدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أخبره أنّه لمّا كان في بعض الغزوات، رأى الناس يختلفون في قراءاتهم ويُجَهِّل بعضهم بعضاً في ذلك بل ويكفِّر بعضهم بعضاً، فركب حذيفة إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرِكْ هذه الأمّة قبل أن تختلف في كتابها اختلاف اليهود والنصارى في كتابهم، وذَكَر له ما شاهد هناك. فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك، ورأى أن يكتب المصحف على

حرف واحد. وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به. فوافقه الصحابة، فأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب القرآن، فكتب لأهل الشام مصحفاً، ولأهل مصراً آخر، وإلى البصرة وإلى الكوفة وإلى مكة واليمن، وأقرّ بالمدينة مصحفاً. أيّها المسلمون. وبعد دَفْنِ سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بثلاث ليال. بُويِعَ سيّدُنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بالخلافة يوم الإثنين لِلَيْلَةٍ بقِيَت من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة واستقبل بخلافته المحرّم سنة أربع وعشرين. وعاش في الخلافة اثنتي عشرة سنة. وكان خاتمه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر وعمر رضي الله عنهم. وفي خلافته رضي الله عنه فتح المسلمون الكثير من البلاد فتوسعت بهم بلاد الإسلام ومن هذه البلاد التي افتتحت جزيرة قبرص وكَرْمَان وسِجِسْتَان وكابُل وبلاد أخرى في أفريقية. وفي أواخر عهده، ومع اتِّساع الفتوحات الإسلامية، أراد بعض الحاقدين على الإسلام وفي مقدِّمَتِهم اليهود. إثارةَ الفتنة للنَّيْل من وِحْدة المسلمين ودولتهم، فأخذوا يُثيرون الشُّبُهات حول سياسة سيّدنا عثمان رضي الله عنه. يُحرّضهم على ذلك عبد الله بن سبأ رأس الفتنة، ولقد ثَبَتَ رضي الله عنه على هذه الفتنةِ خيرَ ثباتٍ، ولم يخلعْ قميصَ الخلافةِ لهؤلاءِ البُغاةِ؛ إمتثالاً لأمرِ النَّبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، فقد أخرجَ الإمام أحمدُ والتِّرمذيُّ عنْ عائشةَ رضِي اللهُ عنها أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: ((يا عثمانُ؛ إنَّهُ لعلَّ اللهَ يُقَمِّصُكَ قميصاً، أيّ الخلافة. فإنْ أرادكَ المنافقون على خَلْعِهِ فلا تخلَعْهُ لَهُم حتى تلقاني)). فوَفَّى سيّدنا عثمانُ رضِيَ اللهُ عنه بعهدِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الذي عَهِدَ إليه، وصبَرَ على ما أوذيَ عليه، فقدْ أخرجَ ابنُ ماجَةَ في سُنَنِهِ عنْ عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها قالتْ: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم في مرَضِهِ: ((ودِدْتُ أنَّ عندي بعضَ أصحابي. قلْنا: يا رسولَ اللهِ؛ ألا ندعُو لكَ أبا بكرٍ؟ فَسَكَتَ. قلْنا: ألا ندعُو لكَ عمرَ؟ فَسَكَتَ. قلْنا: ألا ندعُو لكَ عثمانَ؟ قال: نَعَم . فجاءَ فخَلا بِهِ، فجعلَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يُكَلِّمُهُ؛ ووجْهُ عُثمانَ يتَغَيَّرُ، فكان عثمانُ بنُ عفانَ يقولُ يومَ الدَّارِ: إنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عهِدَ إليَّ عهْداً؛ فأنا صائرٌ إلَيهِ؛ أو صابرٌ علَيهِ. فكانوا يرونَه ذلكَ اليومَ)). فما كانَ مِنْ هؤلاءِ الخوارجِ الْمُعْتَدينَ؛ إلا أنْ بغَوا وقتلُوا أميرَ المؤمنينَ؛ الذي جاوزَ عُمْرُهُ الثمانينَ، وفي حِجْرِهِ الكتابُ المبينُ، في المدينةِ النبويَّةِ، وكان ذلك في يومِ الجمعةِ، لثمان عشرة ليلة خلت من شهر ذي الحجة سنة خمس وثلاثين للهجرة، لِيَسْقُطَ مِنْ رأسِ الخليفةِ المظلومِ، الذي فُلِقَ بسيفِ البَغْيِ المسمومِ. أوَّلُ قَطْرةٍ من

دمِهِ المعصومِ، لِتَمْتَزِجَ بقولِ العزيزِ الحكيمِ: ((فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ)). وهذا مصداقُ قولِ المعصومِ صلى الله عليه وسلم الدَّالِ على أنَّ سيّدنا عثمانَ رضِيَ اللهُ عنه مظلومٌ، فقدْ أخرجَ التِّرمذيُّ عن عبدِاللهِ بنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما قال: ذَكَرَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فتنةً فقال: ((يُقْتَل فيها هذا مظلوماً)) لعثمانَ رضِيَ اللهُ عنه، وقال لهم عثمان رضي الله عنه أي لقتلته: واللهِ، لئن قتلتموني لا تتحابّون بعدي أبدًا، ولا تصلّون جميعًا أبدًا، ولا تقاتلون عدوّا جميعًا أبدًا، قال الحافظ ابن كثير: وقد صدق فيما قال رضي الله عنه. وكان مقتله بداية فتح باب الفتنة بين المسلمين فلم ينغلق إلى يومنا هذا. ودُفِنَ رضي الله عنه ليلة السبت بين المغرب والعشاء بمقبرة البقيع بالمدينة المنوّرة وصلّى عليه الزبير بن العوّام رضِيَ اللهُ عنه. ورُوِيَ عن عبد الله بن سلاّم رضِيَ اللهُ عنه أنّه قال: دخلت على عثمان بنِ عفّان رضِيَ اللهُ عنه في اليوم الذي توفّي فيه. وهو يضحك. فقلت: يا أمير المؤمنين أفي مثل هذا اليوم تضحك؟ فقال: إنّي نِمْتُ الآن. فرأيت من تلك الخُوخَة النبيّ صلى الله عليه وسلم. وأشار إلى خوخة في أعلى داره. قال: ويده في يد أبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب رضِيَ اللهُ عنهما. فقال: يا عثمان. حاصروك؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: أعطشوك؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: قاتلوك؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: إنّ الله تعالى يخيّرك بين أمرين. إمّا أن تُنصَر عليهم. وإمّا أن تُفْطِر عندنا الليلة. فاخترتُ أن أتعشّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فمات في ذلك اليوم. أيّها المسلمون. هذا غيض غائض. من فيض فائض. من بحر فضائل ومناقب سيّدِنا عثمان بنِ عفان ذي النورين رضي الله تعالى عنه وأرضاه. وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرًا. ونفعنا ببركته. وحشرنا في زمرته. وأماتنا على سنّته ومحبّته، إنّه سبحانه على ما يشاء قدير. وبعباده لطيف خبير. اللهم اجعلنا مِمَّنْ قلت فيهم: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءوف رَحِيمٌ)). بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

04- جواهر المطالب لكلّ راغِب في التّعرّف عن بعض مناقب الإمام سيّدنا علي بن أبي طالب له من الله في الجنّة أعلى المراتب

الحمد لله الكريم المنّان، المتفضِّل على عباده بعظيم الآلاء والإحسان. كمّل هذا الوجود بالإنسان. وفضّل الأنبياء على جميع الأمم بما اختصّهم به من النبوّة والحِكمة وبدائع الإحسان. وشرّفنا بسيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم. خير الخَلق. صفوة عدنان. وميّز بين صحابة نبيّنا بفضائل جَمّة. ثبتت بالدليل والبرهان.

فسبحانه من إله جعل قَدْر سيّدنا ومولانا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه في الدارَيْن عَلِيًّا. وأنهله من العناية الصمدية والعلوم النبوية مَنْهَلا هنيًّا. فكان باب مدينة العلم النبوي. حتى فَتح من الحقائق ما كان خفيًّا، وأظهر الله منه ذريّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم . فكانت شجرة مباركة طيّبة ما زال دمث شرفها مضيّا. فسلام الله عليه يوم وُلِدَ ويوم يموت ويوم يُبْعَثُ حيّا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. جعل ذِكْرَ أوليائه نزهةً لذوي البصائر والإستبصار. وسَرْدَ فضائلهم ومناقبهم يُحْيِي مَوَاتَ القلوب ويشوّقها إلى حضرة المواهب والأسرار. والعَضَّ بالنواجذ على محبّتهم يُثْمِر في القلوب محبّة سيّد المرسلين الأخيار. سيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ما تعاقب الليل والنهار.

وأشهد أنّ سيّدنا ونبيّنا ومولانا محمدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. الذي من كرامات بن عمّه سيّدنا الإمام عليّ فحل الفحول. ووزيره وحبيبه المختصّ بتزويج ابنته فاطمة الزهراء البتول. ما رُوِيَ عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم أنّه قال:((أنا مدينة العلم وعليّ بابها)). وفي رواية: ((أنا دار الحِكْمة وعليّ بابها. فمَنْ أرادها أتاها من بابها)).

يا أمّة المصطفى يا سادةَ الأُمَمِ * هذا نبيّكُمُ المخصوصُ بالكرمِ

واللهُ شفّعه في موقف الأُمَمِ * صلّوا على مَنْ أتى بالذكر والحِكَمِ

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمد. زَيْن العشيرة والآل والصحب والأتباع. وعلى آله الأجلّة المتَّفَق على محبّتهم بالإجماع. وصحابته القاطعين بحبّهم ظهور أهل الزيغ والإبتداع. صلاة تجعلنا بها من أهل النفع والإنتفاع. وتشفينا ببركتها من جميع العاهات والأسقام والأوجاع. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين.

أمّا بعد: فيا أيّها المسلمون. أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم.

إنّ الله تعالى أرسل رسوله سيّدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وآله وسلَّم بالهدى ودين الحقّ. رحمة شاملة لجميع الخلق. فكشف الله به الغمّة. وأتمّ به النعمة. وأكمل به الرحمة. وهدى به الأمّة. وأيّده بالعصمة، وفتح به أعينا عميا، وآذانا صمّا. فقام مؤديّا لرسالات ربّه. وجاهد في الله حقّ جهاده بقالبه وقَلْبه.

فكان أوّلُ مَنْ سعى إلى ناديه. وإجابة مناديه. هو ابن عمّه البطل الهمام. والأسد الضرغام. مفرّق الكتائب. وأسد الله الغالب. إمام أهل المشارق والمغارب. أمير المؤمنين سيّدنا ومولانا الإمام عليّ بن أبي طالب. كرّم الله وجهه ورضي عنه.

فحرِيٌّ بنا أن نتعرّف عن قبسات من حياته ومناقبه. والقصد من ذلك التبرّك بذِكْر الصالحين. لأنّ بذكرهم تتنزّل الرحمات.

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليه.

فنقول مستعينين بحول الله وقوّته:

هو أمير المؤمنين سيّدنا ومولانا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم كرّم الله وجهه ورضي عنه.

وأبو طالب هو الذي كفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم صغيرا. وقام بنصره وحامَى عنه وحاطه كبيرا. وتحمّل الأذى في سبيله من مشركي قريش ومنعهم عنه، حتى إنّ قريشا لم تطمع في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حتى توفي أبو طالب، وسُمِّيَ ذلك العام بعام الحُزن. لفقدان الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم عمَّه أبا طالب. وزوجتَه السيّدة خديجة رضي الله عنها.

وأمّا والدته كرّم الله وجهه ورضي عنه. فهي السيّدة فاطمة بنت أسد بن هاشم، رضي الله عنها. وكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بمنزلة الأمّ. رُبِّيَ في حِجْرها. وكان شاكرا لِبِرِّها. وكان يسمّيها أُمّي.

فعَن أَنَسٍ بن مالك رضي الله عنه قال: ((لَمّا ماتَت فاطِمَةُ بِنتُ أَسَدٍ أُمُّ عَلِي بنِ أَبِي طالِبٍ. دَخَلَ عَلَيها رَسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم، فَجَلَسَ عِندَ رَأسِها، فَقال: يَرحَمُكِ اللَّهُ، فَإِنَّكِ كُنتِ أُمِّي بَعدَ أُمِّي، تَجُوعِينَ وتُشبِعِينَنِي، وتَعرِينَ وتَكسِينَنِي، وتَمنَعِينَ نَفسَكِ طَيِّبَ الطَّعامِ وتُطعِمِينَنِي، تُرِيدِينَ بِذَلِكَ وجهَ الله عَزَّ وجَلَّ والدارَ الآخِرَةَ، ثُمَّ أَمَرَ أَن تُغَسَّلَ ثَلاثًا ثَلاثًا، فَلَمّا بَلَغَ الماء الَّذِي فِيهِ الكافُورُ سَكَبَهُ رَسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بِيَدِهِ، ثُمَّ خَلَعَ رَسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قَمِيصَهُ، فَأَلبَسَها إِياهُ وكَفَّنَها فَوقَهُ، ثُمَّ دَعا رَسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أُسامَةَ بنَ زَيد، وأَبا أَيُّوبَ الأَنصارِيَّ، وعُمر بنَ الخَطابِ، وغُلامًا أَسوَدَ، يَحفِرُونَ قَبرَها، فَلَمّا بَلَغُوا اللَّحدَ حَفَرَهُ رَسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم، وأَخرَجَ تُرابَهُ بِيَدِهِ، فَلَمّا فَرَغَ دَخَلَ رَسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فاضطَجَعَ فِيهِ، ثُمَّ قال: الحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي يُحيِي ويُمِيتُ. وهو حَيٌّ دائِمٌ لا يَمُوتُ، اللَّهُمَّ اغفِر لِي ولأُمِّي فاطِمَةَ بِنتِ أَسَدٍ، ولَقِّنْها حُجَّتَها، ووَسِّعْ عَلَيها مُدخَلَها بِحَقِّ نَبِيِّكَ والأَنبِياءِ الَّذِينَ مِن قَبلِي، فَإِنَّكَ أَرحَمُ الراحِمِينَ، وكَبَّرَ عَلَيها أَربَعًا، فَأَدخَلَها اللَّحدَ هو والعَباسُ وأَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ))).

وُلِدَ سيّدنا ومولانا علي بن أَبِي طالِبٍ كرّم الله وجهه ورضي عنه. يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب. قبل البعثة بعشر سنين. وكانت ولادته بمكة المكرمّة. وهناك رواية أخرى تقول: بأنّه وُلِدَ في وسط الكعبة المشرّفة. وفي ذلك يقول السيّد الحميري:

ولدَتْه في حَرَمِ الإله وأَمْنِهِ * والبيتِ حيث فناؤه والمسجِدُ

بيضاءُ طاهرةُ الثيابِ كريمةٌ * طابت وطاب وليدُها والمولدُ

في ليلةٍ غابتْ نحوسُ نجومِها * وبدت مع القمر المنير الأسعدُ

ما لُفَّ في خِرَقِ القوابِلِ مثلُهُ * إلا ابن آمنةَ النبيُّ محمّدُ

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليه.

أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. إنّ فضائل سيّدنا ومولانا علي بن أَبِي طالِبٍ رضي الله عنه جمّة لا تُحصى. ومناقبه

كثيرة لا تستقصى. حتى قال الإمام أحمد رحمه الله: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نُقِلَ لعلي. وقال غيره: وكان سبب ذلك بُغْض بني أمية له، فكان كل مَنْ كان عنده عِلْم من شيء من مناقبه من الصحابة يُثبته، وكلمّا أرادوا إخماده وهَدّدوا مَنْ حَدّث بمناقبه لا يزداد إلا انتشارا.

فمن ذلك أنّه رضي الله عنه نشأ في حِجْر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم. وتأدّب بآدابه ورُبِّيَ بتربيته. وفي ذلك يقول الشاعر:

ورُبِّيتَ في حِجْرِ النبيِّ محمّدٍ * فطوبى لِمَنْ مِنْ أحمدَ ضمَّهُ حِجْرُ

وغذّاك بالعلم الإلهيِّ ناشئًا * فلا عِلْمَ إلا منك قد حاطه خَبَرُ

بآدابه أُدِّبْتَ طفلا ويافعًا * وأَكْسَبَنْكَ الأخلاقَ أخلاقُهُ الْغُرُّ

وأخرج الإمام البيهقي في دلائل النبوّة عن مجاهد قال: وكان ممّا أنعم الله على سيّدنا عليّ رضي الله عنه. أنّه كان في حِجْر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قبل الإسلام، لِمَا أراد الله به الخير، وذلك أنّ قريشا أصابتهم أَزْمة شديدة. وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم للعباس عمَّه: وكان من أيسر بني هاشم: يا عباس إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة. فانطلِقْ فخفِّفْ عنه من عياله. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له: إنّا نريد أن نخفِّفَ عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عَقِيلا وطالبا فاصنعا ما شئتما. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّا فضمّه إليه، وأخذ العباس جعفرا فضمّه إليه، وتركا له عقيلا وطالبا، فلم يزل عليّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حتى بعثه الله نبيّا فاتّبعه وصدّقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه.

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليه.

أيّها المحبّون. وفي خصائص العشرة المبشّرين بالجنّة للزمخشري قال: ((أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم تولّى تسميّته بعليّ. وتغذيته أيّاما من ريقه المبارك بمصّه لسانه. فعن فاطمة بنت أسد أمّ سيّدنا عليّ رضي الله عنهما أنّها قالت: لمّا ولدته سمّاه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم عليًّا. وبصق في فيه، ثم إنّه ألقمه لسانه، فما

زال يمصّه حتى نام، قالت: فلمّا كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي أحد، فدعونا له محمّدا فألقمه لسانه فنام، فكان كذلك ما شاء الله تعالى)). وممّا نُقِلَ عن سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه ورضي عنه أنّه قال مفتخرا وذاكرا فَضْل الله ونعمته عليه:

محمّد النبي أخي وصِهْري * وحمزة سيّد الشهداء عمّي

وجعفر الذي يضحي ويمسي * يطير مع الملائكة ابن أمّي

وبنت محمّد سَكَني وعرسي * مشوب لحمها بدمي ولحمي

وسِبْطا أحمد ولداي منها * فأيّكم له سهم كسهمي

سبقتكم إلى الإسلام طرّا * صغيرا ما بلغتُ أوان حلمي

وصليتُ الصلاة وكنت فردا * فمَنْ ذا يدّعي يوما كيومي

قال الإمام البيهقي رحمه الله: هذا الشعر ممّا يجب على كل مُتَوَانٍ في محبّة الإمام عليّ رضي الله عنه حِفْظَه. لِيَعْلَمَ مفاخرَه في الإسلام. وهو رضي الله عنه وكرّم وجهه أوّل مَنْ أسلم بعد السيّدة خديجة رضي الله عنها. ولم يبلغ الحلم بعد. روى الحاكم في المستدرك بسنده عن محمد بن اسحاق: أنّه أسلم وهو ابن عشر سنين. ويؤكّد هذا أنّه لمّا زوّجه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم إبنته السيّدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها. قال لها: ((زوّجتك سيّدا في الدنيا والآخرة، وإنّه لأوّل أصحابي إسلاما، وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما)).

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليه.

أيّها المسلمون. أيّها المحبّون لآل بيت سيّدنا ومولانا رسول الله. صلّى الله عليه وآله وسلَّم. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبّ سيّدنا عليّا، ويثني عليه، فقد روى الإمام البخاري أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم قال لسيّدنا علي: ((أنتَ منّي وأنا منك)). يعني في النسب والصهر. والسابقة في الإسلام. والمحبّة الإيمانية العميقة فيما بينهما. وروى الإمام مسلم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم قال له: ((لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق)).

ولمّا هاجر النبيّ صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنوّرة أمر سيّدنا عليّا رضي الله عنه أن يبيت على فراشه. فقد روى الإمام أحمد في مسنده أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال لسيّدنا علي يوم الهجرة: ((نَمْ في فراشي هذا، وتسجَّ بِبُرْدِي الحضرمي الأخضر، فإنّه لن يَصِلَ إليك شيء تكرهه))، وأجّله ثلاثة أيام ليؤدّي الأمانات التي كانت عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى أصحابها. ثم يلحق به إلى المدينة. فما كان من هذا الشاب المؤمن إلا المبادرة والإنصياع، دون تلكّؤ أو تردّد، متوكِّلاً على الله، ومَنْ توكّل على الله كفاه. ولمّا هاجر وجد النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قد آخَى بين المهاجرين والأنصار، فقال: يا رسول الله، آخيتَ بين أصحابك، ولم تؤاخ بيني وبين أحد. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: ((أنتَ أخي في الدنيا والآخرة)). واصطفاه النبيّ صلى الله عليه وسلم صهراً له. وزوّجه ابنته سيّدة العالمين مولاتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها. وكان منه النسل النبوي الطاهر الشريف. كما بشّره صلى الله عليه وآله وسلَّم مع العشرة المبشَّرين بالجنّة في حديث واحد،

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليه.

أيّها المحبّون. لقد شهد سيّدنا علي رضي الله عنه المشاهدَ كلَّها مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم إلا غزوة تبوك التي كانت في السنة التاسعة للهجرة. حيث استخلفه عليه الصلاة والسلام على المدينة وعلى أهله وعياله، فشعر الإمام علي رضي الله عنه بالحزن لعدم تمكينه من مصاحبته في الغزوة. لأنّه لم يتخلَّف عن أيّ مشهد شهده الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم أو غزوة غزاها، فقال له صلى الله عليه وآله وسلَّم كما في الحديث المتّفق عليه: ((ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي)).

وفي السنة السابعة من الهجرة برزت وتجلّت بطولة أسد الله الغالب، سيّدنا علي بن أبي طالب. كرّم الله وجهه ورضي عنه. وظهرت مكانته عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم. فلقد خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى حصون خيبر آخِر المعاقل لليهود في المدينة المنوّرة. وحاصرها النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم حصاراً شديداً. وطال الحصار. فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم يوماً كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: ((لأُعطِيَنّ الراية غدًا رجلاً يحبُّ

اللهَ ورسولَه ويحبُّه اللهُ ورسولُه، يفتحُ الله على يديه))، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يُعطاها، فلمّا أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كلّهم يرجو أن يُعطاها، فقال: ((أين علي بن أبي طالب؟!)) فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: ((فأرسلوا إليه))، فأُتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: ((انفذ على رِسْلِك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله فيه، فواللهِ لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حُمر النَّعم))، ففتح الله على يديه. وقد أشار إلى معجزة التّفل والتبصيق صاحب الهمزية الإمام البوصيري رحمه الله بقوله:

وعليٍّ لمّا تفلتَ بعينيـ*ـــــه وكلتاهما معًا رمداءُ

فغدا ناظرا بعينَيْ عُقابٍ * في غَزاةٍ لها العقاب لواءُ

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليه.

أيّها المسلمون. وكما اشتهر سيّدنا علي رضي الله عنه بالشجاعة والفروسية. فقد اشتهر أيضا بالعلم والفقه والقضاء. والحِكمة والشعر. وكان سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعوَّذ من مُعضلة ليس لها أبو الحسن. ولم يكن أحد من الصحابة يقول سلوني إلاّ علي. وقال: واللهِ ما نزلت آية إلا وقد علمتُ فيمَ نزلت وأين نزلت وعلى مَنْ نزلت. إنّ ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا. وهو القائل: لو كُشِف لي الغطاء ما ازددتُ يقينا.

ومن المواقف المشهورة التي أولى فيها النبي صلى الله عليه وسلم عليّاً رضي الله عنه ثقة عظيمة، ما كان بعد فتح مكة حين أرسله قاضياً إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام. ويفقّههم أمور دينهم. فقال له: يا رسول الله تبعثني إلى قوم أكبر منّي وأنا شابٌ لا أبصر القضاء، عليه الصلاة والسلام يده الشريفة على صدره، وقال: ((اللهم ثبّت لسانه. واهد قلبه، يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع الآخَر، ما سمعتَ من الأوّل، فإنّك إذا فعلتَ ذلك تبيّن لك القضاء))، قال: فما استصعب عليّ قضاء بعد ذلك.

ومن فضائله رضي الله عنه أنّه تشرّف بغسل جسد النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم الطاهر، وبالنزول للتربة الشريفة حين الدفن.

بايع رضي الله عنه سيّدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وكان أوّل مَنْ بايعه من بني عبد المطلب،

وكان رضي الله عنه الوزير المؤتمن للخلفاء قبله، يشاورونه ويستفتونه، وهو مَنْ أشار للصّدّيق باستخلاف سيّدنا عمر بعده،

وكانت فترة خلافة سيّدنا علي رضي الله عنه متوتّرة غير مستقرّة، بسبب الفتنة التي قتلت سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وظهور الخوارج الذين خرجوا عن أمر الله والخلافة، وكفّروا الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين.

وكانت مدّة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر.

وقُتِل شهيدا بالكوفة من أرض العراق. وكان ذلك يوم الجمعة في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة. قتله عبد الرحمن بن ملجم الخارجي. وهو أشقى هذه الأمّة بالنص الثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم. فقد روى الإمام أحمد وغيره، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال لسيّدنا علي رضي الله عنه: ((أشقى الناس الذي عقر الناقة، والذي يضربك على هذا. ووضع يده على رأسه حتى يخضِّب هذه يعني لحيته)).

وقد تولّى غَسْلَه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، رضوان الله عليهم، وصلّى عليه إبنه سيّدنا الحسن رضي الله عنه. ودُفن بالكوفة عند قصر الإمارة عند المسجد الجامع .

اللهم أَدِمْ دِيمَ الرضوان عليه، وأَمِدَّنا بالأسرار التي أودعتها لديه. وامنُن علينا من واسع فضلك كما منَنتَ عليه.

ونختم هذه النبذة المختصَرَة بتوسّل الإمام البوصيري رحمه الله في همزيته حيث قال:

وعليٍّ صِنْو النبيّ ومَنْ ديــ*ــن فؤادي وِداده والولاءُ

ووزير ابن عمّه في المعالي * ومن الأهل تسعد الوزراء

لم يزده كَشْف الغطاء يقينا * بل هو الشمس ما عليه غطاءُ

آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ طِبْتُمْ فَطَابَ * الْـمَدْحُ لِي فِيكُمُ وَطَابَ الرِّثَاءُ

أَنَا حَسَّانُ مَدْحِكُمْ فَإِذَا * نُحْــتُ عَلَيْكُمْ فَإِنَّنِي الْخَنْسَاءُ

سُدْتُمُ النَّاسَ بِالتُّقَى وَسِوَاكُمْ * سَوَّدَتْهُ الْبَيْضَاءُ والصَّفْرَاءُ

صلّ يا ربّ ثمّ سلّم على من * هو للخَلق رحمة وشفاء

وعلى الآل والصّحابة جمعا * ما تزيّنت بالنّجوم السّماء

اللهم إنّا نتقرّب إليك بحبّنا إليه. فاجمعنا اللهم به في الفردوس الأعلى. ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا. مع الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصّدّيقين والشهداء والصالحين. وحَسُن أولئك رفيقا. في زمرة نبيّنا سيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم. اللهمّ إنّا نُشهدك يا الله. ونُشهد جميع ملائكتك. أنّنا نحبّك. ونحبّ نبيّك سيّدنا ومولانا محمّدا صلّى الله عليه وآله وسلَّم. ونحبّ أهل بيته الطاهرين الطيّبين. عليّا وفاطمة. والحسن والحسين. وسائر صحابته وأحبّائه أجمعين. ونتوسّل اللهمّ إليك بجاههم عندك. وعلوّ مكانتهم لديك. أن تصلح لنا ديننا. وتزيّن بالتقوى ظاهرنا وباطننا. وتطهّر من الحقد والحسد ضمائرنا وسرائرنا. وتكفينا ما أهمّنا من أمر دنيانا وآخرتنا. اللهم يا محوّل الأحوال. حوّل حالنا وحال المسلمين إلى أحسن حال، وعافِنا من أحوال أهل الضلال. وفِعل الجهّال، وثبّتنا على ما تُحب، واجعلنا فيمن تُحب، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. آمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

05- ذكرى استشهاد سيّدِنا عمر بنِ الخطاب رضي الله عنه

الحمد لله الذى ابتَعَث سيّدَنا محمّدا صلّى الله عليه وسلَّم إلى كافّة البَشَر، فابتُلِيَ في بداية النبوّة بِمَن كفر. حتى دخل دار الأرقم فاختفى واستتر. إلى أن أعزّ اللهُ الإسلامَ بإسلامِ سيّدِنا عُمَر. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له؛ فرَّقَ بينَ الكفرِ والإسلامِ بفاروقِهِ، ونشرَ التوحيدَ بعدَ ظهورِ الشركِ وبُروقِهِ، فظهرَ دينُ الحقِّ علَى الدِّينِ كلِّهِ وقامَ علَى سُوقِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. خيرُ مَنْ

تواطأت القلوب على طاعته وحبّه. وأفضلُ مَنِ اشتاقت النفوس إلى مجاورته وقُرْبِه. إخواني إذا أرادتم في القيامة بهجة الأنوار. ورغِبتم في السلامة من هذه الدار. صلّوا على هذا النبيّ المختار. اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدِنا محمّد. وعلى آله ذوي الأجسام الطاهرة والقلوب النورانية. وصحابته أهلِ الأحوال الربانية والكشوفات العيانية. صلاة تنوّر بها بصائرنا بأنوار الفتوحات العرفانية. وتختِم بها لنا برؤية وجهه صلى الله عليه وسلم قبل فوات الأَجَل وحلولِ المنيّة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يقول الله تعالى في سورة يوسف: ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ)). وإنّنا اليوم على موعِد مع واحدٍ من العظماء، الذي عانَقَتْ فضائِلُهُ عَنَانَ السماءِ. وعَلَمٌ مِنْ أعلامِ الأُمَّةِ النُّبلاءِ؛ إنّه شهيد المحراب، الذي في مثل هذا الشهر. أعني في السادس والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة. قُتِل شهيدا وهو يصلّي الفجر بالناس على يَدِ مَنْ لم يسجد لله سجدة، إنّه الفاروقُ سيّدُنا عمرُ بنُ الخطاب. صاحبُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ورفيقُه في دعوتِه وجهادِه، والخليفةُ الراشدُ بَعْد وفاةِ النبيّ صلى الله عليه وسلم وصاحبِه. رضي الله عنه وأرضَاهُ. يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي بن غالب، أسلم بسبب بركة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم. فقد كَانَ يَدْعُو أَنَ يُعِزَّ اَللهُ بِهِ الإسلام، فَاستَجَابَ اَللهُ دُعَاءَهُ. أخرجَ الإمام أحمدُ والترمذيُّ عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ رضِيَ اللهُ عنهما أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: ((اللهمَّ أَعِزَّ الإسلامَ بِأحبِّ هَذَيْنِ الرجلَيْنِ إليكَ: بأبي جهلٍ؛ أوْ بعمرَ بنِ الخطابِ، وكانَ أحبَّهما إليهِ عمرُ)). سمّاه النبيّ صلى الله عليه وسلم بالفاروق. وفي غزوة بدر كنّاه بأبي حفص. وأخرج ابن هشام في سيرته وابن سعد في طبقاته عن عبد الله بن مَسعُودٍ رضي الله عنه أنّه قال: كَانَ إِسلامُهُ فَتحًا، وَهِجرَتُهُ نَصْرًا، وَكانت إِمارَتُهُ رَحْمَةً، وَلقد كُنَّا مَا نُصلِّي عِندَ الكَعبَةِ حَتى أَسلَمَ عُمَر. وقال أيضا كما في البخاري: ما زِلْنا أعِزَّةً منذ أَسْلَمَ عمر. أيّها المسلمون. إذا رُمْتُمْ معرِفَةَ شُموخِ هامَةِ عِلْمِهِ؛ ورُسوخِ قَدَمِ فهمِهِ: فاسمعوا تأويلَ رُؤْيا المنامِ؛ التي رآها خيرُ الأنامِ؛ عليهِ أفضلُ الصلاةِ وأزْكَى السلامِ، ورؤيا الأنبياءِ حقٌّ لا أضغاثُ أحلام. فَقَدْ أخرجَ البخاريُّ عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ رضِيَ اللهُ عنهما قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: ((بَيْنا أنا نائمٌ أُتِيتُ بقَدَحِ لَبَنٍ، فشرِبْتُ حتَّى إنِّي لأَرَى الرِّيَّ؟ يخرجُ في أظفارِي، ثمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عمرَ بنَ الخطابِ. قالوا: فما أوَّلْتَهُ يا رسولَ اللهِ؟

قالَ: العِلْمَ)). وإنَّ مِنْ أماراتِ قُوَّتِهِ عِلْماً؛ وعلاماتِ حُجَّتِهِ فَهْماً: أنَّه كانَ مُحدَّثاً مُلْهَماً، أيْ يجري الصواب على لسانه من غير قصد، فقَدْ أخرجَ البخاريُّ عَنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((لقَدْ كانَ فِيمَنْ كانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إسرائيلَ رجالٌ يُكَلَّمونَ مِنْ غيرِ أنْ يكونوا أنبياءَ، فإنْ يكنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أحَدٌ فعمرُ)). ومِنْ آثارِ هذا التحديثِ. ما صحَّ في الحديثِ، مِنْ قولِ سيّدنا عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه: وافَقْتُ ربّي في ثلاثٍ. فقلْتُ: يا رسولَ اللهِ؛ لَوِ اتَّخَذْنا مِنْ مَقامِ إبراهيمَ مُصلًّى، فنَزلَتْ: ((وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)). وآيةِ الحِجابِ، قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ؛ لَوْ أمَرْتَ نساءَكَ أنْ يَحْتَجِبْنَ، فإنَّهُ يُكلِّمُهنَّ البَرُّ والفاجِرُ، فنزلَتْ آيةُ الحِجابِ، واجتمَعَ نساءُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الغَيْرَةِ عليهِ، فقلْتُ لهنَّ: ((عسَى ربُّه إنْ طلقَكُنَّ أنْ يُبَدِّلَهُ أزواجاً خيراً مِنْكنَّ))، فنزلَتْ هذِهِ الآيةُ. أخرجَهُ البخاريُّ مِنْ حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه. وهَذا التحديثُ والإلهامُ. ثمرةُ قِيامِهِ في الدِّينِ خيرَ قيامٍ، فقَدْ أخرجَ البخاريُّ ومسلمٌ مِنْ حديثِ أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((بَيْنا أنا نائِمٌ؛ رأيتُ الناسَ يُعْرَضونَ وعلَيْهِم قُمُصٌ، مِنْها ما يبلغُ الثَّدْيَ، ومِنْها ما يبلغُ دونَ ذلِكَ، ومرَّ عمرُ بنُ الخطابِ وعليهِ قميصٌ يجرُّهُ. قالوا: ماذا أوَّلْتَ ذلِكَ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: الدِّينَ)). وكان رضي الله عنه مِنْ أشدِّ المؤمنينَ غَيْرةً في الدِّينِ، فقَدْ أخرَجَ الشيخانِ البخاريُّ ومسلمٌ عَنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه عَنْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: ((بَيْنا أنا نائِمٌ إذْ رأيتُنِي في الجنَّةِ، فإذا امرأةٌ تتوضَّأُ إلى جانبِ قصرٍ، فقلْتُ: لِمَنْ هذا القصرُ؟ فقالوا: لِعمرَ بنِ الخطابِ، فذكرْتُ غَيْرَةَ عمرَ، فولَّيْتُ مُدْبِراً. قالَ أبو هريرةَ رضي الله عنه: فبكَى عمرُ رضي الله عنه ونحنُ جميعاً في ذلِكَ المجلسِ مَعَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ثمَّ قالَ عمرُ: بأبِي أنْتَ يا رسولَ اللهِ؛ أعليكَ أغارُ؟)). وقَدْ كانَ الشيطانُ يَفْرَقُ مِنْ إسمِهِ؛ وَيفِرُّ مِنْ رَسْمِهِ، فقَدْ أخرجَ البخاريُّ ومسلمٌ عَنْ سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بِيَدِهِ؛ ما لَقِيَكَ الشيطانُ قَطُّ سالِكاً فَجّاً إلاَّ سَلَكَ فَجّاً غيرَ فَجِّكَ)). وحَسْبُ سيِّدِنا عمرَ بنِ الخطابِ مِنْ هذَا الثناءِ. قولُ خاتَمِ الأنبياءِ. صلوات ربي وسلامه عليه بلا انتهاء. في الحديثِ الذي أخرجَهُ الإمام أحمدُ والترمذيُّ عن عُقْبةَ بنِ عامِرٍ رضي الله عنه أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: ((لَوْ كانَ بَعْدِي نَبيٌّ: لكانَ عمرَ بنَ الخطابِ)). أيها المسلمون، قال ابن سعد في طبقاته: إنّ أَوّل مَن سُمِّيَ بِأَمِيرِ المؤْمِنينَ، هو عمر بن الخطاب. وَهُوَ أَوّلُ

مَن كَتَبَ التَارِيخ، كَتَبَهُ مِن هِجرَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلى المدينة المنوّرة، وَهُوَ أَوَّلُ مَن جَمَعَ القُرآن فِي المصحَف، وَهُوَ أَوَّلُ مَن جَمَعَ النَّاسَ عَلى قِيامِ شَهرِ رَمَضَان، وَهُوَ أَوّلُ مَن ضَربَ فِي الخمرِ ثَمَانِينَ جلدة. وَهُوَ أَوَّلُ مَن عَسَّ فِي عَمَلِهِ بِالمدينةِ، وَهُوَ أَوّلُ مَن فَتَحَ الفُتُوحَ؛ فَتَحَ العِراقَ كُلَّهُ وَأَذَرْبِجَانَ وَفَارِسَ. نعم، فتح فارس فلا نستغرب حِقْد الفرس عليه، وفتح الشَّامِ وَمِصرَ، وَهُوَ أَوّلُ مَن وَضَعَ الخراجَ عَلى الأَرضِ وَالجِزيَّةِ عَلى جَمَاجِمِ أَهلِّ الذِّمَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَن مَصّر الأَمصَارَ: الكُوفَةَ وَالبَصرة وَالمَوْصِل، وَأَنزَلَهَا العَرَبُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَن اِستَقضَى القُضَاةَ فيها وجعلها مدنًا، وَأَوَّلُ مَن دَوَّنَ الدَوَاوين، وَكَتَبَ لِلنَّاسِ عَلى قَبَائِلِهِم، وَهُوَ الذي أَخرجَ اليَهُودَ مِن جَزِيرَةِ العَرَبِ وفَتَحَ بَيتَ المقدِسِ، وَوَسَّعَ مَسجِدَ رَسُولِ اَللهِ صلى الله عليه وسلم وَفَرَشَهُ بِالحصَى. كَانَ رضي الله عنه بَارِعًا بِالخِلافَةِ والسِيَاسَةِ ساعيًا فيها للإصلاح، باشر أعماله بصفته خليفة للمسلمين فَوْرَ وفاة سيّدنا أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه. لقد كان الفاروق رضي الله عنه قُدْوَة في عَدْله، أَسَر القلوب وبَهَر العقول، سار في الناس سيرةً عُمَرِيّة ما سمع الناس بمثلها. حتى اقترن إسْمُه بالعدل. يقضي بالحقّ على نفسه وأهله وعشيرته، ويُسَوّي بين الناس، ولا يُحابِي ولا يُجامِل. ورحم الله الإمام البوصيري إذ يقول في همزيّته متوسّلا بسيّدِنا عمر رضي الله عنه. ذاكرا بعض مناقبه:

وَأَبِي حَفْصٍ الذِي أَظْهَر اللّـ*ـهُ بِهِ الدِّينَ فَارْعَوَى الرُّقَبَاءُ

والذِي تَقْرُبُ الأَبَاعِدُ فِي اللّـ*ـهِ إِلَيْهِ وَتَبْعُدُ الْقُرَبَاءُ

عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مَنْ قَوْلُهُ الْفَصْـ*ـلُ وَمَنْ حُكْمُهُ السَّوِيُّ السَّواءُ

فَرَّ مِنْهُ الشَّيْطَانُ إِذْ كَانَ فَارُو * قاً فَلِلنَّارِ مِنْ سَنَاهُ انْبِرَاءُ

أيّها المسلمون. من عباد الله الصالحين مَنْ تتزاحم عليه الأعمال الصالحة؛ فيُوَفَّق لأدائها، ويُخْتَم له بجميعها؛ كما كانت خاتمةُ فاروقِ هذه الأمَّة سيّدُنا عمرُ بنُ الخطَّاب رضيَ الله عنه. فإنّه خَتَمَ عامه الذي مات فيه بالحَجّ، ومَنْ حَجَّ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ؛ رجع كيوم ولدته أمُّه، ففي طبقات ابن سعْد: سَمِعَتْهُ ابنتُه؛ أمُّ المؤمنين السيّدة حَفْصَة رضيَ الله عنها يدعو قائلاً: اللهم ارزقني قتلاً في سبيلكَ، ووفاةً في بلد نبيّكَ. قالت: قلتُ: وأنَّى ذلك؟ قال: إنَّ الله يأتي بأمره أنَّى شاء. وهذا من حُسْن ظنِّه بربِّه، ويقينه بقدرته جلَّ جلاله. وفي حِلْية الأولياء لأبي نُعَيْم عن سعيدِ بن

المسيّب رحمه الله تعالى قال: أنَّ عُمَرَ لمّا أفاض من مِنًى، أناخ بالإبْطِحْ، فكوَّم كومةً من بَطْحَاءَ، وطرح عليها طَرَف ثوبه، ثم استلقى عليها، ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم كَبُرَتْ سنِّي، وضَعُفَتْ قُوَّتي، وانتشَرَتْ رَعِيَّتي؛ فاقْبِضْني إليكَ غيرَ مُضَيِّعٍ ولا مُفَرِّط. قال سعيد: فما انسلخ ذو الحجَّة حتى طُعِنَ. وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال عمر في خطبته الأخيرة: رأيتُ ديكًا نقرني ثلاث نقرات، ولا أراه إلا حضور أجلي، فما مرَّ إلا تلك الجمعة حتى طُعِنَ. فلمَّا كان فجر يوم الأربعاء سنة ثلاث وعشرين للهجرة، قبل نهاية شهر ذي الحجَّة بأربعة أيام. كَمَنَ أبو لؤلؤة المجوسي في المسجد، ومعه سِكّينٌ مسمومةٌ ذات طرفَيْن، ووقف سيّدنا عمر يَعْدِل الصفوف للصلاة، فلمّا كبَّر يصلي بالنَّاس، طعنه في كتفه وفي خاصرته؛ فقال سيّدنا عمر: ((وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا)). ثم أخذ الكلب يسعى، لا يمرُّ على أحدٍ يمينًا ولا شِمالاً إلا طعنه؛ حتى طَعَن ثلاثةَ عشرَ رجلاً، مات منهم سبعةٌ، فلما رأى رجلٌ من المسلمين ذلك؛ طرح عليه بُرْنُسًا، فلمّا ظنَّ العِلْجُ أنّه مأخوذٌ؛ نَحَرَ نفسَه. وتناول سيّدُنا عمرُ يَدَ سيّدِنا عبدِ الرحمن بنِ عوف؛ فقدَّمه للصلاة بالنَّاس، فصلَّى بهم صلاةً خفيفة، فلمّا عَلِم أنّ الذي قتله عبدٌ مجوسيٌّ قال: الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يحاجُّني عند الله بسجدةٍ سجدها قطُّ، وروى البخاري في فضائل الصحابة أنّه أرسل إبنَه عبدَ الله إلى السيّدة عائشة، قال: إنطلِق إلى عائشة أمِّ المؤمنين؛ فقُلْ: يقرأ عليكِ عمرُ السَّلامَ. ولا تَقُلْ أميرَ المؤمنين، فإنّي لستُ اليوم للمؤمنين أميرًا. وقُلْ: يستأذِن عمرُ بنُ الخطاب أنْ يُدْفَنَ مع صاحبَيْه. فسلَّم عبدُ الله بن عمر واستأذن على عائشة، فوجدها قاعدةً تبكي، فقال: يقرأ عليكِ عمرُ بنُ الخطاب السَّلام، ويستأذِن أن يُدْفَن مع صاحبَيْه. فقالت: كنتُ أريده لنفسي، ولأوثرنَّه اليوم على نفسي. فلمّا أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء. قال: إرفعوني. فأسنده ابن عباس إليه، فقال: ما لديكَ؟ قال: الذي تحبُّ يا أمير المؤمنين، أَذِنَتْ. قال: الحمد لله، ما كان من شيءٍ أهمّ إليَّ من ذلك، فإذا أنا قَضَيْتُ فاحْمِلوني؛ ثم سلِّم فقل: يستأذِن عمرُ بنُ الخطاب، فإن أَذِنَتْ لي فأدخلوني، وإن ردَّتني رُدُّوني إلى مقابر المسلمين. وفي طبقات ابن سعد: أنّه لمّا مات رضيَ الله عنه صلَّى عليه صُهَيْبٌ الرُّومي في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ودُفِنَ يوم الأحد هلال المحرّم بجانب صاحبَيْه؛ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأبي بكر رضيَ الله عنه. فجزاك الله أيّها الحبيب الفاروق عن الإسلام والمسلمين كل خير، ورضي الله عنك وأرضاك وأسكنك الفردوس الأعلى بصحبة حبيبك

المصطفى صلى الله عليه وسلم كما صاحبته في الدنيا، كنت من خيرة الصحب، الذين قال الله فيهم: ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)). اللهم وقد حُرِمْنا رؤيتَهم في الدنيا فاجمعنا بهم في الآخرة في جنّات ونهر في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدِر، واشرح اللهم بحبّهم صدورنا. ويسّر بجاههم أمورنا. بجاه حبيبك سيّدنا محمّد. صلى الله عليه وسلم. عينِ كمالاتهم. وسرِّجلالتهم وجمالاتهم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

06- فتح الأكمام عن الورد البسّام في رياض مناقب الصحابيّ الهُمَام سيّدنا الزّبير بن العوّام حواريّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام

الحمد لله ذي المنّ والإحسان، والقدرة والسلطان، الذي أنشأ الخلق بربوبيّته، وجنّسهم بمشيئته، واصطفى منهم طائفة أصفياء، وجعلهم بررة أتقياء، فهم خاصّة عباده، وغَرْسُ بلاده، فسبحانه من إله نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ سيّدنا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِهم فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَه. القائمون بإظهار دينه، والمتمسّكون بسنّة نبيّه، هجروا في محبّة داعيهم إلى الله الأوطار والأوطان، ولم يعاودوها بعد فراقها ووداعها، وحفظوا على أتباعهم أقواله وأفعاله وأحواله. حتى أمنت بهم السنن الشريفة من ضياعها. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قدّر السعادة والشقاء على عباده وِفْق عِلْمه وحِكْمته، وجعل المستجيبين له ولرسوله أهل صفوته، ومدحهم بقوله في سورة المعارج: ((وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ)). وتوعّد أهل الشقاوة بالجحيم، فقال في سورة المعارج: ((وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَا أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلّ مّن يَحْمُومٍ لاَّ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ)). وأشهد أنّ سيّدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله، هدى به أقواماً حائرة، وجمع به قلوباً متنافرة. وديارًا متناثرة، فأقام الدين. وأوضح السبيل. وقاوم الظلم. وقشع الجهل. وقضى على الفساد والإستبداد، وتركنا على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

محمد المصطفى الهادي لسنّتهِ * أعزز به من نبيّ في سيادته

يا مرتجين نوالا من عطيّته * إن شئتُمُ أن تكونوا في شفاعته

صلوا عليه وزيدوا في محبّته

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمّد. خير من استغفر للمؤمنين والمؤمنات وترحّم. وعلى آله ينابيع الجود والكرم. وصحابته الطّيّبين الأخلاق والشِّيَم. صلاة تنزل بها علينا ببركتهم موائد الخير والنعم. وتدفع بها عنّا بعنايتهم عوارض الآفات والنقم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يقول الحق تبارك وتعالى في سورة يوسف: ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى)). إنّ قراءة التاريخ. والتعرّف على أحوال الماضين. يورث الإنسان عزّة ومهابة، ويكسبه إنْ كان عاقلاً صلاحًا في الحياة الدنيا ويوم القيامة، وإنّ التاريخ الإنساني. بطوله وعَرضه. لم يشهد من الصدق والتوثيق وتحرَّي الحق والحقيقة. مثل ما شهد تاريخ الإسلام في سِيَر رجاله السابقين. الذين هم أعظم ثلّة ظهرت على وجه الأرض في دنيا الناس، رجال اشتدّت بالله عزائمهم. وصدقت لله نواياهم. ولرضاه نذروا حياتهم، إنّهم صَحْب رسول الله صلى الله عليه وسلم. رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين. وإنّ معرفة أحوالهم لتضيء الطريق أمام المؤمن، فمِن هنا كان لزامًا علينا معرفة أخبارهم. ونشر سِيَرهم. ليعلم المسلمون أنّ هؤلاء هم نقلة الإسلام، والمحافظة على الإسلام تستوجب العناية بتاريخهم، ولن يصلح أمر هذه الأمّة إلا بما صلح به أوّلها، فالواجب على المسلمين محبّتهم واحترامهم. ومعرفة فضلهم وسبقهم. والإستغفار لهم، كما قال تعالى في سورة الحشر: ((وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)). أيّها المسلمون. إنّنا اليوم أمام سيرة رجلٍ من هؤلاء الرجال العظام، من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام. وابن عمتّه وحواريّه المقدام. وهو أحد السابقين الأوائل الذين سارعوا إلى دين الإسلام، وأوّل مَن سلّ سيفه في سبيل الله دفاعا عن خير الأنام. وأحد العشرة المبشَّرين بالجنّة دار السلام، وأحد الستّة أهل الشورى الذين اختارهم سيّدنا عمر؛ ليكون منهم الخليفة إذا نزل به الحِمام، الذي في مثل هذا الشهر. أعني في شهر جمادى الأولى سنة ستّ وثلاثين من الهجرة، استشهد غدرا وهو قائم يصلّي. عند انسحابه من واقعة

الجمل. قرب البصرة. إنّه سيّدنا الزّبير بن العوّام. عليه من الله الرضى والإكرام. أيّها المسلمون. يلتقي نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في قُصَي بن كِلاَب. فهو سيّدنا الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزَّى بن قُصَي بن كِلاَب القرشي الأسدى. وَابْنُ عَمَّتِهِ السيّدة صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، رضي الله عنها. وابن أخي السيّدة خديجة بنت خويلد بن أَسَدِ أمّ المؤمنين. وزوج رسول ربّ العالمين، صلى الله عليه وسلم في كل حين. وَكَانَتْ أُمُّهُ السيّدة صَفِيَّةُ تَضْرِبُهُ ضَرْباً شَدِيْداً، وَهُوَ يَتِيْمٌ. فَقِيْلَ لَهَا: قَتَلْتِهِ، أَهْلَكْتِهِ. فبيّنت لهم أنّها ما فعلته إلا لرفعة ابنها الزبير. فقَالَتْ:

إِنَّمَا أَضْرِبُهُ لِكَي يَدِبُّ * وَيَجُرَّ الجَيْشَ ذَا الجَلَبْ

أَسْلَمَ رضي الله عنه وَهُوَ حَدَثٌ، لَهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً. وكان إسلامه بعد إسلام سيّدنا أبي بكر رضي الله عنه بيسير، وكان رابعًا أو خامسًا في الإسلام، وقد تعرّض بعد إسلامه للتعذيب، فقد رُوِي أنّ عمّه كان يلفّه في حصير، ويدخِّن عليه بالنار حتى تزهق أنفاسه، وهو يقول له: اكفر برب محمد، أدرأ عنك العذاب، فيقول له الزبير: لا أعود للكفر أبداً، ومرّة سمع أَنَّ رَسُولَ اللهِ أُخِذَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ وَهُوَ غُلاَمٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ، فَمَنْ رَآهُ عَجِبَ، وَقَالَ: الغُلاَمُ مَعَهُ السَّيْفُ، حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ له: مَا لَكَ يَا زُبَيْرُ؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّكَ أُخِذْتَ، قَالَ: فَكُنْتَ صَانعاً مَاذَا؟ قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ بِسَيْفِي مَنْ أَخَذَكَ، فَدَعَا لَهُ بالخير. وَلِسَيْفِهِ بالغلب. فنال بذلك هذه المنقبة وهي أنّه أوّل مَن سلّ سيفا في الإسلام، وقد هاجر الهِجْرَتين؛ الأولى إلى الحبشة، والثَّانية إلى المدينة المنوّرة، أيّها المسلمون. كان سيّدنا الزّبير بن العوّام رضي الله عنه فارسًا مقدامًا، وبطلاً مغوارًا، لم يتخلَّف عن مشهد واحد من مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، تراه في كل غزوة وفي كل معركة، فقد اتّصف بالشجاعة الخارقة، والبطولة النادرة، والإخلاص الكامل، والتفاني لإعلاء كلمة الحق. ولقد بذل رضي الله عنه الكثير في سبيل الله، وجعل نفسه وماله وقفًا لله عزّ وجلّ. فأكرمه الله. ورفعه في الدنيا والآخرة، فقد كانت عليه عمامة صفراء معتجرًا بها يوم بدر، فنزلت الملائكة على سِيماء الزبير، عليهم عمائم صفر. ويوم أُحُد قَالَتْ السيّدة عَائِشَةُ رضي الله عنها لعروة بن الزبير: ((الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ)). يَا ابْنَ أُخْتِي! كَانَ أَبوَاكَ منهم. يَعْنِي: الزُّبَيْرَ، وَأَبَا بَكْرٍ. لَمَّا انْصَرَفَ المُشْرِكُونَ مِنْ أُحُدٍ، وَأَصَابَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ مَا أَصَابَهُمْ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، فَقَالَ:

((مَنْ يُنْتَدَبُ لِهَؤُلاَءِ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّ بِنَا قُوَّةً؟)). فَانْتُدِبَ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ فِي سَبْعِينَ، فَخَرَجُوا فِي آثَارِ الْمُشْرِكِينَ، فَسَمِعُوا بِهِم، فَانْصَرَفُوا. قَالَ تَعَالَى: ((فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ)). لَمْ يَلْقَوا عَدُوّاً. ومِن مواقفه العظيمة ما رواه البخاريُّ ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رضِي الله عنْهما أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليْه وسلَّم قال يوم الأحزاب: ((مَن يأتينا بخبر القوم؟))، فقال الزبير: أنا، ثمَّ قال: ((مَن يأتينا بخبر القوم؟))، فقال الزبير: أنا، ثمَّ قال: ((مَن يأتينا بخبر القوْم؟))، فقال الزبير: أنا، ثمَّ قال: ((إنَّ لكلِّ نبيٍّ حواريًّا، وإنَّ حواريّ الزُّبير)). ومعنى حواريي الزبير: أي: خاصّتى من أصحابي وناصري، ومنه الحواريّون أصحاب سيّدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، أيْ خلصاؤه وأنصاره، وجاء في (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) للعَيْني: فإن قلت: الصحابة كلهم أنصار رسول الله عليه الصلاة والسلام خلصاء. فما وجه التخصيص به؟ قلنا: هذا قاله حين قال يوم الأحزاب: من يأتيني بخبر القوم؟ قال الزبير: أنا، قال: من يأتيني بخبر القوم؟ فقال: أنا، وهكذا مرّة ثالثة. ولا شكّ أنّه في ذلك الوقت نصر نصرة زائدة على غيره. وقد فداه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب بأبيه وأمّه؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: كُنْتُ يَوْمَ الأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي النِّسَاءِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ عَلَى فَرَسِهِ، يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً، فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ: يَا أَبَتِ، رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفُ، قَالَ أَوَ هَلْ رَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ))، فَانْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَبَوَيْهِ فَقَالَ: ((فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي)). وفي هذه التفدية تعظيم لقدره. واعتداد بعمله، واعتبار بأمره، أيّها المسلمون. ومن مواقفه العظيمة رضي الله عنه كذلك. ما حدث في فتح مصْر، عندما استعْصت على جيش المسلمين، ودام الحصار سبعةَ أشهُر، فتقدَّم وقال: أهَب نفسي لله وللمُسْلمين، فوضع سلَّمًا وأسنده إلى جانب الحِصْن. ثمَّ صعد عليْه، وأمر بقيَّة الجنود إذا سمِعوا تكبيراتِه أن يُجيبوه جميعًا، ثمَّ رمى بنفسِه في الحِصْن، فلم يشْعُر الأعداء إلاَّ والزُّبير داخل الحصن، فبدأ يضْرِب بسيْفِه. حتَّى وصل إلى الباب وفتحه، وكبَّر المسلمون ودخلوا الحِصْن، وكان الفتح الكبير. وكان له رضي الله عنه موقف بطولي رائع في معركة اليرموك الشَّهيرة، وكان عدد جيْش الروم مائَتَي ألف مقاتل. كما يذكر المؤرّخون. فقد روى البخاري في صحيحه من حديث هشام بن عُرْوة عن أبيه، أنَّ أصحاب رسول الله صلَّى الله عليْه وسلَّم قالوا للزُّبير

يوم اليرموك: ألا تشدّ فنشدّ معك؟، فقال: إنّي إن شددتُ كذبْتُم، فقالوا: لا نفعل، فحمل عليْهِم حتَّى شقَّ صفوفَهم فجاوَزَهم وما معه أحد، ثمَّ رجع مقبِلاً، فأخذوا بلِجامه، فضربوه ضربتَين على عاتقِه، بينهما ضربة ضُرِبَهَا يوم بدر، قال عروة: كنتُ أُدْخِل أصابعي في تلك الضَّربات ألعب وأنا صغير، قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزُّبَير يومئذٍ، وهو ابنُ عشْر سنين، فحمله على فرسٍ ووكّل به رجلاً. ولمَّا حدثتْ معركة الجمل قال لابنه عبد الله كما في سُنن التّرمذي من حديث هشام بن عروة: ما منِّي عضوٌ إلاَّ وقد جُرح مع رسول الله صلَّى الله عليْه وسلَّم، قال علي بن زيد: أخبرني مَن رأى الزُّبير أنَّ في صدره أمثال العيون من الطَّعن والرمي. ومن شدّة حب سيّدنا الزبير رضي الله عنه للشهادة، سمّى أولاده بأسماء الصحابة الشهداء، فقد روى هشام بن عروة عن أبيه قال: قال الزبير: إنَّ طلحة يسمّي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنّه لا نبيّ بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وإنّي أسمّي بأسماء الشُّهداء لعلّهم يستشهدون: عبد الله بعبد الله بن جحش، والمنذر بالمنذر ابن عمرو، وعروة بعروة بن مسعود، وحمزة بحمزة بن عبد المطلب، وجعفر بجعفر بن أبى طالب، ومصعب بمصعب بن عمير، وعبيدة بعبيدة بن الحارث، وخالد بخالد بن سعيد، وعمرو بعمرو بن سعيد بن العاص. أيّها المسلمون. وممّا يُذكَر من مناقبه رضي الله عنه شدّة غيرته. فعن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنها قالت: تزوّجني الزبير رضي الله عنه وما له في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه. قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسُوسُه، وأدقّ النوى للناضحة، وأعلفه وأسقيه الماء وأخرز غربه، وأعجن، ولم أكن أحسن الخبز. فكان يخبز لي جارات من الأنصار. وكنّ نسوة صِدْق. قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي، وهي على ثُلثي فرسخ، قالت: فجئت يومًا والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه. فدعا لي، ثم قال: ((أخ أخ))، ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، قالت: وكان من أغير الناس. قالت: فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّي قد استحييت فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسي النوى، ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب معه، فاستحييت وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد عليَّ من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم، فكفتني سياسة الفرس، فكأنّما أعتقني.

وكان رضِي الله عنْه رجلاً غنيًّا كريمًا. يُنفق ولا يُبالي، له من المماليك ألف مَملوك كلهم يؤدّي إليه الخراج، فكان لا يُدخِل بيتَه من خراجهم شيئًا، بل يتصدَّق به كلّه. وقد أَوْصَى إِلَى الزُّبَيْرِ سَبْعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُم: عُثْمَانُ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى الوَرَثَةِ مِنْ مَالِهِ، وَيَحْفَظُ أَمْوَالَهُمْ. وفي صحيح البخاري أنَّه قال لابنه عبد الله يوم الجمل: يا بُنَيّ، إنَّه لا يُقتَل اليوم إلاَّ ظالم أو مظلوم، وإنّي لا أُراني إلاَّ سأقتل اليوم مظلومًا، وإنَّ من أكبر همِّي لَدَيْنِي، قال عبد الله: فجعل يوصيني بدَيْنه ويقول: يا بُنيَّ، إن عجزتَ عنْه في شيء فاستعِنْ عليْه بمولاي، قال: فوالله ما دريتُ ما أراد حتَّى قلتُ: يا أبتِ مَن مولاك؟ قال: الله، قال: فوالله ما وقعتُ في كربة من دَيْنه إلاَّ قلتُ: يا مولى الزبير، اقضِ عنه دينَه، فيَقضيه. وإنّما دَيْنه الذي كان عليه، أنّ الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إيّاه، فيقول الزبير: لا ولكنّه سلف، فإنّي أخشى عليه الضيعة. قال: فحُسِب ما عليه من الدَّيْن فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف، فقُتِل ولم يدع ديناراً ولا درهماً. يعني نقداً. إلا أرضَيْن فبعتهما. يعني وقضيت دَيْنه، فقال بنو الزبير: أقسِم بيننا ميراثنا؟ فقلت: والله لا أقسم بينكم، حتى أنادي بالموسم أربع سنين، ألا مَن كان له على الزبير دَيْن فليأتنا فلنقضه. فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلمّا مضى أربع سنين قسّم بينهم. أيّها المسلمون. بعد استشهاد سيّدنا عثمان رضي الله عنه، أتمّ الزبير بن العوّام وطلحة بن عبيد الله المبايعة لسيّدنا علي بن أبي طالب. رضي الله عنهم أجمعين ، وخرجوا إلى مكة معتمرين ، ومن هناك إلى البصرة للأخذ بالثأر من قتلة عثمان، وكانت موقعة الجمل سنة ستّ وثلاثين للهجرية. وكان طلحة والزبير في فريق، و سيّدنا علي في الفريق الآخر، وانهمرت دموع سيّدنا علي، وبكى بكاءً غزيراً، عندما أبصر أمّ المؤمنين عائشة في هودجها. على رأس الجيش الذي يخرج الآن لقتاله، وعندما أبصر وسط الجيش طلحة والزبير، حورايّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال للزبير: يا زبير، نشدتك الله، أتذكر يوم مرّ بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمكان كذا، فقال لك: ((يا زبير، ألا تحبّ عليّا؟)). فقلت: ألا أحب ابن خالي، وابن عمّي، ومَن هو على ديني؟ فقال لك: ((يا زبير، أما والله لتقاتلنّه، وأنت له ظالم))، قال الزبير رضي الله عنه: نعم أذكر الآن، وكنت قد نسيته، والله لا أقاتلك، وأقلع الزبير وطلحة عن الإشتراك في هذه الحرب، أقلعا فَوْر تبيّنهما الأمر، وعندما أبصرا عمّار بن ياسر يحارب في صفّ عليّ، تذكّرا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمّار: ((تقتلك الفئة الباغية))، فإنْ قُتِل عمّار إذن في هذه المعركة

التي يشترك فيها الزبير طلحة، فسيكون الزبير باغياً. فانسحب طلحة والزبير من القتال، ودفعًا ثمن ذلك الإنسحاب حياتهما، ولكنّهما لقيَا الله قريرة أعينهما بما منّ عليهما من بصيرة وهدى. أمّا الزبير لمّا كان بواد السباع قرب البصرة. تعقّبه رجل اسمه عمرو بن جرموز. ومعه نفر من الذين كانوا يريدون للفتنة دوام الإشتعال، وطعنه القاتل الغادر وهو بين يدي ربّه يصلي. وأمّا طلحة فقد رماه مروان بن الحكم بسهم أودى بحياته. وعَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ ابْنُ جُرْمُوْزٍ عَلَى عَلِيٍّ وَأَنَا عِنْدَهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنَ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ، سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ: ((لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ)). وجِيْءَ بِرَأْسِ الزُّبَيْرِ إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ عَلِيٌّ: تَبَوَّأْ يَا أَعْرَابِيُّ مَقْعَدَكَ مِنَ النَّارِ، حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَنَّ قَاتِلَ الزُّبَيْرِ فِي النَّارِ)). ولمَّا رأى عليّ سيفَ الزبير قال: إنَّ هذا السَّيف طالما فرّج الكرب عن وجْه رسولِ الله صلَّى الله عليْه وسلَّم. ولما فرغ سيّدنا علي رضي الله عنه من دفن طلحة والزبير، وقف يودّعهما بكلمات جليلة، اختتمها قائلاً: إنّي لأرجو أن أكون أنا، وطلحة، والزبير، وعثمان. من الذين قال الله فيهم: ((وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ))، ثم ضمّ قبريهما بنظراته الحانية الصافية الآسية وقال: سمعت أذناي هاتان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((طلحة والزبير، جاراىَ في الجنّة)). فرضي الله عن الزبير بن العوام وأرضاه، فإنّه قد شهد له سيّد الأوّلين والآخرين، ورسول رب العالمين بالجنّة، فلله الحمد والمنّة، روى الترمذي في صحيحه أنّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ)). فرضِي الله عنهم أجمعين، وجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرَ الجزاء، وجَمَعنا بهم في دار كرامتِه مع النَّبيّين، والصدِّيقين، والشُّهداء، والصَّالحين، وحسُن أولئِك رفيقًا. اللهم انفعنا بمحبتهم. واحشرنا في زمرتهم. ولا تخالف بنا يا مولانا عن سنّتهم ولا عن طريقتهم. اجعلنا اللهم مِمَّنْ قلت فيهم: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءوف رَحِيمٌ)). بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

07- ذكرى استشهاد سيّدِنا عثمان بنِ عفّان رضيَ اللهِ عنه

الحمد لله الذي جعل أهلَ خاصّته أشرفَ الناس منزلةً وأعلاهم مقاما. ورفع بهم شأن هذه الملّة المحمّديّة وأعزّ إسلاما. وأظهر بسيّدِنا عثمان بنِ عفّان مرتبةَ الشهداء وأكرمَهم إكراما. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له؛ اختار الإسلام ديناً وارتضاه، فأرسل به سيّدَنا محمّدا صلى الله عليه وسلم واصطفاه، وجعل له أصحاباً فاختار كُلاًّ منهم لصُحْبته واجتباه، وجعلهم كالنجوم بأيّهِمُ اقتدى الإنسان اهتدى إلى الحقّ واقتفاه، وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. بعثه ربّه بالنِّعَم المستدامة. وأرسله هاديا إلى موارد السلامة. وأكرم صحابتَه بالفخر العظيم بنيل الشهادة. وجعلهم مِمَّن فازوا بالحسنى وزيادة.

يا أمّة الهادي ومَنْ كَمِثَالِكُمْ * فجلالُ أحْمدَ شاهد بجمالكمْ

هو سُتْرَتُكم هو ذُخرُكم ومليكُكُم * صلّوا عليه وسلِّموا فبذلكم

تُهْدَى النفوس لرُشْدِها وغِناها

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدِنا محمّد. الذي لِلرُّسْل مِسْك الخِتام. وعلى آله الأجّلة الأعلام. وصحابته نجوم الهداية ومصابيح الظلام. صلاة تختِم بها لنا بخاتمة الإسلام. وتثبّت بها أقدامنا على الصراط يومَ تزلّ الأقدام. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ أفضل الخَلْق بعد الأنبياء والمرسَلين. أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحديثنا في هذه الخطبة عن صحابيّ جليل القَدْر والمكانة، الذي في مثل يومنا هذا وهو يوم الجمعة. وفي مثل هذا الشهر. أعني في الثامن عشر من شهر ذي الحجة. من السنة الخامسة والثلاثين للهجرة النبوية. نال الشهادة مقتولا. ولحق بجوار ربّه في أعلى علّيّين. إنَّهُ صِهْرُ خاتَمِ النَّبيّينَ؛ وثالثُ الخُلفاءِ الرَّاشدينَ، سيّدنا عثمانُ بنُ عفانَ ذو النُّورَيْن. رضي الله عنه وأرضاهُ، يجتمع نسبه مع النبيّ صلى الله عليه وسلم في جدِّه الثالث عبد مناف، وهو حفيدُ عمَّته البيضاء بنتِ عبد المطّلب، أسلم قديمًا على يدَيْ سيّدنا أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، قبل دخول رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وكانت سِنُّه قد تجاوزت الثلاثين، وتحمّل في سبيل ذلك أذًى كثيرا. وظلّ ثابتا على عقيدته، فهو أوّل مَنْ هاجر إلى الحبشة مع زوجته رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الهجرة الأولى والثانية، وقد قال فيه صلى الله عليه

وسلم: ((إنّ عثمان لأوّل مَنْ هاجر إلى الله بأهله بعد لوطٍ))، لُقِّب رضي الله عنه بذي النُّورَيْن. لأنَّه استنارَ بشِهابِ قَبَسٍ مِنْ نورِ سيّدِ الثَّقلَيْنِ، فقد زوَّجَهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إبنتَهُ رقيّةَ رضيَ اللهُ عنها، فتُوفِّيَتْ بعدَ هجرتِها إلى المدينةِ بعامَيْنِ، ثمَّ زوَّجَهُ ابنتَهُ أمَّ كُلثومٍ رضيَ اللهُ عنها بعدَ موتِ أختِها بستَّةِ أشهرٍ. فلمّا ماتت تأسّف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصاهرته فقال: ((والذي نفسي بيده، لو كان عندي ثالثة لزوّجتُكَها يا عثمان)). ولا يُعْرَفُ أَحَدٌ تزوّج بِنْتَيْ نبيّ غيرُه. وكانَ رضيَ اللهُ عنه متخلِّقاً بخُلُقِ الحياءِ؛ حتَّى إنَّه لتَسْتَحِي منه ملائكةُ السَّماءِ، أخرجَ الإمام مسلمٌ في صحيحِهِ مِنْ حديث السيّدة عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أنّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: ((ألا أستحِي مِنْ رجلٍ تستحِي منهُ الملائكةُ؟)). ويوم الحديبية بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أشراف قريش. لكونه أعزَّ بيتٍ بمكة، ليخبرهم أنّه أتى للعمرة. فقالوا له: إن شئت أن تطوف أنت بالبيت فطُفْ. لكنّه امتنع أن يطوف أدبا مع النبي صلى الله عليه وسلم أن يطوف قبله وقال: ما كنتُ لأفعل حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي غيبته اتّفقت بَيْعة الرضوان. فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشِماله على يمينه وقال: ((هذه يدُ عثمان، اللَّهم هذه عن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك))، فقال الناس: هنيئًا لعثمان. كان رضي الله عنه صاحب ثروة عظيمة وجاه في قريش، أنفق الكثير من ماله الوفير لخدمة الاسلام والمسلمين. ومن ذلك شرائه لبئر رُومَة، فقد كانت هذه البئر لرجل يهودي في المدينة وكان يبيع ماءها، فلما هاجر المسلمون إلى المدينة المنوّرة تمنّى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يجد مِنْ بين أصحابه مَنْ يشتريها. لِيَفيض ماؤها على المسلمين بغير ثمن وله الجنّة، فسارع سيّدنا عثمان إلى اليهودي فاشتراها منه. ووهبها للمسلمين. ولما حثّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تجهيز جيش غزوة تبوك الذي سُمِّيَ بجيش العُسْرة، سارع سيّدنا عثمان بتقديم تسعمائة وأربعين بعيرا وستّين فرسا أتمّ بها الألف. فدعا له النبيّ صلى الله عليه وسلم قائلا: ((غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة)). كما قال صلى الله عليه وسلم: ((ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم)). ورحم الله الإمام البوصيري إذ يقول في همزيّته متوسّلا ببعض فضائلِه الكثيرةِ؛ ومناقبِه الوفيرةِ:

وَابْنِ عَفَّانَ ذِي الأَيَادِي التِي طَا * لَ إِلَى الْمُصْطَفَى بِهَا الإِسْدَاءُ

حَفَرَ الْبِئْرَ جَهَّزَ الْجَيْشَ أَهْدَى * الْهَدْيَ لَمَّا أَنْ صَدَّهُ الأَعْدَاءُ

وَأَبَى أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ إِذْ لَمْ * يَدْنُ مِنْهُ إِلَى النَّبِيِّ فِنَاءُ

فَجَزَتْهُ عَنْهَا بِبَيْعَةِ رِضْوَا * نٍ يَدٌ مِنْ نَبِيِّهِ بَيْضَاءُ

أَدَبٌ عِنْدَهُ تَضَاعَفَتِ الأَعْـ*ـمَالُ بِالتَّرْكِ حَبّذَا الأُدَبَاءُ

ومن أعماله رضي الله عنه العظيمة أيضاً، توسعة المسجد الحرام، عام ستّ وعشرين من الهجرة. فاشترى لذلك ما حولها من الأماكن. وفي سنة تسع وعشرين قام بتوسعة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبناه بالحجارة المنقوشة، وجعل أعمدته من الحجارة. أيّها المسلمون. وإنّ أعظم منقبة سُجِّلَت لسيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ولا ينساها التاريخ له أبداً، بل لا ينساها أهل الإسلام أبداً. لأنّه بها اجتمع شَمْل الأمّة المحمّدية. وذهب كيد الشيطان عنها. ألا وهو جَمْعُه الناس على حَرْف واحد، وكتابة المصحف على العَرْضَة الأخيرة التي درسها جبريل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر سني حياته. وبعد دَفْنِ سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بثلاث ليال. بُويِعَ سيّدُنا عثمان بن عفان بالخلافة يوم الإثنين لِلَيْلَةٍ بقِيَت من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة. واستقبل بخلافته المحرّم سنة أربع وعشرين. وعاش في الخلافة اثنتي عشرة سنة. وفي خلافته رضي الله عنه فتح المسلمون الكثير من البلاد. وفي أواخر عهده، ومع اتّساع الفتوحات الإسلامية، أراد بعض الحاقدين على الإسلام وفي مقدّمَتِهم اليهود. إثارةَ الفتنة للنَّيْل من وِحْدة المسلمين ودولتهم، فأخذوا يُثيرون الشُّبُهات حول سياسة سيّدنا عثمان. يُحرّضهم على ذلك عبد الله بن سبأ رأس الفتنة، ولقد ثَبَتَ رضي الله عنه على هذه الفتنةِ خيرَ ثباتٍ، ولم يَخْلَعْ قميصَ الخلافةِ لهؤلاءِ البُغاةِ؛ إمتثالاً لأمرِ النَّبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، الذي أخرجَه الإمام أحمدُ والتِّرمذيُّ عنْ عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها أنَّه قال له: ((يا عثمانُ؛ إنَّهُ لعلَّ اللهَ يُقَمِّصُكَ قميصاً، أيّ الخلافة. فإنْ أرادكَ المنافقون على خَلْعِهِ فلا تخلَعْهُ لَهُم حتى تلقاني)). فما كانَ مِنْ هؤلاءِ الخوارجِ الْمُعْتَدينَ؛ إلا أنْ بغَوا وقتلُوا أميرَ المؤمنينَ؛ الذي جاوزَ عُمْرُهُ الثمانينَ، وفي حِجْرِهِ الكتابُ المبينُ، في المدينةِ النبويَّةِ، وكان ذلك في يومِ الجمعةِ، لثمانِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خلت من شهر ذي الحجة. سنة خمس وثلاثين للهجرة، فسقطت أوَّلُ قَطْرةٍ من دمِهِ على قوله تعالى ((فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ)). وهذا

مصداقُ قولِ المعصومِ. صلى الله عليه وسلم. الدَّالِ على أنَّ سيِّدَنا عثمانَ مظلومٌ، فقدْ أخرجَ التِّرمذيُّ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما قال: ذَكَرَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فتنةً فقال: ((يُقْتَل فيها هذا مظلوماً)) لعثمانَ رضِيَ اللهُ عنه، ولما أردوا قَتْله. قال لهم: واللهِ، لئن قتلتموني لا تتحابّون بعدي أبدًا، ولا تصلّون جميعًا أبدًا، ولا تقاتلون عدوّا جميعًا أبدًا، قال الحافظ ابن كثير: وقد صدق فيما قال رضي الله عنه. وكان مَقْتَلُه بداية فَتْحِ بابِ الفتنة بين المسلمين. فلم ينغلق إلى يومنا هذا. ودُفِنَ رضي الله عنه ليلة السبت بين المغرب والعشاء بمقبرة البقيع بالمدينة المنوّرة. وصلّى عليه سيّدنا الزبير بن العوّام رضِيَ اللهُ عنه. ورُوِيَ أنّه قال يوم قَتْلِه: رأيتُ النبيّ صلى الله عليه وسلم في المنام. ويده في يد أبي بكر الصدّيق وعمر بنِ الخطّاب رضِيَ اللهُ عنهما. فقال: يا عثمان. حاصروك؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: أعطشوك؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: قاتلوك؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: إنّ الله تعالى يخيّرك بين أمرين. إمّا أن تُنصَر عليهم. وإمّا أن تُفْطِر عندنا الليلة. فاخترتُ أن أتعشّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمات في ذلك اليوم. فرضي الله تعالى عنه وأرضاه. وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرًا. ونفعنا ببركته. وحشرنا في زمرته. مع حبيبنا رسول الله. صلى الله عليه وسلم. اللهم اجعلنا مِمَّنْ قلت فيهم: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءوف رَحِيمٌ)). بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

08- تطييب الأفواه في مجالس أهل الله بذكر بعض مناقب الصحابي الشهيد ذو الخير والجاه سيّدنا طلحة بن عُبَيْد الله

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعّال لما يريد، هدى صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد، والمسلك السديد، وأنعم عليهم بشهادة التوحيد، وسلك بهم إلى اتّباع رسوله المبعوث بالقرآن المجيد، والمنصور بالتأييد والتسديد، واقتفاء آثاره المعصومة من ظلمات التشكيك والترديد. فسبحانه من إله يُضلّ من يشاء بعدلِه وحِكمته، ويهدي من يشاء بفضلِه ورحمتِه. وهو الحكيم العليم، جعل أمّة سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم خير أمّة أخرجت للناس، وفضّلها على غيرها بما قامت به من واجبات

عظيمة وصبر في البأساء والضراء وحين البأس، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أسبغ علينا نعمه، وأفاض لدينا مننه، وخصّنا بإرسال أكرم الخلق عليه. وأزكاهم لديه، فشرح صدره. ووضع وِزْره. ورفع ذِكْره، وجعل خير القرون قَرْنه الذي به قَرَنه. واختار له خير العباد أعوانا، قذف في قلوبهم تصديقه ومحبّته، فآمنوا به وعزّروه ووقّروه، وجاهدوا في الله حق جهاده، فاستشهد لله منهم مَن استشهد، على المنهاج الواضح، والبيع الرابح، وتوفي منهم مَن توفي على الحق الناصع، والتوحيد الناصح، وأشهد أنَّ سيّدنا محمدًا عبد الله ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. وخيرته من بريّته، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، ابتعثه بخير ملّة وأحسن شِرْعة، وأظهر دلالة، وأوْضح حجّة، وأبْيَن برهان إلى جميع العالمين، إنسهم وجنّهم، عربهم وعجمهم، حاضرهم وباديهم، الذي بشّرت به الكتب السالفة، والأمم الخالية، ضربت لنبوّته البشائر من عهد آدم أبي البشر، إلى عهد المسيح ابن البشر.

يا أمّة المصطفى يا سادة الأُمَمِ * هذا محمّدنا طريقُه واضِحُ

وبهديه مهما اهتديتم تُفلِحوا * وإذا أردتمْ في الأمور تنجحُوا

صلّوا عليه في كل حين تربَحُوا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمد. عُنْصُرِ شجرة النبوءة التي تنافست الرجال في خدمتها. وعلى آله الحائزين شرف السيادة وعظيم مِقْدارها. وعلى أصحابِه الذين هجروا في محبّة داعيهم إلى الله الأوطار والأوطان، ولم يرجعوا إليها بَعْدَ فراقها وَوَدَاعِها، صلاة وسلاما دائمَيْن متلازمَيْن يكونان لنا سببا لدخول الجنّة والتمتّع برياضها. وأعذب أنهارها. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ الله تعالى اصطفَى لهذهِ الأمّةِ خيرَ الرّسُل، واختارَ سبحانَه لصُحبة نبيّه خيرَ رجالٍ في أمّته. لا كان ولا يكون مثلُهم، غفر الله ذنبَهم. ورَفَع مكانتهم. ورَضِيَ عنهم بإيمانهم. وإخلاصهم وصُحبتهم. وسَبْق نُصرتهم للنبيّ صلى الله عليه وسلم، قال عزّ وجلّ في سورة التوبة: ((وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم)). وقال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خير أمّتي القرن الذي بُعِثت

فيهم))، وقال فيهم سيّدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: مَن كان مستنًّا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد كانوا والله أفضل هذه الأمّة، وأبرَّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلّها تكلّفًا. قوم اختارهم الله لصحبة نبيّه. وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم. واتّبعوهم في آثارهم، وتمسّكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنّهم كانوا على الهدي المستقيم. نعم. صحبٌ كرام كانوا من السابقين الأوّلين إلى الإسلام، فتوالى عليهم من البلاء والمحن والتعذيب ما لا يعلمه إلا الله، ولكنّهم صبروا وصدقوا. حتى كانوا خير المؤمنين الذين حملوا لواء الدعوة إلى الله بكل إخلاص وأمانة، وصدق فيهم قوله تعالى في سورة الأحزاب: ((مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)). أيّها المسلمون. ومن بين الصحب الكرام صحابي جليل كان أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد سيّدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنّة، وأحد الستّة أهل الشورى الذين اختارهم سيّدنا عمر رضي الله عنه ليكون منهم الخليفة بعده. الذين تُوُفِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، الذي في مثل هذا الشهر. أعني في يوم الخميس العاشر من شهر جمادى الأولى سنة ستّ وثلاثين للهجرة، استشهد غدرا عند انسحابه من واقعة الجمل. قرب البصرة. إنّه سيّدنا طلحة بن عُبَيْد الله. القرشي التَّيْمي، ابن عمّ سيّدنا أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنهما؛ يلتقي نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب. ولد رضي الله عنه سنة ثمان وعشرين قبل الهجرة. أسلم في بدايات الدعوة الإسلامية. فعن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: قال لي طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: حضرت سوق بُصرى فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل هذا الموسم، أفيهم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة بن عبيد الله: قلت: نعم، أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعدُ؟ قال: قلت: ومَن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، مخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل وحَرّة وسباخ، فإياك أن تُسْبَق إليه. قال طلحة بن عبيد الله: فوقع في قلبي ما قال، فخرجت سريعًا حتى قدمت مكة، فقلت: هل كان مِن حدث؟ قالوا: نعم، محمد بن عبد الله الأمين تنبَّأَ، وقد تبعه ابن أبي قحافة. يعنون به سيّدنا أبا بكر الصّدّيق رضي الله عنه. قال: فخرجت حتى دخلت على أبي بكر، فقلت: أتبعتَ هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلِقْ إليه فادخلْ عليه

فاتّبِعْه؛ فإنه يدعو إلى الحق. فأخبره طلحة بما قال الراهب، فخرج أبو بكر رضي الله عنه بطلحة فدخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلم طلحة رضي الله عنه وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال الراهب، فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سرورًا عظيمًا بذلك. وعلى الرغم من جاهه في قومه، وثرائه العريض، وتجارته الناجحة. فقد حمل حظّه من اضطهاد قريش، إذ وُكِّل به وبأبي بكر نَوْفل بن خويلد، وكان يُدْعى أسد قريش، فربطهما في حَبْل واحد. ولم يمنعهما بنو تيم. وكان يعذّبهما تعذيبًا شديدًا، فلم يجيباه إلى ما أراد من الرجوع عن الإسلام إلى الكفر. فلذلك سُمّي أبو بكر وطلحة القرِينَيْن. بيد أنّ اضطهادهما لم يطل مَداه، إذ سرعان ما خجلت قريش من نفسها، وخافت عاقبة أمرها. أيّها المسلمون. لمّا هاجر طلحة بن عُبَيْد الله إلى المدينة المنوّرة، آخى النبي صلى الله عليه و سلم بينه وبين أبا أيّوب الأنصاري رضي الله عنهما. وقد شهد طلحة رضي الله عنه المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا غزوة بدرٍ، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لَمَّا وصلته أخبار عن عير قريش. بعث طلحة بن عُبَيْد الله وسعيد بن زيد ليأتياه بأخبار العير. فخرجا حتى بلغا الحوراء. فلمّا مرّت بهما العير. رجعا يريدان المدينة ليخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرها. لكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد خرج قبل مجيئهما، وكانت وقعة بدر في اليوم الذي دخل فيه طلحة وسعيد المدينة. فلم يشهدا الغزوة، فضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهامهما وأجورهما في بدر. فكانا كمَن شهدها. ثم شهد طلحة غزوة أُحُد وما بعدها من الغزوات، وبايع بيعة الرضوان، وكان يوم أُحُد يومًا مشهودًا، أبلى فيه طلحة بلاء حسنًا. ووقّى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بنفسه، واتّقى عنه النَّبْلَ بيده حتى شُلَّتْ أصبعه، وضُرِبَ على رأسه. ووُجِد به بضع وسبعون طعنة ورمية وضربة، وحَمَل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى صعد الصخرة. روى البخاري في صحيحه من حديث قيس بن أبي حازم، قال: رأيت يد طلحة بن عبيد الله شلاّء، أيْ مشلولة. وقّى بها النبيَّ صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد كُسِرت رباعيّته، أيْ مقدّمة أسنانه. وهي السنُّ التي بين الناب والثنية. وجُرحت شفته، وسال الدّمّ على وجهه، فجعل طلحة يكرُّ على المشركين حتى يدفعهم عن النبي صلى الله عليه وسلم. ثم ينقلب إلى النبي ليرقَى به إلى الجبل. وروى الترمذيُّ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه قَالَ:كَانَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِرْعَانِ يَوْمَ أُحُدٍ. فَنَهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ. أيْ من الثقل

والإعياء، فَأَقْعَدَ طَلْحَةَ تَحْتَهُ فَصَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ. فَقَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((أَوْجَبَ طَلْحَةُ)). أيْ وجبتْ له الجنّة. قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: والمعنى أنّه أثبتها لنفسه بعمله هذا، أو بما فعل في ذلك اليوم؛ فإنّه خاطر بنفسه يوم أُحُد، وفدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وجعلها وقاية له حتى طُعن ببدنه، وجُرح جميع جسده. وشَلَّتْ يده. رضي الله عنه وأرضاه. وقالتْ السيّدة عائِشَةُ رضي الله عنها: كان أبو بكرٍ رضي الله عنه إذا ذُكِر يومُ أُحُدٍ، قال: ذلك كُلُّهُ يوم طلْحة. أيّها المسلمون. ومِنْ فضائله العظيمة رضي الله عنه ما رواه الترمذيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ)). وروى الإمام مسلمٌ في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتْ الصَّخْرَةُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اهْدَأْ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ)). وروى الترمذيُّ في قول الله تعالى في سورة الأحزاب: ((مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)). عَنْ مُوسَى وَعِيسَى ابْنَيْ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِمَا: أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِأَعْرَابِيٍّ جَاهِلٍ: سَلْهُ عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ مَنْ هُوَ؟ وَكَانُوا لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَى مَسْأَلَتِهِ، يُوَقِّرُونَهُ وَيَهَابُونَهُ، فَسَأَلَهُ الْأَعْرَابِيُّ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ إِنِّي اطَّلَعْتُ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ وَعَلَيَّ ثِيَابٌ خُضْرٌ، فَلَمَّا رَآنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((أَيْنَ السَّائِلُ عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ؟ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: هَذَا مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ)). أيْ أنّه بذَلَ نفسه في سبيل الله، حتى لم يبقَ بينه وبين الهلاك شيءٌ، فهو كمَن قُتل وإن كان حيًّا. وأخرج الإمام أحمد، والترمذي، عن سعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ. وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ. وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ. وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ. وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ. وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ. وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ. وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ. وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ. وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ)). وأخرج البخاري في صحيحه قال: لما طُعن عمر رضي الله عنه، وقيل له: أَوْصِ يا أمير المؤمنين اسْتَخْلِفْ، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر. أو الرهط. الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، فسمّى:

عليًّا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعيدًا، وعبد الرحمن. وكان سيّدنا طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه في جميع المشاهد والغزوات، دائما في مقدّمة الصفوف يبتغي وجه الله، ويفتدي راية رسوله صلى الله عليه وسلم. ويجاهد في سبيله مع المجاهدين، ويرسي بساعديه مع سواعد إخوانه قواعد الدين الجديد. الذي جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. فإذا قضى حق ربه، راح يضرب في الأرض، يبتغي من فضل الله. منمّيا تجارته الرابحة، وأعماله الناجحة. أيّها المسلمون. كان سيّدنا طلحة رضي الله عنه من أكثر المسلمين ثراء، وأنماهم ثروة. وكانت ثروته كلها في خدمة الدين الذي حمل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته. كان ينفق منها بغير حساب. وكان الله ينمّيها له بغير حساب. وما أكثر ما كان يخرج من ثروته مرّة واحدة. فإذا الله الكريم يردّها إليه مضاعفة. قد بلغ رضي الله عنه مبلغًا عظيمًا في الجود والكرم. حتى سَمَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْم أُحُدٍ بطَلْحَةَ الخَيْرَ، وَفِي غَزْوَةِ ذِي العَشِيْرَةِ بطَلْحَةَ الفَيَّاضَ، وَيَوْمَ خَيْبَرَ بطَلْحَةَ الجُود. وعَنْ مُوسَى بنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ أَتَاهُ مَالٌ مِنْ حَضْرَمَوتَ سَبْعُ مَائَةِ أَلْفٍ، فَبَاتَ لَيْلَتَهُ يَتَمَلْمَلُ. فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَفَكَّرْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ، فَقُلْتُ: مَا ظَنُّ رَجُلٍ بِرَبِّهِ يَبِيتُ وَهَذَا المَالُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: فَأَيْنَ أَنْتَ عَنْ بَعْضِ أَخِلاَّئِكَ؟ فَإِذَا أَصْبَحْتَ، فَادْعُ بِجِفَانٍ وَقِصَاعٍ، فَقَسِّمْهُ فَقَالَ لَهَا: رَحِمَكِ اللهُ، إِنَّكِ مُوَفَّقَةٌ بِنْتُ مُوَفَّقٍ، وَهِيَ أُمُّ كُلْثُوْم بِنْتُ الصِّدِّيقِ. فَلَمَّا أَصْبَحَ، دَعَا بِجِفَانٍ، فَقَسَّمَهَا بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَبَعَثَ إِلَى عَلِيٍّ مِنْهَا بِجَفْنَةٍ. فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: أَبَا مُحَمَّدٍ! أَمَا كَانَ لَنَا فِي هَذَا المَالِ مِنْ نَصِيبٍ؟ قَالَ: فَأَيْنَ كُنْتِ مُنْذُ اليَوْم؟ فَشَأْنُكِ بِمَا بَقِيَ. قَالَتْ: فَكَانَتْ صُرَّةً فِيهَا نَحْوُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. ويصف جابر بن عبدالله جود طلحة بن عبيد الله فيقول: ما رأيت أحدا أعطى لجزيل مال من غير مسألة. من طلحة بن عبيد الله. وكان أكثر الناس برّا بأهله وبأقربائه. فكان يعولهم جميعا على كثرتهم. وقد قيل عنه في ذلك: كان لا يدع أحدا من بني تيم عائلا أيْ محتاجا. إلا كفاه مؤنته. ومؤنة عياله. وكان يزوّج أَيَامهم. ويخدم عائلهم. ويقضي دَيْن غارمهم. ولقد كان يرسل إلى أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، إذا جاءت غلّته كل سنة بعشرة آلاف. ويقول السائب بن زيد: صحبت طلحة بن عبيد الله في السفر والحضر. فما وجدت أحدا أعمّ سخاء على الدرهم والثوب والطعام من طلحة!. أيّها المسلمون. من عقيدتنا وجوب السكوت وعدم الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً. وذلك بعد مقتل سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، ونعتقد أنّ فتنة

الجمل قد تمّت من غير اختيار من سيّدنا علي بن أبي طالب، ولا من طلحة بن عبيد الله، ولا من الزبير بن العوّام رضي الله عنهم، وأنّ عائشة رضي الله عنها خرجت للإصلاح بين المسلمين، مع العلم بأنّهم جميعاً من الذين بشّرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنّة. وعندما أبصر أمير المؤمنين سيّدنا علي أمّ المؤمنين عائشة في هودجها على الجمل. على رأس الجيش الذي يخرج الآن لقتاله. ولهذا سُمِّيت بواقعة الجمل. وكانت سنة ستّ وثلاثين للهجرية. وأبصر سيّدنا علي وسط الجيش طلحة والزبير، ناداهما فخرجا إليه حتى اختلفت أعناق أفراسهم. فقال لطلحة: يا طلحة، أجئت بعِرس رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتل بها. وخبّأت عِرسك في البيت؟ وروى الحاكم في مستدركه أنّ أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه قال لطلحة: نشدتك الله. هل سمعتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ مَن والاه وعادِ من عاداه))؟. فقال طلحة: نعم، قال علي: فلِمَ تقاتلني؟. قال: لَمْ أذكر. فانصرف طلحة تائبًا. ثم قال للزبير: يا زبير، نشدتك الله، أتذكر يوم مرّ بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمكان كذا، فقال لك: ((يا زبير، ألا تحبّ عليّا؟)). فقلت: ألا أحب ابن خالي، وابن عمّي، ومَن هو على ديني؟ فقال لك: ((يا زبير، أَمَا والله لتقاتلنّه وأنت له ظالم)). قال الزبير: نعم أذكر الآن، وكنت قد نسيته، والله لا أقاتلك. فأقلع طلحة والزبير فور تبيّنهما الأمر، وعندما أبصرا عمّار بن ياسر يحارب في صفّ عليّ، تذكّرا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمّار: ((تقتلك الفئة الباغية)). أيْ أنّه إنْ قُتِل عمّار بن ياسر في هذه المعركة. فسيكون طلحة باغياً. فانسحب طلحة والزبير من القتال، ودفعا ثمن ذلك الإنسحاب حياتهما، ولكنّهما لقيا الله قريرة أعينهما بما منّ عليهما من بصيرة وهدى. أمّا الزبير. فقد تعقّبه رجل من الذين كانوا يريدون للفتنة دوام الإشتعال، اسمه عمرو بن جرموز. فقتله غيلة وغدرا وهو يصلّي. فكانت شهادة له. وأمّا طلحة فالشهادة من حظّه رضي الله عنه يدركها وتدركه أيّان يكون. ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم عنه: ((هَذَا مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ)). ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ)). فقد رماه مروان بن الحكم بسهم فأثبته في ركبته، فجعل الدم ينزف منه حتى أودى بحياته. رضي الله عنه وأرضاه. ولمّا فرغ أمير المؤمنين سيّدنا علي رضي الله عنه من دفْن طلحة والزبير، وقف يودّعهما بكلمات جليلة، اختتمها قائلاً: إنّي لأرجو أن أكون أنا، وطلحة، والزبير، وعثمان. من الذين قال الله فيهم: ((وَنَزَعْنَا مَا فِي

صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ))، ثم نظر الى قبريهما وقال: سمعت أذناي هاتان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((طلحة والزبير، جاراىَ في الجنّة)). ولمّا قُتِلَ طلحة دُفِنَ الى جانب الفرات، فرآه بعض أهله في المنام فقال له: ألاّ تُريحوني من هذا الماء. فإنّي قد غرقت. قالها ثلاثاً، فأخبر من رآه ابن عباس، فاستخرجوه بعد بضعة وثلاثين سنة، فإذا هو أخضر كأنّه السِّلْق، ولم يتغيّر منه إلا عُقْصته، فاشتروا له داراً بعشرة آلاف ودفنوه فيها، وقبره معروف بالبصرة. فرضي الله تعالى عن سيّدنا طلحة بن عبيد الله، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته. وأن يجعلَنا مِمَّن طَوَوْا قلوبَهم على محبّةِ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتّرضّي عنهم أجميعن. اللهم اجعلنا مِمَّنْ قلت فيهم: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءوف رَحِيمٌ)). بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

09- السّرور والإنشراح بالنّور الوضّاح عن بعض مناقب أمين هذه الأمّة سيّدنا أبي عبيدة بن الجرّاح عليه رضوان الله الفتّاح

الحمد لله الذي اهتدى بهديه ورحمته المهتدون، وضلّ بعدله وحكمته الضالّون، القائل في سورة الأنبياء: ((لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)). فسبحانه من إله لم يتَّخذ صاحبةً ولا وَلَدًا، أعزّ أولياءَه المؤمنين المتَّقين، وجعَل لهم في قلوبِ الخلائق وُدًّا، وإلى صراطه المستقيم هَدَى، وأعظم أجرهم غدا. نحمده تعالى على ما هدانا. فلولاه ما اهتدينا، ونشكره على ما أعطانا؛ فكل خير هو مانحه ومولاه. فقال في سورة النحل: ((وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ الله)). وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. ملأ بنور الإيمان قلوب أهل السعادة، فأقبلت على طاعة ربّها منقادة، فحقّقوا حسن المعتقد وحسن العمل وحسن الرضا وحسن العبادة، فنالوا بذلك الحسنى وزيادة، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. صفيّه من خلقه وخليله. دَعَا إِلَى الهُدَى فَاتَّبَعَهُ ثُلَّةٌ مِنَ السَّابِقِينَ. فَدَوْهُ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَانْخَلَعُوا مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، وَعَادَوا عَشَائِرَهُمْ وَقَبَائِلَهُمْ؛ فَسَخَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَى نُصْرَةً لِنَبِيِّهِ، وَاخْتَارَهُمْ حَمَلَةً لِدِينِهِ، أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

بُحْ بالصلاة على المخصوص بالكرم * وصفوة الله من عُرْبٍ ومن عَجَمِ

مَنْ قال للناس إنّ الله أرسلني * للكلّ بالدين والقرآن والحِكَمِ

فمَنْ يصلِّ عليه كيف يخذله * أَمْ كيف يُسْلِمه في موقف الندم

صلّوا عليه جميعا إخوتي عَلَنًا * تُجْزَوْن عنها غدا بالعفو والكرم

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمد. أجمل مَنْ طابت بذكره المجالس والمحافل. وعلى آله المنتَخَبين من أشرف القبائل. وصحابته ليوث الوغى والسادة الأماثل. صلاة تطهّرنا بها من القبائح والرذائل. وتحلّينا بها بأشرف الخصال وأكمل الفضائل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. لقد علم الله تعالى مقدار الصحابة رضي الله عنهم فحباهم منازلهم اللائقة بهم، ونظر في قلوبهم فعلم صلاحها وصِدْقها وإخلاصها وطهارتها فاختصّهم بأفضل رُسُله، وجعلهم أصحابه وأنصاره، وحملة دينه، ومبلغي شريعته، ويكفيهم شرفًا أنّهم مذكورون في الكتب المنزّلة على الرسل، فذُكِروا في التوراة والإنجيل بأجلّ وَصْف، وأرفع ذِكْر؛ ذُكِروا في آخر سورة الفتح، وهم رضي الله عنهم أهل الفتح؛ إذ فتح الله تعالى بهم قلوب الخلق للإيمان والهدى، وفتح بهم الأمصار والبلدان. فحكمت بشريعة الله تعالى. قال سبحانه: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ الله وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ)). لقد مُثِّلوا في الإنجيل بالزرع المنتشر القويّ، وتأمّلوا رحمكم الله نفع الزرع للأرض وللحيوان وللبشر. تعرفوا نَفْع الصحابة رضي الله عنهم للأرض ومَنْ عليها.

سارَ الصَّحابةُ بالنَّهْجِ الكريمِ فما * تزيَّنَتْ هامةُ الدنيا بمثْلِهِمِ

تعَجَّبَ الدهرُ والتاريخُ في دَهَشٍ * لروعةِ البذلِ والإخْلاصِ والهِمَمِ

جادُوا بأفضلَ من مالٍ وأبنيةٍ * سقَوْا ثماراً ليَحْيا دينُهُمْ بدَمِ

جادوا بأرواحِهِمْ لله في هِمَمٍ * وأَعْيُنٍ عن دُرُوبِ المجْدِ لم تَنَمِ

وإذا استقرأنا القرآن الكريم فإنّا نجد عشرات الآيات، بل مئات الآيات في تزكية الصحابة رضي الله عنهم، والقاعدة أنّ كلّ وَصْف في القرآن مُدِح به المؤمنون، فالصحابة أولى به، فهم أولى بالمدح والثناء مِمَّن بعدهم. وكان حقيقًا فيهم قول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين: ((لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ)). أيّها المسلمون. هذه وقفة مع صحابي جليل من أصحاب النبي صلَّى الله عليه وسلَّم. نقتبس مِن سيرته العَطِرةِ الدروسَ والعِبر، هذا الصحابيُّ شَهِد المشاهد كلَّها مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم. وكان من السابقين الأوّلين إلى الإسلام، فقد هاجَر الهِجرتين: الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة المنوّرة، وقد أبْلى في معركةِ أُحُد بلاءً عظيمًا، فقد نزَع الحِلْقتَيْن اللتَيْن دخلتَا من المِغفر في وجْه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بأسنانه، حتى انتُزِعَتْ ثنيَّتاه، وهو أمينُ هذه الأمَّة، وهو أحدُ الرجلَيْن اللذَيْن عيَّنهما سيّدنا أبو بكر رضي الله عنه للخِلافة يوم السقيفة، وهو أحدُ العشرة المبشَّرين بالجنّة، إنَّه فارس الإسلام، سيّدنا أبو عبيدة عامر بن الجرَّاح، القرشي، الفهري المكي، رضي الله عنه وأرضاه. يجتمع في النسب مع النبي صلى الله عليه في فِهْر بن مالك. نقل ابن هشام وغيره: أنّه رضي الله عنه أسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ابن أبي الأرقم، فعاش سيّدنا أبو عُبيدةَ بن الجرّاح رضي الله عنه تَجْرِبَةَ المسلمين القاسِيَةَ في مكَّةَ مُنْذُ بِدايتها إلى نِهايتها، وعانى مع السَّابقين الأوّلين الآلام والأحْزان التي لم يُعَانِها أتباع دينٍ على ظَهْرِ الأرض، فَثَبَتَ للابْتِلاءِ، وصَدَق اللهَ ورسولَه في كل مَوْقِف. ثم هاجر رضي الله عنه إلى أرض الحبشة. إلا أنّه لم يُطِل المُكْث بها، فعاد إلى مكة مرّة أخرى، ثم هاجر إلى المدينة المنوّرة بعد ذلك، فآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي طلحة رضي الله عنه. كان رضي الله عنه وضيء الوجه، بهيّ الطلعة، ترتاح العين لمرآه، وتأنس النفس للقياه، ويطمئن الفؤاد إليه، متواضعاً، شديد الحياء، وكان رضي الله عنه موصوفاً بحسن الخلق، والحلم الزائد، والتواضع. وهو أحدُ العشرة الذين بشَّرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنّة، فقد أخرج الترمذي والإمام أحمد عَنْ سيّدنا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ)). أيّها

المسلمون. فمناقب سيّدنا أبي عُبيدةَ بنِ الجرّاح رضي الله عنه شهيرة كثيرة، له تاجٌ كبيرٌ، ووِسامٌ شهيرٌ، يبقى فخرًا لَهُ على مرِّ الزَّمانِ، وعلامةً لَهُ على مَدى التّاريخِ، إنَّها صفةٌ رائعةٌ، وسِمَةٌ ماتعةٌ، قلَّدَهُ إيّاها المُربّي الأعظمُ، والمعلِّمُ الأكرمُ، سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين قال في حقّه كما الحديث المتّفق عليه. عن سيّدنا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((لكلِّ أُمّةٍ أمينٌ، وأمينُ هذهِ الأُمَّةِ أبو عبيدةَ بنُ الجَرّاحِ)). وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمّيه القويّ الأمين، فقد جاء وَفْد من النصارى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له: يا أبا القاسم ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا ليحكم بيننا في أشياء من أموالنا اختلفنا فيها، فإنّكم عندنا معشر المسلمين مرضيّون. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ائتوني العشيّة أبعث معكم القويّ الأمين)). قال سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فَرُحْتُ إلى صلاة الظهر مبكِّرًا، وإنّي ما أحببتُ الإمارة حبّي إيّاها يومئذ. رجاء أن أكون صاحب هذا النعت، فلمّا صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر، جعل ينظر عن يمينه وعن يساره، فجعلتُ أتطاول له ليراني، فلم يزل يقلِّب بصره فينا حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح، فدعاه فقال: ((اخرج معهم فاقض بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه)). فقلت: ذهب بها أبو عبيدة. وكان رضي الله عنه مِنْ أحبّ الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقد روى الترمذي في سننه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها: أَيُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَتْ: ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: فَسَكَتَتْ. أيّها المسلمون. وقد شهد سيّدنا أبو عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه المشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقَتَل أباه الذي كان في جيش المشركين يوم بدر. ونزل في حقّه قرآنٌ يُتْلى، قال تعالى في سورة المجادلة: ((لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). ومِن مواقفه العظيمة رضي الله عنه التي تدلُّ على شجاعته ونُصرته لهذا الدِّين. ما حصل منه من دِفاعٍ عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم في معركة أُحُد، فقد كان من النَّفر القِلَّة الذين ثبتوا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في هذه المعركة، ولَمَّا دخلتْ حلقتَا المغفر في وجه رسول

الله صلَّى الله عليه وسلَّم نزعَها بأسنانه، فسقطتْ ثنيّتاه، حتى قيل: ما رُئِيَ هَتْمٌ قطُّ أحسن مِن هَتْم أبي عبيدة بن الجراح، مكافأةً لِمَا فَعَل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رضي الله عنه على خبرة كبيرة بفنون الحرب، وحِيَل القتال. لذا جعله الرسول صلى الله عليه وسلم قائدًا على كثير من السرايا، ومن هذه السرايا سرية كانت مددا لسيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه في معركة ذات السلاسل، التي كانت في مثل شهرنا هذا. أعني شهر جمادى الثانية من السنة الثامنة للهجرة. أيّها المسلمون. ولمّا تُوفِّيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لَمْ تنقطِعْ مسيرةُ سيّدنا أبي عبيدةَ الجهاديَّةُ، وكتَبَ اللهُ لَهُ أَنْ يحظى بشرفِ قيادةِ جيوشِ الإسلامِ الَّتي فتحَتْ بيتَ المقدسِ، وفتحَتْ الشّامَ كلَّهُ، بل فتحَتْ قرابة ثمانيةٍ وعشرينَ بلدًا. وكان رضي الله عنه في عهد سيّدنا أبي بكرٍ الصّدّيق أميرًا على حمصَ، قال في حقّه: عليكم بالهيّن اللّيّن. الذي إذا ظُلِم لم يَظْلِم، وإذا أُسيء إليه غفر، وإذا قُطِعَ وَصَل، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين: عامر بن الجراح. أمّا في خلافةِ سيّدنا عمرَ بن الخطاب فقَدْ ولّاه على جيوشِ المسلمينَ بالشّامِ جميعًا، وكانَ سيّدنا أبو عبيدَةَ بن الجرّاح رضي الله عنه ممَّنْ جمعَ القرآنَ الكريمَ، وكانَ ممَّنْ روى الأحاديثَ عَنْ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، كانَ يسيرُ في العسكرِ، ويتنقَّلُ بينَ الجندِ، وهُوَ يهتفُ قائلًا : أيُّها الناسُ! ألا رُبَّ مبيّضٍ لثيابِهِ مدنّسٍ لدينِهِ، ألا رُبَّ مكرمٍ لنفسِهِ وهُوَ لها مهينٌ، بادِرُوا السيئاتِ القديماتِ بالحسناتِ الحديثاتِ، فلو أنَّ أحدَكُمْ عَمِلَ مِنْ السَّيّئاتِ ما بينَهُ وبينَ السماءِ ثمَّ عَمِلَ حسنةً لَعَلَتْ فوقَ سيّئاتِهِ حتى تقهرَهُنَّ. أيّها المسلمون. وهكذا ظَلَّ هذا المجاهدُ العظيمُ يفتحُ البُلدانَ، وينشرُ الإيمانَ، وينيرُ الأوطانَ، حتّى ظَهرَ بالشّامِ في بلدةِ عَمْواسَ مرضٌ مُهْلِكٌ، وطاعونٌ فاتكٌ، فبدأَ يحصدُ النَّاس حَصْدًا، وإذا بِجُثَثِ المسلمينَ تتهاوى بالآلافِ المُؤلَّفَةِ مِنْ هذا الطّاعونِ المُذهِلِ الَّذي ذهبَ ضحيَّتَهُ أعدادٌ هائلةٌ مِنْ كِبَارِ الصَّحابةِ رضيَ اللهُ عنهم. فقد روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أنَّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((الطاعونُ شهادةٌ لكلِّ مسلم)). ولمّا أشتدّ به رضي الله الطاعون دعا المسلمين فدخلوا عليه، فقال لَهُمْ: إنِّي مُوصِيكُمْ بوصيَّةٍ، إنْ قبلتمُوها لَنْ تزالوا بخيرٍ: أقيموا الصلاةَ، وآتُوا الزَّكاةَ، وصُومُوا شهرَ رمضانَ، وتصدَّقوا، وحُجُّوا، واعتمرُوا، وتواصَوْا وانصحُوا لأمرائِكُمْ ولا تغشُّوهُمْ، ولا تُلْهِكُمْ الدُّنْيا، فإنَّ امرأً لَوْ عَمَّرَ ألفَ حولٍ ما كانَ لَه بُدٌّ مِنْ أَنْ يصيرَ إلى مصرعي هذا الذي ترَوْنَ، إنَّ اللهَ كتبَ الموتَ على بَني آدمَ فهُمْ ميّتُونَ، وأكْيَسُهُمْ أَطْوَعُهُم لربِّهِ،

وأعملُهُمْ ليومِ معادِهِ، والسلامُ عليكم ورحمةُ الله. ثم قال لسيّدنا معاذَ بنَ جبلٍ: يا معاذ. صلِّ بالنّاسِ. ثمَّ شخصَ سيّدنا أبو عبيدةَ ببصرِهِ للسَّماءِ وهُوَ يُتَمتِمُ: أشهدُ أَنْ لا إلَه إلَّا الله، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ الله؛ صلى الله عليه وسلم. ثمَّ فاضَتْ روحُهُ، ورحلَ إلى ربِّهِ. وذلك سنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ للهجرَةِ، وله ثَمَانٌ وخَمسُونَ سَنَةً. لقد ماتَ أَمينُ هذه الأُمَّة بأرضِ الشَّامِ. يومَ أنْ طَهَّرَهَا مِن وَثَنِيَّةِ الفُرسِ، واضطِهَاد الرُّومَانِ. فرضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ. وجعلَ الفردوسَ الأعلى مأواهُ. وجَاءَ خبرُ وفاته إلى أمير المؤمنين سيّدنا عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه. فبكى لوفاةِ أبي عبيدةَ، وبكى الصحابةُ، وخيَّمَ على المدينةِ ليلٌ مِنْ الحزنِ، قال عنه سيّدنا عمر وهو يجود بأنفاسه بعدما طُعِن: لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيّا لاستخلفته. فإنْ سألني ربي عنه قلت: استخلفتُ أمينَ الله، وأمينَ رسوله. وقال عنه أيضا: لو كنت متمنيّا ما تمنيت إلا بيتا مملوءا برجال من أمثال أبي عبيدة. وصلّى عليه رضي الله عنه سيّدنا معاذ بن جبل، ودُفِن في قرية صغيرة حملت اسمه بالغور في الأردن. وضريحه يُزار ويتبرّك به يوميّا.

أبا عُبيدَةَ والآدابُ ماثِلَةٌ * تُهْدِي أفانينَها المُثلَى لِمَنْ نَظَرَا

مَنَاقِبٌ تُلهِبُ الإحساسَ رائعةٌ * أمامَ عينَيَّ تَسْبي اللُّبَّ والفِكَرَا

ماذا سنَرْوي من المجدِ العظيمِ لِمَنْ * بكلِّ وصفٍ جميلٍ كانَ مُشْتَهِرا

فرضي الله تعالى عن سيّدنا أبي عبيدة بن الجرّاح أمين هذه الأمّة، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرَ الجزاء، اللهم إنّا قد حُرِمْنا رؤيتَه في الدنيا. فاجمعنا به في الآخرة في جنّات ونهر. في مقعد صِدْقٍ عند مليكٍ مقتدِر، واملأ اللهم بحبّه قلوبنا. ويسّر بجاهه أمورنا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

10- بغية المستفيد من المختصر المفيد في سيرة الحِبِّ سيّدنا زيد بن حارثة الأمير الشهيد

الحمد لله الذي سهّل لعباده المتّقين إلى مرضاته سبيلا، وأوضح لهم طُرُق الهداية وجعل اتّباع الرسول صلى الله عليه وسلم عليها دليلا. فوفّقهم لموافقة أحكام السنّة

والكتاب، وفتح بصائرهم فأبصروا مواقع الصواب. فسبحانه من إله امتنّ على عباده المؤمنين بنبيّه المرسَل. وكتابه المنزَّل، الذي ((لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)). وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له، هَدَى قُلُوبَ أُنَاسٍ فَشَرَوُا الآخِرَةَ بِالدُّنْيَا، وَضَلَّ عَنِ هِدَايَتِهِ أَقْوَامٌ فَخَلَدُوا إِلَى الفَانِيَةِ وَضَيَّعُوا البَاقِيَةَ؛ وصدق حيث قال سبحانه في سورة الكهف: ((مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا)). وأشهد أنّ سيّدنا محمدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. إبتعثه ربّه بخير ملّة. وأحسن شرعة، وأظهر دلالة، وأوضح حجّة، وأبين برهان إلى جميع العالمين، دَعَا إِلَى الهُدَى فَاتَّبَعَهُ ثُلَّةٌ مِنَ السَّابِقِينَ فَدَوْهُ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَانْخَلَعُوا مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، وَعَادَوا عَشَائِرَهُمْ وَقَبَائِلَهُمْ؛ فَسَخَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَى نُصْرَةً لِنَبِيِّهِ، وَاخْتَارَهُمْ حَمَلَةً لِدِينِهِ، أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

يا أمّة المصطفى المخصوصِ بالشَّرَفِ * هذا الذي فضْلُه قد جاء في الصُّحُفِ

يُنْجِي برحمته من أبْحُر التَّلَفِ * وإن أردتُمْ تكونوا منه في كَنَفِ

صلّوا على المصطفى ذو خيرٍ وذو لُطَفِ

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمد. خيرِ مَنْ جاد على العُفاة بنواله وتكرَّم. وأحبِّ مَنِ استغفر للمؤمنين والمؤمنات وترحَّم. وعلى آله ينابيع الجود والكرم. وصحابته الطيّبين الأخلاق والشِّيَم. صلاة تنزل بها علينا ببركتهم موائد الخير والنِّعَم. وتدفع بها عنّا بعنايتهم عوارض الآفات والنِّقَم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ هذا الدّين القويم. والصراط المستقيم. الذي ارتضاه الله تبارك وتعالى لعباده؛ قد اختار له جلّ وعلا نبيّاً كريماً. وداعيّاً حكيماً. ومبلِّغاً أميناً؛ ألا وهو رسول الله. سيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فبلَّغ الرسالة. وأدّى الأمانة. ونصح الأمّة. وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين؛ فما ترك خيراً إلا دلَّ الأمّة عليه، ولا شرّاً إلا حذّرها منه؛ فهو منّة الله جلّ وعلا على عباده، قال الله جلّ وعلا في سورة الجمعة: ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ)). ثم إنّ الله جلّ وعلا اختار لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم صحابةً كراماً؛ وأنصاراً عدولاً. عزّروه ونصروه وأيدوه

عليه الصلاة والسلام، وبذلوا مهجهم وأنفاسهم وأموالهم في سبيل نصرته ونصرة دينه صلى الله عليه وسلم؛ ففازوا بكل فضيلة، وسبقوا الأمّة في الخيرة، وفازوا برضوان الله؛ قال الله عنهم في سورة التوبة: ((وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)). ما أعلاها من منزلة وما أشرفها من مكانة تبوّأها الصّحابة الكرام، رضوان الله عليهم. ونالها هؤلاء العدول الخيار. شرّفهم الله تعالى برؤية النبي الكريم عليه الصّلاة والسلام، واستماع حديثه منه، ونصرته صلى الله عليه وسلم؛ فهم خير أمّة سيّدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وهم أنصار الملّة. وأعوان الدّين. وليوث الصدام. وهداة الأنام، ومُبَلِّغو دين الإسلام إلى أمّة خير الأنام. عليه الصلاة والسلام. فالواجب على المؤمنين محبّتُهم واحترامُهم ومعرفةُ فضلِهم وسبْقِهم والإستغفارِ لهم، حتى نكون من الذين قال الله فيهم كما في سورة الحشر: ((وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءوف رَحِيمٌ)). أيّها المسلمون. هذه وقفة مع صحابيٍّ جليل. له أخبار وأسرار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان من أوائل المؤمنين به، المصدّقين خبره، الذابّين عنه صلى الله عليه وسلم، أكرمه الله عزّ وجلّ في حادثة لم يسبق إليها أحد. حتى ذَكَرَه ربّه سبحانه في القرآن الكريم باسمه صراحة، فهو الأمير الشهيد أبو أسامة الكلبي ثم المحمدي. زيد بن حارثة بن شُراحِيل الكلبي. مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحِبُّه. وأبو حِبِّه. وما أحبّ صلوات ربي وسلامه عليه إلاّ طيّبًا. الذي في مثل هذا الشهر أعني شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة نال الشهادة في غزوة مؤتة. فحريّ بنا أن نعرف شيئاً من سيرته العطرة، وأخباره الزكية. هذا الرجل المبارك رضوان الله عليه شاء له ربّه جلّ جلاله أن يُساق سوْقًا إلى بيت النبوّة. كان زيد بن حارثة طفلا حين سُبِيَ ووقع بيد حكيم بن حزام بن خويلد حين اشتراه من سوق عكاظ مع الرقيق، فأهداه إلى عمّته أمّ المؤمنين السيّدة خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها. فرآه الرسول صلى الله عليه وسلم عندها. فاستوهبه منها. فوهبته له، فأعتقه وتبنّاه، وصار يُعْرَف في مكة كلِّها (زيد بن محمد). وذلك كلُّه قبل الوحي. وهكذا أراد الله تعالى لسيّدنا زيد أن يعيش فى بيت النبوّة. يتأدّب على يدي النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله تعالى هداية ورحمة للعالمين. يرتشف الصدق والإيثار. والحب والوفاء. والشجاعة في الحقّ. والإقدام بلا تردّد في مواطن الإقدام. ويشاء الله تعالى أن يَحُجَّ أُنَاسٌ مِنْ

كَلْبِ. فَرَأَوْا زَيْدًا، فَعَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، فَقَالَ: أَبْلِغُوا أَهْلِي هَذِهِ الأَبْيَات، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُمْ قَدْ جَزِعُوا عَلَيَّ، فَقَالَ:

أَحِنُّ إِلَى قَوْمِي وَإِنْ كُنْتُ نَائِيًا * فَإِنِّي قَطِينُ الْبَيْتِ عِنْدَ الْمَشَاعِرِ

فَكُفُّوا مِنَ الْوَجْدِ الَّذِي قَدْ شَجَاكُمُ * وَلا تَعْمَلُوا فِي الأَرْضِ نَصَّ الأَبَاعِرِ

فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ أُسْرَةٍ * كِرَامِ مَعَدٍّ كَابَرًا بَعْدَ كَابِرِ

فَانْطَلَقَ الْكَلْبِيُّونَ فَأَعْلَمُوا أَبَاهُ. فَقَالَ: إِبْنِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ. وَوَصَفُوا لَهُ مَوْضِعَهُ، وَعِنْدَ مَنْ هُوَ، فَخَرَجَ حَارِثَةُ وَكَعْبُ ابْنَا شَرَاحِيلَ لِفِدَائِهِ. وَقَدِمَا مَكَّةَ، فَسَأَلا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقِيلَ: هُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلا عَلَيْهِ، فَقَالا: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا ابْنَ هَاشِمٍ، يَا ابْنَ سَيِّد قَوْمِهِ، أَنْتُمْ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ، وَجِيرَانُهُ، وَعِنْدَ بَيْتِهِ. تَفُكُّونَ الْعَانِيَ، وَتُطْعِمُونَ الأَسِيرَ، جِئْنَاكَ فِي ابْنِنَا عِنْدَكَ، فَامْنُنْ عَلَيْنَا، وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا فِي فِدَائِهِ، فَإِنَّا سَنَرْفَعُ لَكَ فِي الْفِدَاءِ. قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالُوا: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فَهَلا غَيْرُ ذَلِكَ؟ قَالُوا: مَا هُوَ؟ قَالَ: أَدْعُوهُ فَأُخَيِّرُهُ فَإِنِ اخْتَارَكُمْ فَهُوَ لَكُمْ بِغَيْرِ فِدَاءٍ، وَإِنِ اخْتَارَنِي فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَى مَنِ اخْتَارَنِي أَحَدًا. قَالا: قَدْ زِدْتَنَا النَّصَفَ، وَأَحْسَنْتَ. قَالَ: فَدَعَاهُ، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُ هَؤُلاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَبِي، وَهَذَا عَمِّي. قَالَ: فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ وَرَأَيْتَ صُحْبَتِي لَكَ، فَاخْتَرْنِي أَوِ اخْتَرْهُمَا. قَالَ زَيْدٌ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْكَ أَحَدًا، أَنْتَ مِنِّي بِمَكَانِ الأَبِ وَالْعَمِّ. فَقَالا: وَيْحَكَ يَا زَيْدُ، أَتَخْتَارُ الْعُبُودِيَّةَ عَلَى الْحُرِّيَّةِ؟! عَلَى أَبِيكَ وَعَمِّكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَدْ رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا، مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْهِ أَحَدًا أَبَدًا. فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ أَخْرَجَهُ إِلَى الْحِجْرِ، فَقَالَ: يَا مَنْ حَضَرَ اشْهَدُوا أَنَّ زَيْدًا ابْنِي، يَرِثُنِي وَأَرِثُهُ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ طَابَتْ أَنْفُسُهُمَا فَانْصَرَفَا، وكاد قلب حارثة يطير من الفرح. فإبنه لم يعد حرّا فحسب، بل وإبنا للرجل الذي تسمّيه قريش الصادق الأمين. سليل بني هاشم. وموضع حفاوة مكة كلّها. ومنذ ذلك اليوم دُعِيَ: زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالإِسْلامِ، أيّها المسلمون. وماهي إلا سنوات حتى أشرقت أنوار الإسلام. وبُعِثَ الهادي بشيرًا ونذيرا للأمّة. فكان زيدٌ أوّلَ مَنْ آمن به من الموالي. وواكب أحداث الدعوة عن قُرْب. وزادته الأيام قربًا من حبيب الله صلى الله عليه وسلم. حتى أصبح من أحب الناس إليه. وكان بهذا الحب خليقا وجديرا. فوفاؤه الذي لا نظير

له، وعظمة روحه، وعفّة ضميره ولسانه ويده. كل ذلك وأكثر من ذلك كان يزيّن خصال زيد بن حارثة. حتى أطلق عليه المسلمون لقب (حِبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم). ويخاطب المصطفى صلى الله عليه وسلم زيدًا فيقول: ((يا زيد أنت مولاي وأحبّ الناس إلي)). وتقول السيّدة عائشة رضي الله عنها: ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمّره عليهم، ولو بقي حيّا بعد رسول الله لاستخلفه. ذلك هو الدين العظيم الذي ألغى الفروق بين السيّد والمسود. يوم أعلن: ((إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم)). وتمرّ السنوات ويلازم زيدٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في الطائف يمسح عن وجهه الشريف الدم. ويصدّ عنه حجر الثقيف. ولما بلغ زيد مبلغ الرجال زوّجه النبي صلى الله عليه وسلم مولاته وحاضنته أمّ أيمن. بركة الحبشية. رضي الله عنها. فولدت له أسامة. فنال من الحب ما ناله أبوه. فسمّي: الحِبُّ بنُ الحِبّ. ويهاجر زيد مع المهاجرين. فيؤاخي النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عمّه حمزة ابن عبد المطلب رضي الله عنه، ويشهد الحِبُّ غزوة بَدْرٍ. حتى إذا كتب الله النصر المبين. أرسله النبي صلى الله عليه وسلم مبشِّرًا بالنصر إلى أهل المدينة. وقاتل قتال الأبطال في أُحُد والخندق وخيبر وحنين وغيرهم من الغزوات كذلك. أيّها المسلمون. ولما نزلت الآيات من سورة الأحزاب: ((مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيئِينَ)). نُزِعَ ذلك التاج الذي كان يعلو على مفرق رأس زيد من أنّه ينادى بزيد بن محمد. وأصبح يدعى باسم أبيه زيد بن حارثة، ولا ريب أنّ هذا أحدث في قلب زيد حزناً شديداً؛ لأنّ كونه يُنادى بزيد بن محمد هذا شرفٌ وأيُّ شرف، لكنّه أَمْر الله وقَدَرِه وقضائه. وتعليماً للأمّة، قال الله جلّذ وعلا:((مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ)). وقال تعالى أيضا: ((أُدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ)). فنُزِع منه هذا اللقب. وقُدِّر لزيد قبلها أن يتزوّج زينت بنت جحش الأسدية، رضي الله عنها. إبنت عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن لم تطب الحياة بينهما، وكان الله جل وعلا قد أوحى إلى نبيّه صلى الله عله وسلم أنّ زيداً سيطلّق زوجته زينب وأنّه سيتزوّجها بعد طلاقها، فكان زيد إذا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو إليه زوجته زينب. أمره النبي أنْ يصبر عليها. وألاّ يطلّقها، فأنزل الله جلّ وعلا قولَه: ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا. وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى

النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا)). قال قتادة في قوله تعالى: ((وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْه)). هو زيد بن حارثة. أَنْعَمَ اللهُ عليه بنعمة الإسلام. وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ بالعتق؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم أعتق زيداً. تقول أمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ((وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)). تقول: لو كان النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يخفي شيئاً من القرآن لأخفى هذه الآية، لكن النبي صلى الله عليه وسلم مؤتمن على وحي الله. أيّها المسلمون. وبعد أن طلّق زيدٌ زينبَ بنتَ جحش. بعثه النبي صلى الله عليه وسلم يخطبها له، ولنا أن نتخيّل كيف لرجل أن يخطب امرأتَه السابقة لرجل آخر؟ هذا صعب جدّاً على الأنفس، لكن أنفس الصحابة وفي مقدّمتهم زيد كانت مُحِبَّةً ومُعَظِّمَةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتزوّجها صلى الله عليه وسلم وكانت تفتخر على أمّهات المؤمنين بأنّ الله جلّ وعلا تولّى أَمْر زواجها واختارها لنبيّه صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سماوات. رضي الله عنها وأرضاها. لكنّ الله أكرم الأكرمين عوّض سيّدنا زيدا عن فقد الزوجة وقبلها تبنّي النبي له بأنْ ذَكَر اسْمَه في القرآن الكريم، فأصبح اسْمُه من جملة القرآن يُتْلَى ويُتَعَبَّدُ به في المحاريب وفي صدور المؤمنين إلى يوم القيامة، فنحن نقرأ في سورة الأحزاب: ((فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا)). وهو زيد بن حارثة رضي الله عنه وأرضاه. هذا في الدنيا، أمّا في الآخرة فلا ريب أنّ زيداً في الجنّة، قال صلى الله عليه وسلم: ((دخلتُ الجنّة، فإذا جارية شابّة، قلتُ: لِمَنْ هذه؟ قالت: أنا لزيد بن حارثة)). أيّها المسلمون. ثم يأتي يوم امتحان الحبيب بفراق حبيبه. إنّه يوم مؤتة. حيث قُتِل الحارث بن عمير الأزدي رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك بصرى من أرض الشام. فلمّا وصل خبر قَتْله إلى النبي صلى الله عليه وسلم اشتدّ عليه الأمر إذ قُتِل رسولُه ظلمًا وعدوانا. وهو الوحيد الذي قُتِلَ في الرسل. وفي جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة أُعْلِنَت الحرب. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس أن يتجهّزوا. وكان يدرك أهميّة هذه الغزوة وخطرها. فاختار لها ثلاثة من الرهبان في الليل، وفرسان في النهار. ثلاثة من الذين باعوا أنفسهم لله فلم يعد لهم مطمع ولا أمنية إلاّ في استشهادٍ عظيم. يصافحون أثره رضوان الله تعالى، ويطالعون وجهه الكريم. وقال لهم: ((أمير الناس زيد بن الحارثة. فإن قُتِل فجعفر بن أبي طالب. فإن قُتِل فعبد الله بن رواحة. فإن قُتِل فليرتض المسلمون بينهم رجلًا

فيجعلوه عليهم)). فانطلق الجيش ووصل إلى مؤتة. التي سُمِّيت بها المعركة. فلبثوا ما شاء الله. ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد المنبر وأمر أن ينادى: الصلاة جامعة. فقال: ((ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي. انطلقوا فلقوا العدوّ. فأصيب زيد شهيدًا. استغفروا له. فاستغفر له الناس. ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فشدّ على القوم حتى قُتِل شهيدًا. استغفروا له. ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فثبتت قدماه حتى قُتِل شهيدًا. استغفروا له. ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء. هو أمير نفسه. ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ضبعيه. ثم قال: اللهم هو سيف من سيوفك فانصره)). فمِنْ يومئذ سُمِّيَ خالد بن الوليد سيف الله المسلول. ودُفِنَ الأمراء في أرض المعركة. وأضرحتهم في مدينة مؤتة إلى الآن تُزار ويُتبرَّك بها المسلمون. وعاد الجيش فخرج الحبيب صلى الله عليه وسلم لاستقبالهم. وبكى زيدًا وجعفرًا. حِبُّهُ وابنُ عمّه فقال: ((أخواي ومؤنساي ومحدّثاي)). وأتت إليه بنت زيد تجهش بالبكاء. فبكى النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتحب. فقال له سعد بن عبادة: يا رسول الله ما هذا؟ فأجابه: ((هذا شوق الحبيب إلى حبيبه)). ثم قال: ((استغفروا له وقد دخل الجنّة وهو يسعى)). رضي الله عنه وأرضاه. قال سيّدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه يرثي أهل مؤتة:

عَيْنِ جُودِي بِدَمْعِكَ الْمَنْزُورِ * وَاذْكُرِي فِي الرَّخَاءِ أَهْلَ الْقُبُورِ

وَاذْكُرِي مُؤْتَةً وَمَا كَانَ فِيهَا * يَوْمَ رَاحُوا فِي وَقْعَةِ التَّغْوِيرِ

حِينَ رَاحُوا وَغَادَرُوا ثَمَّ زَيْدًا * نِعْمَ مَأْوَى الضَّرِيكِ وَالْمَأْسُورِ

حِبَّ خَيْرِ الْأَنَامِ طُرًّا جَمِيعًا * سَيِّدَ النَّاسِ حُبُّهُ فِي الصُّدُورِ

ذَاكُمْ أَحْمَدُ الَّذِي لَا سِوَاهُ * ذَاكَ حُزْنِي لَهُ مَعًا وَسُرُورِي

إِنَّ زَيْدًا قَدْ كَانَ مِنَّا بِأَمْرٍ * لَيْسَ أَمْرَ الْمُكَذَّبِ الْمَغْرُورِ

ثُمَّ جُودِي لِلْخَزْرَجِيِّ بِدَمْعٍ * سَيِّدًا كَانَ ثَمَّ غَيْرَ نَزُورِ

قَدْ أَتَانَا مِنْ قَتْلِهِمْ مَا كَفَانَا * فَبِحُزْنٍ نَبِيتُ غَيْرَ سُرُورِ

وسنبقى نذكر زيدًا كلما ذُكِرَ الحبّ والشوق. هنيئًا له بحياة قضاها حبيبًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وهنيئًا له بجنّة يدخلها وهو يسعى. فرضي الله تعالى عن

سيّدنا زيد بن حارثة. وعن الصحابة الكرام أجمعين. رزقنا الله حبّ الجميع. وأمدّنا من إمدادهم الفائض الوسيع. ونسأله تعالى أن لا يحرمنا لُقياهم، وأن يجمعنا بهم في دار كرامته. ومستقرّ رحمته. بفضله ومنّته. اللهم إنّا نتقرّب إليك بحبّنا لهؤلاء الأماجد. فاجمعنا اللهم بهم في الفردوس الأعلى. ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا. مع الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصّدّيقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقا. في زمرة نبيّنا سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

11- العِطر العبيق من بعض مناقب سيّدتِنا ومَولاتِنا أسماء بنتِ سيّدِنا أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنهما وأَوْصَلنا الله بحبل مَودّتِهما الوثيق

الحمد لله الذي أنعمَ على خلْقه فجعَلهم ما بين مولودٍ ووالِد، وهو الغنيّ بذاته فلم يتّخذ صاحبةً ولا ولدًا ولم يكن له فيما مضى والِد، وعد الصالحين المصلِحين بالفوز والفلاح، وحفظهم في ذرّيّاتهم وذويهم بالتقوى والبّرّ والصلاح، ووعدهم بجمْع الشمل وقُرّة العين في دار القرار، فقال في سورة الرعد: ((جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءابَائِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلَـٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مّن كُلّ بَابٍ. سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ)). فسبحانه من إله، الواحد القهّار، عالِمُ الجَهْرِ والإسْرارِ، يخلق ما يشاء ويختار. ويصطفي للشرف مَنْ شاء مِنَ الأخيار، جعَلَ في أخْبارِ الصّالحاتِ عظيمَ العِظَةِ والإعْتِبارِ، أمثال السيّدة أسماء ذات النّطاقين. مَن كان لها دَور فعّال في هجرة سيّد الثّقلين. سيّدَنا ومولانا محمّد رسول الله. صلّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين. ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)). وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أسبغ علينا نعمه، وأفاض لدينا مننه، وخصّنا بإرسال أكرم الخلق عليه. وأزكاهم لديه، فشرح صدره. ووضع وِزْره. ورفع ذِكْره، وجعل خير القرون قَرْنه الذي به قَرَنه. واختار له خير العباد أعوانا، قذف في قلوبهم تصديقه ومحبّته، فآمنوا به وعزّروه ووقّروه، وجاهدوا في الله حق جهاده، فاستشهد لله منهم مَن استشهد، على المنهاج الواضح، والبيع الرابح، وتوفي منهم مَن توفي على الحق الناصع، والتوحيد الناصح، وأشهد أنَّ سيّدنا محمدًا عبد الله ورسوله. وصفيّه من

خلقه وخليله. نبيٌّ أيّده ربّه بأصحابٍ كانوا بعد النبيئين أفضلَ أهلِ الأرض طُولا وعُرْضا. وجعل محبّتهم ومودّتهم على جميع الأنام فَرْضا. وحَكَم بالخَيْبة والشقاء لِمَنْ أبدى لهم بُغْضا.

لقد رضي الرحمان عنهم فإنّهم * هُمْ بايعوا المختار طوعا بلا قَهْرِ

بذا أخبر الرحمان عنهم لأنّهم * هُمُ الأوّلون السّابقون من الصَّدْرِ

همُ خير من يُرْجى لرفع ملّمة * وهم خير من يُدْعَى وهم خير من يُقْرِ

فأسأل ربّي رؤيةً لوجوههم * لدى جنّة الفردوس في الحُلَل الخُضْرِ

إخواني: إذا أرادتم في القيامة بهجة الأنوار. ورغِبتم في السلامة من هذه الدار. صلّوا على هذا النبيّ المختار. تفوزوا بقُرْبه في دار القرار. اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيِّدِنا محمّد. درّة الأكوان. وقطب السيادة الواضح الدليل والبرهان. وعلى آله البدور الحسان. وصحابته الماحين بسيوفهم آثار عبدة الأصنام والأوثان. صلاة تختم لنا بها بالإيمان. وتعاملنا بها بالعفو والغفران. وتسكننا بها أعلى فراديس الجنان. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إذا كان التاريخ وكُتب السيرة قد روت لنا قصصا بطولية، ونماذج مثالية، لرجال وهبوا حياتهم للإسلام، وقدّموا أرواحهم في سبيل الجهاد لنصرة الإسلام، فإنّ السيرة أيضا تروي لنا بطولات عظيمة، قامت بها المرأة المسلمة في صدْر الإسلام، وكان دَور المرأة لا َيقلّ عن دَور الرجل في الدفاع عن الدين، ورفْع راية الإسلام. وسوف نتناول اليوم إن شاء الله تعالى بعضا من سيرة صحابية جليلة، ومجاهدة غيورة، مع نموذج للمرأة المسلمة، التي يُحتذى بأخلاقها، ويُقتدى بسيرتها، فتعالوا بنا نتعرّف على أخلاقها، ونشاهد بطولاتها من أجل الإسلام، إنّها سيِّدتُنا ومَولاتُنا أسماء بنتُ سيِّدِنا أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنهما. وأُخْتُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَولاتُنا السيّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكَانَتْ أَسَنَّ مِنْ السيّدة عَائِشَةَ بِبِضْع عَشْرَةَ سَنَةً. أيّها المسلمون. تُعدّ السيّدة أسماء رضي الله عنه من النماذج البارعة في تاريخ الإسلام، فقد عاشت في ظل الدعوة الإسلامية منذ نعومة أظفارها، وعرف الإيمان طريقه إلى قلبها منذ كانت طفلة صغيرة، وشاهدت تطوّر الدعوة وانتقالها من طَور إلى طَور، بل وشاركت في صناعة الكثير من الأحداث، وحياتها رضي الله عنها مليئة بالمواقف. وحافلة بالدروس والعظات التي يحتاج

إليها النساء في عصرنا، بل ويحتاج إليها كثير من الرجال. وَقَدْ خَلَّدَ التَّارِيخُ ذِكْرَهَا، وَسَطَّرَتْ لَنَا كُتُبُ السِّيرَةِ مَنَاقِبَهَا وَفَضَائِلَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. أيّها المسلمون. وُلدت السيّدة أَسْمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في العام الرابع عشر قبل البعثة، ودعاها أبوها إلى الإسلام فآمنت بالله، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، وتزوّجت في الرابعة عشر من عمرها من الزُّبَيْرُ بن العوّام، وكان زوجها فقيرا، فلم يكن في بيتها إلا فراش خشِن، ووسادة من لِيف، وقِربة من الجلد للشرب والإغتسال، ولكنها كانت راضية، قانعة، سعيدة. فلم تُكلِّف زوجها ما لا يُطيق، وكانت تشاركه في العبادة، وحِفْظ ما يَنزل من القرآن الكريم، وفي زمننا هذا تستنكف الكثير من النساء عن خدمة أزواجهنّ ورعاية أبنائهنّ، أيّها المسلمون. لعبت السيّدة أَسْمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا دَورا كبيرا في هجرة النبيّ صلى الله عليه وسلم وصاحبِه سيّدِنا أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه، مُقَدِّمَةً أَرْوَعَ الْأَمْثِلَةِ فِي التَّضْحِيَةِ وَالصَّبْرِ وَالتَّحَمُّلِ؛ وَمُقَدِّرَةً فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَوَالِدِهَا وَجُهُودَهُمَا، فقد حملت إليهما ما يحتاجان إليه من الطعام والشراب وهما مختبئان في غار ثَور. ولمّا عزما على الإرتحال من الغار لم تجد ما تُعلّق به الطعام والماء في رحالهما، فشقّت نطاقها وعلّقت الطعام بنصفه وانتطقت بالنصف الآخَر، فسُمِّيت ذات النِّطَاقَيْن. وقد نالها من الأذى ما نال غيرها من الرجال والنساء، ولكنها صبرت واحتسبت. تقول رضي الله عنها: ((لَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَتَانَا نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ أَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، فَوَقَفُوا عَلَى بَابِ أَبِي بَكْرٍ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا: أَيْنَ أَبُوك يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي وَاَللّهِ أَيْنَ أَبِي؟ قَالَتْ: فَرَفَعَ أَبُو جَهْلٍ يَدَهُ وَكَانَ فَاحِشًا خَبِيثًا، فَلَطَمَ خَدِّي لَطْمَةً طُرِحَ مِنْهَا قُرْطِي)). لقد وقفت رضي الله عنها عنها في وجه البغي والطغيان ولم تُفش سِرَّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ولا صاحبِه، وإن كلّفها ذلك حياتها. إنه الإيمان الصادق والحب الشديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم. ويا له مِن درْس رائع للنساء المسلمات في كل مكان وفي كل عصر، وما أجمل ما قاله الإمام الماوردي: كِتمان الأسرار من أقوى أسباب النجاح وأدوم أحوال الصلاح. أيّها المسلمون. وكان للسيّدة أَسْمَاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا دورٌ بارز في بيت أبيها حيث ترك سيّدنا أبو بكر رضي الله عنه أباه شيخاً كبيراً ضريراً، أيْ أعمى، وخرج سيّدنا أبو بكر مهاجراً بكل ماله في سبيل الله، فقال أبو قحافة لأسماء: ماذا ترك لنا أبو بكر؟ فأخذت ظرفاً ملأته من الحجارة وحرّكته. وقالت: ترك لنا هذا المال

الكثير، فأراد الشيخ أن يَحمل الظرف فإذا هو ثقيل. فقال: هذا مال كثير، فمَن تركه لا عليه أن يُسافر ويُخاطر!. تقول أسماء: ولا والله ما ترك لنا شيئا، ولكنّي أردتُ أن أُسَكِّن الشيخ بذلك. لقد هاجر سيّدنا أبو بكر رضي الله عنه في صحبة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم يترك في بيته شيئا من متاع الدنيا، إلا أنه قد ترك لهم إيمانا لا تزلزله الجبال، ولا تحرّكه العواصف، ولا يتأثّر بقلّة أو كثرة المال، وورّثهم يقينا بالله وثقة لا حدّ لها. لقد استخدمت رضي الله عنها فطنتها وعقلها لتستر أمْر أبيها وتُسَكِّن قلْب جدّها الضرير. وتخفّف من حزنه ولَوعته على ابنه المهاجر الذي كان يرعاه ويقوم على أمره. وكلّها ثقة أنّ الله عز وجل لن يضيّعهم. أيّها المسلمون. ثُمَّ خَرَجَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مُهَاجِرَةً مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ فِي آخِرِ أَيَّامِ حَمْلِهَا، مُتَحَمِّلَةً الْأَلَمَ وَالْمَشَقَّةَ طِيلَةَ رِحْلَتِهَا، ففي صحيح البخاري عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِى بَكْرٍ رضى الله عنهما: ((أَنَّهَا حَمَلَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ. قَالَتْ: فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ، فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَنَزَلْتُ قُبَاءً فَوَلَدْتُ بِقُبَاءٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ تَفَلَ فِى فِيهِ. فَكَانَ أَوَّلَ شَىءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. ثُمَّ حَنَّكَهُ بِالتَّمْرَةِ، ثُمَّ دَعَا لَهُ فَبَرَّكَ عَلَيْهِ، وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ. وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الإِسْلاَمِ، فَفَرِحُوا بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا، لأَنَّهُمْ قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ الْيَهُودَ قَدْ سَحَرَتْكُمْ فَلاَ يُولَدُ لَكُمْ)). وبعد هجرتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت شخصاً فاعلاً في دعوة النساء في المدينة وتعليمهنّ، وكان نساء قريشٍ يَعرفن الكتابة، وكان نساء الأنصار لا يَعرفن الكتابة، فكان نساء المهاجرين يُعلّمن نساء الأنصار ما يتعلّمن به القرآن من الكتابة، وكانت أسماء قد حفظت بعض القرآن قبل هجرتها. فشرعت في تعليم نساء الأنصار أمور دينهنّ. وكانت رضي الله عنها تسمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم فتحفظه وتعلّمه غيرها. وَنَالَتْ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عِنَايَةً كَبِيرَةً، فَكَانَ يَدْعُو لَهَا، وَيُوصِيهَا بِمَا يَنْفَعُهَا، ويُعَامِلُهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مُعَامَلَةَ الْأَبِ لِابْنَتِهِ. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: رُوي لأسماء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستّة وخمسون حديثًا. روى عنها عبد الله بن عباس، وابناها عبد الله وعروة، وعبد الله بن أبى مليكة، وغيرهم. أيّها المسلمون. أمّا عن صفاتها وأخلاقها، رضي الله عنها. فقد عُرفت بالصفات الجليلة. والأخلاق السامية الفضيلة. والْقِيَمِ النَّبِيلَةِ، فقد كانت رضي الله عنها عنها من أكرم الناس وأجودهم، ومن حُبها للعطاء لم يكن يثبت بيدها مال. وكانت تحب الإنفاق في سبيل الله ، ففي صحيح مسلم عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِى بَكْرٍ

رضي الله عنهما: ((أَنَّهَا جَاءَتِ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ. لَيْسَ لِي شَيْءٌ إِلاَّ مَا أَدْخَلَ عَلَيَّ الزُّبَيْرُ فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَرْضَخَ أيْ أُعطي مِمَّا يُدْخِلُ عَلَيَّ؟ فَقَالَ: أَرْضَخِي أيْ أَعطي مَا اسْتَطَعْتِ وَلاَ تُوعِي أيْ تُمسكي فَيُوعِيَ اللَّهُ عَلَيْكِ)). وجاء في تاريخ دمشق بإسناد مصنّفه، عن أبى الزبير، قال: ((ما رأيتُ امرأتيْن قطّ أَجود من عائشة وأسماء، وجُودهما مختلِف، أمّا عائشة فكانت تَجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا اجتمع عندها وضعته مواضعه، وأمّا أسماء فإنها كانت لا تدّخر شيئًا لغد)). وفى طبقات ابن سعد بإسناد الصحيحين، عن فاطمة بنت المنذر، أنّ أسماء بنت أبى بكر كانت تمرّض المرضى، فتعتق كل مملوك لها. أيّها المسلمون. أمّا عن جهادها في سبيل الله. فكانت رضي الله عنها من المجاهدات في سبيل الله، العاملات على إعلاء راية الإسلام، ومن مواقف شجاعتها الكثيرة، أنها في غزوة تبوك، حضرت مع زوجها وابنها عبد الله وكان صغيرا، واستعدّت لقتال العدوّ، وفي المستدرَك عن أسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهما. أنها اتّخذت خِنجرا في زمن سعيد بن العاص في الفتنة. فوضعته تحت مرفقها فقيل لها: ما تصنعين بهذا؟ قالت: إن دخل عليّ لصّ بعجتُ بطنه. كما شاركت رضي الله عنها في معركة اليرموك في عهد الخليفة سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه جنبا إلى جنب مع زوجها سيّدنا الزبير بن العوام رضي الله عنه. وبلغ من شجاعتها وإقدامها أنها قرنت عنانها بعنان زوجها. فما كان يضرب إلا ضربتْ مثله. إنّ الجهاد في سبيل الله غير قاصر على الرجال، فقد كان للنساء الكثير من البطولات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما من غزوة من الغزوات إلا ولهنّ فيها ذِكْر. أيّها المسلمون. أمّا عن قوّة إيمانها، رضي الله عنها. فقد قَدِمت عليها أُمّها وهي كافرة، فرفضت قَبول هداياها حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ففي صحيح البخاري ومسلم عَنْ أَسْمَاءَ ابْنَةِ أَبِى بَكْرٍ رضى الله عنهما قَالَتْ: ((قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ. فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: نَعَمْ. صِلِي أُمَّكِ)). وأمّا عن صبرها وثباتها قوّة إيمانها، رضي الله عنها. فقد كان ابنها سيّدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه خرج على بني أُميّة وبايعه الناس في الحجاز والعراق على الخلافة. ودارت بينه وبين بني أُميّة حروب، وقد لجأ رضي الله عنه إلى البيت الحرام، ولمّا رأى أنّه لا طاقة له بحرب بني أُميّة. ذهب إلى أُمّه أسماء يستشيرها في الأمر. فقال: كيف أصبحتِ يا أُمّه؟ قالت: إنّ في الموت

لراحة، وما أُحب أن أموت إلا بعد خُلّتيْن: إمّا أن قُتلتَ فأحتسبك، أو ظفرتَ فقرّت عَيني. قال: يا أُمّه! إنّ هؤلاء قد أَعطوني الأمان، فما ذا تقولين؟ قالت: يا بُني أنتَ أعلم بنفسك، إن كنتَ على حقٍّ وإليه تدعو، فلا تمكِّن عبيد بني أُميّة منك يَتلاعبون بك، وإن كنتَ على غير الحق، فشأنك وما تريد. قال: يا أُمّه! إنّ الله لَيَعلم أنّي ما أردتُ إلا الحق، ولا طلبتُ غيرَه، ولا سعيْتُ في رِيبة قطّ. ثم قال: يا أُمّه! إنّي أخاف إن قتلني هؤلاء القوم أن يمثّلوا بي. قالت: يا بُني، إنّ الشاة لا تألم للسلخ إذا ذُبحت. قال: الحمد لله الذي وفّقكِ، وربط على قلبك! ثم نزل فقاتل حتى قُتل. وحُمل رضي الله عنه إلى الحَجّاج وهو مقتول، فقال: أَصلبوه في الحجون ، فصلبوه في الشمس. ثم مرّت أُمّه وهي عمياء يقودونها، فقالت: إذا وازيتُه فأقيموني، ووقفت وهي تبكي وتقول: سلامٌ عليك يا بن حوارِيّ رسول الله! صلى الله عليه وسلم. واللهِ لقد كنتَ بارّاً في شبابك، مطيعاً في كبرك، عابداً في شيخوختك، فسلام الله عليك حتى ألقاك. أيّها المسلمون. إِنَّ سِيرَةَ السيّدة أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَحْمِلُ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْهَا دُرُوسًا وَفَوَائِدَ، فَكَانَتْ حَيَاتُهَا مُبَارَكَةً مَلِيئَةً بِالْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَظِيمَةِ. مِنْ أَمَانَةٍ وَصَبْرٍ وَتَضْحِيَةٍ، وَجِدٍّ وَتَوَكُّلٍ، وَعَطَاءٍ وَإِيثَارٍ، فَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَتَأَسَّى بَنَاتُنَا الْيَوْمَ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الصَّحَابِيَّةِ الْجَلِيلَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا. وقد تُوفّيت في مكة في العام الثالث والسبعين من الهجرة. وقد كانت وفاتها بعد مقتل ابنها عبد الله بقليل. ولها مائة سنة، لم يَسقط لها سِنّ، ولم يُنكر لها عقل. فلقد أدّت رسالتها. وأطاعت ربها. فرضي الله عنها، ورفع قدرها ومكانتها مع مَن أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّقين والشهداء والصالحين. وحَسُن أولئك رفيقا. فَاللَّهُمَّ اجْعَلْنَا بِهَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مُتَمَسِّكِينَ، وَبِأَصْحَابِهِ مُقْتَدِينَ، اللهمّ فإن عجزت أعمالنا الصالحة أن ننال بها مرضاتك. فبلّغنا اللهمّ بحبّنا لنبيّك وصحابته وآل بيته وأزواجه جنّاتك، واجعلنا ممّن دخل في حِصْنهم الحصين. وظلّهم الظليل. واكتسب بمحبّتهم والثناء عليهم العمل المتقبَّل والثواب الجزيل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

12- حُسن الفَذْلَكة في بعض مناقِب الصّحابيّ الجليل سيّدِنا عامِر بنِ فُهَيْرة دَفين الملائكة عليه من الله الرضوان والبركة ورزقنا الثّبات من غير زَيغٍ ولا فِتنةٍ مُهلِكة

الحمد لله الذي اختار لنبيّه سيّدِنا ومولانا محمّدٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرةَ خَلْقه من الصّحابة، ذوي الخُلُق الأَوفى وحُسْن الإنابة، فأقبلت جوارحُهم على طاعة ربّها مستجابة. فقد جاهدوا في الله حقّ جهاده، ونشروا دينه في بلاده وعباده، وباعوا أنفسَهم وأموالَهم من أجل الشهادة. حتى نالوا الحسنى وزيادة، نحمده تعالى حَمْدَ مَنْ ظَنُّه في ربّه جميل. ونشكره شُكْرَ ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)). ونسأله التوفيق للعمل بما يقرّبنا إلى مرضاته. معترفين بالتقصير فيما يلزمنا من شكر هباته، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. جَعَلَ دِينَهُ ظَاهِراً عَلَى كُلِّ دِينٍ، وأَعَزَّه بِرِجَالٍ صَادِقِينَ، وَاخْتَارَهُم لصُحْبة نَبِيّهِ. عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. فَكَانُوا نِعْمَ الصّاحِب وَالْمُعِين، وكَتَبَ لَهُمُ الْعِزَّةَ وَالسِّيَادَةَ وَالتَّمْكِينَ، وأشهدُ أنَّ سيّدَنا محمّداً عبدُه ورسولُه، وصفيّه من خلقه وخليله. اختاره بعلمه، وائتمنه على وحيه، واختار له خير العباد أعوانا، قذف في قلوبهم تصديقه ومحبّته، فآمنوا به وعزّروه ووقّروه، وجاهدوا في الله حقّ جهاده، فاستُشْهِد لله منهم مَنِ اِستُشْهِد، على المنهاج الواضح، والبيع الرابح، وتوفي منهم من توفي على الحقّ الناصع، والتوحيد الناصح، أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

يَا أُمَّةَ المصطفى الْمَوْصوفِ في الكتبِ * وشائقين بمدح الطّيّبِ الحَسَبِ

إنْ شئتُمُ أن تنالوا النَّجْحَ في الطَّلَبِ * وتَسْلَموا من شرور العُجْمِ والعَرَبِ

صلّوا على خيرِ مرسولٍ وخيرِ نبِي

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. المبعوث بالهدى والرحمة بشيرا ونذيرا، وداعيّا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. وعلى آله الطّيّبين المُطهَّرين مِنَ الرّجس تطهيرا. وعلى صحابته الباذلين أنفسهم في سبيل مرضاته. فنالوا بذلك عزّا كبيرا. صلاةً نكون بها مِمَّن ملأتَ قلوبَهم مواهبا وأسرارا. وألبستهم من ملابس التقوى هيبةً ووقارا. وعاملتَهم بعفوك ومغفرتك. وجعلت لهم أعلى الفراديس منزلا وقرارا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يقول الله تعالى في سورة الفتح: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا)). فهذا ثناء الله في الكتاب. عن ساداتنا الأصحاب. رضي الله عنهم. وكم وردت آيات

صريحة. وأحاديث صحيحة. في فضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما كان الله ليخصّهم بهذا الفضلِ العظيم؛ ويختارهم لصحبة نبيّهِ الكريم. عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. إلاّ لعلمه سبحانه أنّهم أهل لهذا التشريف والتكريم؛ روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لنفسه وَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ. فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ. يُقَاتِلُونَ عَنْ دِينِهِ)). وَرَوَى السُّدِّيُّ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ في سورة النمل: ((قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى))، قَالَ: أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَهُ السُّدِّيُّ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَابْنُ عُيَيْنَةَ، وَالثَّوْرِيُّ . أيّها المسلمون. واليوم إن شاء الله نريد أن نقترب من أولئك الرجال الأبرار، لنستقبل فيهم أروع نماذج البشرية، ولنرى في سيرتهم أسمى ما عرفت البشرية من عظمة ونبل ورشاد. نقترب منهم لنرى إيمانهم، وثباتهم، وبطولاتهم، وولاءهم لله ورسوله. صلى الله عليه وسلم. لنرى البذل الذي بذلوا، والهول الذي احتملوا، والفوز الذي أحرزوا. نرى الدَّوْر الجليل الذي نهضوا به لتحرير البشرية كلها من وثنية الضمير، وضياع المصير، حقا، إنهم فتية آمنوا بربهم، فزادهم الله هدى. وفي خطبتنا هذه إن شاء الله تعالى موعدنا مع الصحابي الجليل. والسبّاق إلى الإسلام، والمجاهد الشهيد. سيّدنا عامِر بنِ فُهَيْرة الأزدي التميمي. رضي الله عنه. وفُهيرة هي أُمّه، وكانت جارية مملوكة، وهو يُنسب إليها، لأنه لم يَعرف الطريق إلى الإعتزاز بأبيه أو عمّه. أسلم رضي الله عنه وهو مملوك، وعُذّب في الله، فاشتراه سيّدنا أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه، فأعتقه. وقد ظل عامر بن فُهيرة طِيلة حياته وفيّاً لسيّدنا أبي بكر صاحب هذا الفضل عليه. وصار بذلك مولاه، بعد أن أنقذه من العذاب الأليم الذي كان يلقاه على أيدي طواغيت مكة من المشركين، لأنه أسلم، وهذا دأب كل الطواغيت عَبْر القرون، كما أنّ شأن المسلم الثبات على الحق، والعضّ عليه بالنواجذ. أيّها المسلمون. وفي حادث الهجرة النبوية الشريفة اشترك عامر بن فُهيرة مع أسرة الصّدّيق في خدمة المهاجرَيْن العظيمَيْن وهما مختبئان في غار ثَوْر، فأسماء بنت أبي بكر تحمل لهما الطعام، وعبد الله بن أبي بكر يجمع لهما الأخبار، وعامر بن فُهيرة الذي كان يَرعى غنمَ أبي بكر يأتي بالأغنام إلى الغار، ليشرب منها

المهاجران العظيمان، ثم يعود بالأغنام ليمحو آثار الأقدام التي تخلّفت من مسيرة أسماء وأخيها، ثم رحل عامر بن فُهيرة مع المهاجرَيْن: رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيّدنا أبي بكر رضي الله عنه، فنال عامر رضي الله عنه بذلك شرف المشاركة في أعظم رحلة عرفتها الإنسانية. روى البخاري عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: ((لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ. فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ. يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ. فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ. فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ. وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنْ الْعِشَاءِ. فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ. وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا. حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ. يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ)). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر من مكة إلى المدينة إلا أبو بكر، وعامر بن فهيرة، ورجل من بني الدِّيل دليلهم. أيّها المسلمون. وتروي لنا كُتب السيرة أنّ جمعاً من الصحابة المهاجرين أُصيبوا بالحُمّى عَقِب الهجرة، بسبب الوباء الذي كان في المدينة المنوّرة، واشتدّت عليهم الحُمّى، كما اشتدّ بهم الحنين إلى موطنهم الأوّل مكة، ومِن هؤلاء أبو بكر وبلال وعامر بن فُهيرة، وتَروي السّيّدة الصّدّيقة بنت الصّدّيق أُمّنا عائشة رضي الله عنها أنها سألت عامراً وهو محموم فقالت: كيف تجدك يا عامر؟ فأجابها وهو يُعاني ما يعاني من أَوجاع الحُمّى:

لَقَدْ وَجَدْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ * وَالْمَرْءُ يَأْتِي حَتْفُهُ مِنْ فَوقِهِ

كُلُّ امْرِئٍ مُجَاهِدٌ بِطَوقِهِ * كَالثَّوْرِ يَحْمِي أَنْفَهُ بِرَوْقِهِ

ولما أخبرتْ عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا. قال: ((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ، كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ وأشدّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا, اللَّهُمَّ انْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى مَهْيَعَةَ)). وكذلك كان، ولله في خلقه شئون. وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عامر والحارث بن الصّمّة المجاهد الشهيد. الذي نال نعمة الشهادة مع عامر في معركة واحدة وفي يوم واحد. وشهد عامر بن فُهيرة رضي الله عنه غزوة بدر الكبرى، وأبلى فيها بلاء حسن، وشهد غزوة أُحُد، واحتمل فيها احتمالاً مشكوراً، أيّها المسلمون. وفي شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة بعث رسول

الله صلى الله عليه وسلم سرية فدائية إلى مكان يُسمّى بئر معونة. وتُسمّى بسريّة القرّاء إلى بئر معونة. وهو يقع بين أرض بني عامر وحرّة بني سُليم. وكانت السرية مكوَّنة من سبعين صحابيًّا، وكان هؤلاء السبعون من زهَّادِ الصحابة، ومن خيار المسلمين وفضلائهم، كان الصحابة يسمّونهم القرّاء؛ لكثرةِ قراءتهم للقرآن، وتهجّدهم به في الليل. كانوا يحتطبون بالنهار، ويصلّون بالليل، ويضعون الماء في المسجد للمسلمين، ويطعمون فقراء الصحابة من طِيبِ كسْبهم؛ وكان من بينهم بطلنا سيّدنا عامر بن فُهيرة رضي الله عنه، وفي السيرة حدّث عنهم مَن يعرف بهم وبأحوالهم فقال: الَّذِينَ كُنَّا نُسَمِّيهِمْ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْقُرَّاءَ، وأَنَّهُم كَانُوا سَبْعِينَ، فَكَانُوا إِذَا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ، انْطَلَقُوا إِلَى مُعَلِّمٍ لَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، فَيَدْرُسُونَ اللَّيْلَ حَتَّى يُصْبِحُوا، فَإِذَا أَصْبَحُوا، فَمَنْ كَانَتْ لَهُ قُوَّةٌ، اسْتَعْذَبَ مِنَ الْمَاءِ، وَأَصَابَ مِنَ الْحَطَبِ، وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ سَعَةٌ، اجْتَمَعُوا فَاشْتَرَوُا الشَّاةَ وَأَصْلَحُوهَا، فَيُصْبِحُ ذَلِكَ مُعَلَّقًا بِحُجَرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. وسبب هذه السريّة أنّه وَفَدَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو برّاء عامر بن مالك المشهور بلقب مُلاَعِب الأسِنَّة. فدعاه عليه الصلاة والسلام إلى الإسلام فلم يُسْلِم ولم يَبْعُد، بل قال: إنّي أرى أمرك هذا حَسَناً شريفاً. ولو بعثتَ معي رجالاً من أصحابك إلى أهل نَجْد فدعَوْهم إلى أمرك، رجوتُ أن يستجيبوا لك، ويتّبعوا أمرك. فقال عليه الصلاة والسلام: إنّي أخشى عليهم أهل نجد. فقال أبو برّاء: أنا جَارٌ لهم أن يعرض لهم أحد، فبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين من الأنصار شبيبةً يسمّون القُرَّاء، وأمَّر عليهم المنذرَ بن عمرو الخزرجي، فلمّا نزلوا ببئر معونة عسكروا بها، بعثوا حرامَ بن ملحان وهو خالُ أنس بن مالك رضي الله عنهما بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدوّ الله عامر بن الطُّفَيْل، فلمّا أتاه لم ينظر في كتابه. وأمر رجلاً فطعنه بالحِرْبة من خَلْفه، فلما أنفذها فيه. فخرج دمه في سبيل الله. فلما رآه حرام، قال: الله أكبر، فُزْتُ ورب الكعبة. ثم استنفر عدوّ الله لفَوْره بني عامر إلى قتال الباقين. فلم يجيبوه لأجل جوار أبي برّاء، فاستنفر بني سُلَيْم، فأجابته عُصَيَّة ورِعْلٌ وذكوان، فجاؤوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلمّا رأوهم أخذوا سيوفهم فقاتلوهم حتى قُتِلوا عن آخرِهم، بعد دفاعٍ شديد لم يُجْدِهم نفعاً لقلّة عددهم وكثرة عدوّهم، وفي السيرة الحلبية. أنّهم لمّا أحاطوا بهم قالوا: اللهم بلِّغ عنّا نبيّنا أنّا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيتَ عنّا. فلما جاءه الخبر من السماء. قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنّ إخوانكم قد لقوا

المشركين، وقتلوهم، وإنّهم قالوا: ربّنا بلِّغ قومنا أنّا قد لقينا ربّنا فرضي عنّا وأرضانا. فأنا رسولُهم إليكم إنّهم قد رضوا عنه ورضي عنهم. وقد تألّم النبي صلى الله عليه وسلم لأجل هذه المأساة ألماً شديداً. فأخذ صلى الله عليه وسلم يدعوا ويقنت في صلاة الفجر على أولئك القوم الذين غدروا وفتكوا بأصحابه فدعا عليهم شهراً. أيّها المسلمون. وكان ممّن ذاق طعْم الشهادة يومئذ المجاهد البطل عامر بن فُهيرة رضي الله عنه، لمّا قُتِل ببئر معونة وأُسِر عمرو بن أمية الضمري، حيث وُجِد بقربهم يرعى إبلهم. قال له عامر بن الطفيل: مَنْ هذا؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة، فقال: لقد رأيتُه بَعْدَ ما قُتِلَ رُفِعَ إلى السماء، حتى إنّي لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وُضِع. قال العلماء بالسِّيَر: طعنه جبّار بن سُلمى فأنفذه. أيْ أدخل السيف في بدنه من ناحية وأخرجه من الأخرى. فقال عامر: الله أكبر. فُزْتُ وربِّ الكعبة. أيْ بالجنّة. وفي ذلك الموقف منقبة وكرامة. إذ هو علامة على صِدْقه في طلبه للشهادة في سبيل الله. قال تعالى في سورة الأحزاب: ((وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)). وهذه المنقبة كانت سببا في إسلام قاتله جبّار بن سُلمى رضي الله عنه. لمّا رأى من قَتْل عامر بن فُهيرة ورَفْعه. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنّ الملائكة وارت جثّته وأُنزل عليّين)). قال عروة بن الزبير: كانوا يَروْن أنّ الملائكة هي دفنته. وقال الإمام الزهري: بلغني أنّهم التمسوا جسد عامر بن فهيرة فلم يَقدروا عليه. فيَرون أنّ الملائكة دفنته. أيّها المسلمون. وهكذا كان استشهاد عامر بن فُهيرة رضي الله عنه وهو في سنّ الأربعين خيراً له ولغيره، ففاز بالنعيم الأبدي عند الله جزاء شهادته، وكان سبباً في اهتداء أحد الكافرين إلى صراط الله عز وجل، وفي الصحيحين عَنْ سَهْلِ بن سعدٍ رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: ((فواللَّهِ لأنْ يَهْدِيَ اللَّه بِكَ رجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعَم)). إنّ هؤلاء السابقين المستضعَفين في الأرض لم يمنعهم فقرهم ولا قلّتهم أن يجاهدوا ويقودوا، فينتصروا ويسودوا، وإنّ هؤلاء الأوائل قد ضربوا الأمثلة للمظلومين أو المهضومين، كي يتجمّعوا ويجاهدوا فيستردّوا المسلوب. ويقرّوا شرع الله في الأرض. قال تعالى في سورة يوسف: ((وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ. إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)). اللّهُمَّ بِحَقِّهِم عِنْدَكَ. وَمَنْزِلَتهم لَدَيْكَ، إغْفِرْ لنا وَلِوالِدينا وَلِجَمِيعِ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ، وَانْفَعْنا اللهمّ بمَحَبَّتِهم، واحشرنا في زمرتهم. وَلا تَحْرِمْنا شَفاعَتَهم، وَثَبِّتْنا عَلى قَصْدِهِمْ، ولا تخالف بنا عن سنّتهم

ولا عن طريقتهم. وَتَوَفَّنا عَلى ما تَوَفَّيْتَهُمْ عَلَيْهِ، وَاجْمَعْ بَيْننا وَبَيْنَهُم في مُسْتَقَرِّ دارِ رَحْمَتِكَ، في مَحَلِّ رِضْوانِك، وَمَوْضِعِ اِكْرامِك، مَعَ النَّبِيّينَ وَالصِّدّيقينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفيقاً، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

13- القطرات النّديّة مِن مناقب السّيّدة أُمّ مَعْبَد الخُزاعيّة ووَصْفها للذّات المحمّديّة عليه من الله أفضل الصّلاة وأزكى التّحيّة

الحمد لله الذي رَفَع قَدْر السيادة المحمدية. وعظّمها تعظيما. وبهّج وجه الكَوْن بغرّته الأحمدية. وصمّم القلوب على محبّته تصميما. وأيّده بالصحابة الكرام. وأَخْدَمَهم مقامَه الشريف. فنالوا بذلك عِزّا وهَيبةً ووقارا وتفخيما. ورفع في سماء المعالي قدره. وشرّف في الملإ الأعلى ذِكره. وفضّله على سائر الأنبياء والرسل والأملاك والبشر. وجعل دلائل نبوّته وبِعثته وهجرته ومغازيه وحُسن سيرته من أجلّ ما يُتشرَّف بعلمه في الدارين ويُفتخَر. نحمده تعالى ونشكره أن شرّفنا بمحبّته. وجعلنا من أُمّته. وأكرمنا بالصلاة عليه والسلام. وجعل الوُلوع به. والإشتياق إليه. وسيلة لنيل القصد وبلوغ المرام. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الواحد القهّار، عالِمُ الجَهْرِ والإسْرارِ، يخلق ما يشاء ويختار. ويصطفي للشرف مَنْ شاء مِنَ الأخيار، جعَلَ في أخْبارِ الصّالحاتِ عظيمَ العِظَةِ والإعْتِبارِ، أمثال السيّدة أُمّ مَعْبَد الخُزاعيّة. مَن تشرّفت بوَصْف الذّات المحمّديّة. صلى الله عليه وسلم. ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)). وأشهد أنَّ سيّدنا محمدًا عبد الله ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. عينُ الرحمة الحبيبُ المحبوب. النبيُّ الكريم معشوق القلوب. مفتاح الخيرات. وباب السعادات. وكَنز العطيّات. مَن به تُفرَّجُ الكروب. مَدَحَه الله لأُمّته ترغيبا في محبّته فنِعْم المرغوب. بقوله: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)).

هذا محمّدُنا للحقّ أرشَدَنا * ومِنْ بحار الرَّدَى والهُلْكِ أنقذنا

هذا الذي جاء بالحقّ الْمُبِينِ لنا * وأذهب الشِّرْك بالآيات والحُجَجِ

صلّوا على المصطفى ذي الْمَنْظَرِ البَهِجِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. مطهّرِ القلوب من الأدران. ومنوّرِها بهديِ القرآن. ومُتَمِّمِ مكارم الأخلاق. وأفضلِ المخلوقات على الإطلاق. وخاتمِ الأنبياء والمرسلين. وجامعِ فضائلهم التي أنعم عليهم بها رب العالمين.

لكلِّ نبيٍّ في الأنام فضيلة * وجملتها مجموعة لمحمد

وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا. ومنحهم إجلالا كاملا وتوقيرا. وتمام عزٍّ وسعْدٍ ممدود. وصحابته الذين نصروا دينَه وشريعتَه. وتبعوا طريقه وسنّتَه. ووقفوا في ذلك عند كل حدٍّ محدود. صلاةً تمنّ بها علينا برؤية غرّته الوسيمة البهيّة. وتسعدنا بها سعادة مباركة هنيّة. وتميتنا بها على سنّته المحمّديّة. وطريقته المستقيمة السويّة. بفضلك وكرمك يا أرحم الرّاحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنَّ المتأمّل في سيرة هذا النبي الكريم. ذي الخُلُق العظيم. والقلب الرحيم. عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. وفي شمائله الحميدة. وصفاته الشريفة. يُدرك ما حباه الله تعالى من أنواع الكمالات، وما أيَّده به من المعجزات، وما عظَّم به جنابَه. وشرَّف مقامَه، وهذا يوجب على المسلم أن يكون قريبًا من هذه السيرة الشريفة؛ لأنّها تُبيّن المنهج الذي ينبغي أن يكون عليه المؤمن في عبادته لربه، وفيما يمضي فيه حياتَه، حتى يصل إلى تلك الدرجة التي أمر الله تعالى بها. قال تعالى في سورة الأنعام: ((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)). وإنّ تفاصيل سيرة نبيّنا عليه الصلاة والسلام كلها آيات وعِبر، وكلها خير وبِشر، سيرة شريفة كريمة، لا يَملِك المتأمّلُ فيها إلا أن يُعظِّم جناب هذا النبي الكريم، صلى الله عليه وسلم. وأن يَحمَد الله تعالى أن جعَله من أتباعه، وأن يبذل قُصارى جهده لاقتفاء أثره. صلوات ربي وسلامه عليه. فإنَّ الله سبحانه وتعالى يقول في سورة النور: ((وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا)). ويقول عزَّ من قائل في سورة الأحزاب: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)). أيّها المسلمون. في هذه الخطبة سوف نقف بصحبة نبيّنا سيّدنا ومولانا محمد رسول الله. صلى الله عليه وسلم في مرحلةٍ من مراحل هِجرته من مكة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة؛ هذه الهجرة الشريفة فيها آياتٌ وعِبر، وفيها دلائلُ وبُشَر، ينبغي أن تكون محلَّ العناية والاستفادة والتأمُّل. ومن جملة ما كان في مسيره عليه

الصلاة والسلام، من مكة إلى المدينة: أنَّه مرَّ بسيدةٍ من سيّدات العرب. وامرأةٍ من كرامهم، هذه المرأة التي مرَّ بها النبي صلى الله عليه وسلم ولم تك إذ ذاك مسلمة، ولكنّها رأت من هذا الرجل النبيّ العظيم سيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ما أوجب عليها أن تؤمن به وتُصدِّقه؛ لِمَا رأته من مخايِل النبوّة. والمعجزات العظيمة التي باتت تَتْرَى بين ناظرَيْها، وجزى الله هذه السيّدة الكريمة خير الجزاء وأَوفاه؛ فإنّها أُوتِيَت من البيان شيئًا عظيمًا، حينما وصفت نبيّنا سيّدنا ومولانا محمدًا صلى الله عليه وسلم وصفًا دقيقًا، يَعجِز عن أن يقول مثلَه كبارُ البلغاء. وتأمّل أيّها المحب. لهذا النبيّ الكريم صلى الله عليه وسلم حينما تسوق هذه المرأة هذه الصفات لنبيّك عليه الصلاة والسلام، ولتكن على حضور ذهنٍ منك؛ لعلّ الله تعالى يوفّقك لئن تُدرك هذه الصفات التي ذَكرتَها هذه المرأة، فتكون حاضرة في ذِهنك؛ لعلّ الله يُكرمك برؤية نبيّك سيّدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام في المنام أو في اليقظة، فإنْ رأيتَه على هذه الصفات فقد رأيتَه كذلك، ويا بشراك. فإنّ رؤية النبيّ عليه الصلاة والسلام في المنام إذا رآه المؤمن على صفاته رؤيةُ حق؛ لأنّ الشيطان لا يتمثّل به. كما قال عليه الصلاة والسلام. ولعلّها أن تكون مقدّمةً لرؤيتك لهذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، حينما تَقدُمُ على حوضه الشريف، فتنال هذه البركة العظمى والسعادة الكبرى التي لا تظمأ بعد شُربك من حوضه أبدًا. جعلنا الله وإياكم كذلك. أيّها المسلمون. وهذه المرأة هي الصحابية الجليلة، السيّدة عاتكة بنت خالد بن خليد الخزاعية، وكُنيت بابنها مَعْبَد، وعُرِفت بكُنيتها أُمّ مَعْبَد. أمّا زوجها أبو معبد فقيل: إنّ اسمه أكثم بن الجَون. رضي الله عنهما وأرضاهما. وقد أورد حديثها عدد من الأئمّة في مُصنَّفاتهم؛ فحديثها حديثٌ صحيحٌ بشواهده؛ حيث رواه الإمام البغوي في شرح السنّة، وفي كتابه الأنوار في شمائل النبي المختار، صلى الله عليه وسلم. وخرَّجه الحاكم في المستدرَك، وقال عنه الحافظ ابن كثير رحمه الله: إنّه مشهور ومروي مِن طُرُق يَشدّ بعضُها بعضًا. وهذه القِصّة فيها من الرَّوعة والجمال ما يُسبي العقول، ويُريح النفوس، ويُطمئنّ القلوب، ويُثلج الصدور، لاسيما وأنتَ تشاهد أيّها المحب العاشق جمال سيّد الخَلق، خير البرية، وأزكى البشرية؛ عليه من الله أفضل الصّلاة وأزكى التّحيّة. فتتمتّع بجمال المشاهَدة، وحلاوة النظر، ولذّة الشَّوق للقاء والمرافقة في جنّات النعيم، ثم تتأمّل في تلك الصفات الخَلقية التي وهبها الله تعالى نبيَّنا صلى الله عليه وسلَّم فتشتاق لرؤيته، فإذا ما اشتاقت نفسُك، ولهفت رُوحُك؛ بحثتَ عن ما يُوصلك إليها.

فتهرع إلى دواوين القرآن والسنّة لترى كيف سبيل الوصول إليه، واللقاء به، فتجد أنّ رَهْنَ إمكان رؤيتِه ومرافقتِه مرهونٌ بمحبّته واتّباعه. صلى الله عليه وسلَّم. قال تعالى في سورة الأعراف: ((فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). وقال سبحانه في سورة آل عمران: ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)). وكم يتمتّع المحب للحبيب صلى الله عليه وسلم بقراءة هذا الوصف البليغ من أُمّ معبد رضي الله عنها. عندما يتنقّل بين ثنايا السطور والأحرف والكلمات التي لو أَنصفها الكتّاب لَمَا كتبوها إلا بماء الذهب. لِمَا تحمله في طيّاتها من معاني سامية، وأوصاف بديعة. أبت إلا أن تتشرّف وتتّسم في ذات حبيبنا صلى الله عليه وسلم. لتحُوز على شرف الانتساب إليه، والالتصاق به. فتكون مصاحبة له، ومقتدية به. أيّها المسلمون. روى الإمام الطبراني والحاكم وغيرُهما عَنْ حُبَيْشِ بْنِ خَالِدٍ رضي الله عنه صاحبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ اللَّيْثِيُّ دَلِيلُهُمَا، مَرُّوا عَلَى خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيَّةِ، واسمها عَاتِكَةُ بِنْتُ خَالِدٍ، وَكَانَتِ امْرَأَةً بَرِزَةً جَلِدَةً. يعني أنّها كانت امرأة كهْلة كبيرة في السن، لا تحتجب احتجاب الشواب، تَحْتَبِي بِفِنَاءِ الْقُبَّةِ، أيْ الخَيمة الصغيرة. وَتَسْقِي وَتُطْعِمُ، فَسَأَلُوهَا لَحْمًا وَتَمْرًا لِيَشْتَرُوا مِنْهَا، فَلَمْ يُصِيبُوا عِنْدَهَا شَيْئًا، وَإِذَا الْقَوْمُ مُرْمِلُونَ مُسْنِتُونَ، يعني أنه قد نَفِدَ زادهم، وأصابهم القحط والعطش، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى شَاةٍ فِي كَسْرِ الْخَيْمَةِ، يعني في جانبها. فَقَالَ: ((مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟)). قَالَتْ: شَاةٌ خَلَّفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْغَنَمِ. يعني أنها هزيلة لا تقدر على المشي مع الغنم للرعي، فذهب الغنم وبقِيت هي. قَالَ: ((هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟)). قَالَتْ: هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ، يعني أنها لضعفها لا يمكن أن يكون بها من لبن. قَالَ: ((أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَحْلُبَهَا؟)). وتأمّلوا أيّها المحبّون. لهذا النبيّ الأمين المأمون. صلى الله عليه وسلم. تأمّلوا في هذا الأدب النبوي العظيم، حينما يستأذن من هذه المرأة في حلالها، ولا يهجم عليه، ولا يتصرَّف تصرّف الفُضولي، مع أنه يَعلم أنه مهما أتى شيئًا ممّا للمسلمين، أو ممّن يُعظّمونه ويُجلّونه كحال هذه المرأة، فإنّهم لن يُمانِعوا، بل إنّهم فرحون مَحبورون. وتأمّلوا لأدب هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. حينما يُنادي هذه المرأة بكُنيتها أُمّ مَعْبَد. احترامًا وإجلالًا وتقديرًا، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن لطيفًا مقدِّرًا لكل مَن يَلتقي بهم، لا مِن رجل ولا امرأة، لا مِن مسلم ولا

غير مسلم؛ فهذا حقٌّ ينبغي أن يَصدر مِن الإنسان الذي تمثّل أخلاق الإسلام، أن يُقدِّر مَن يَلتقي به، وأن يتحدّث معه بما يليق. فلمّا استأذنها عليه الصلاة والسلام قَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، نَعَمْ. إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْبًا فَاحْلِبْهَا، وتأمّلوا أيّها الأحباب. هذه المرأة حينما تَفدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبيها وأُمّها، مع أنه أوّل لقاء بينهما، وما ذلك إلا لأنه أَسَرَ قلبها، وحلَّ بسويدائه حبًّا وتقديرًا لأمريْن: لِمَا رأتْ عليه من مخايِل النبوّة. ومهابة الفضل والشرف، ولِمَا كان يتعامل معها من أدب واحترام، فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا وَسَمَّى اللَّهَ، وَدَعَا اللَّهَ لَهَا فِي شَاتِهَا. فَتَفَاجَتْ عَلَيْهِ، أيْ فتحت ما بين رِجليها للحلب؛ لكثرة ما اجتمع في ضرعها من اللبن ببركة دعائه ومسحه عليه الصلاة والسلام، وَدَرَّتْ، وَاجْتَرَّتْ، وَدَعَا بِإِنَاءٍ يُرْبِضُ الرَّهْطَ. يعني إناء يكفي لإشباع رهطٍ من الناس من ثلاثة إلى عشرة، حتى إنهم إذا شربوه تثاقلوا، فربضوا وناموا لكثرة ما شربوا، قالتْ: فَحَلَبَ فِيهَا ثَجًّا حَتَّى عَلاهُ الْبَهَاءُ، أيْ إنّ الحليب يصبّ من ضرعها ويسيل سيلانًا لِوَفرته حتى علاه البهاء؛ أيْ إنه امتلأ الإناء بهذا الحليب، وصار أعلاه رغوة اللبن اللامعة، ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى رُوِيَتْ، ثُمَّ سَقَى أُصَحَابَهُ حَتَّى رُوُوا، ثُمَّ شَرِبَ آخِرَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: ((ساقي القوم آخرُهم شربا)). فما أعظمه من تواضع! وما أكرمه من تعامل! بدأ بصاحبة الدار، ثم أعطى أصحابه، يخدمهم وهو أشرف الخلق، ثم شرب بعدهم، فلم يتقذّر ممّا شربوا، فهذا تواضع جمّ، وخُلُق أشمّ من هذا النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه. قالت أُمّ معبد: ثُمَّ أَرَاضُوا، أيْ شربوا مرة بعد مرة، وهو ما يسمّيه العرب العلل بعد النهل، قالت: ثُمَّ حَلَبَ ثَانِيًا بَعْدَ بَدْءٍ حَتَّى مَلأَ الإِنَاءَ فَغَادَرَهُ عِنْدَهَا، ثُمَّ بَايَعَهَا وَارْتَحَلُوا عَنْهَا، فَقَلَّ مَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ زَوْجُهَا أَبُو مَعْبَدٍ يَسُوقُ أَعْنُزًا عِجَافًا. يَتَسَاوَكْنَ هُزَالا. أيْ يمشين مشيًا ضعيفًا. مُخُّهُنَّ قَلِيلٌ، فَلَمَّا رَأَى اللَّبَنَ أَبُو مَعْبَدٍ عَجِبَ، وَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟ وَالشَّاةُ عَازِبٌ حُيِّلٌ، وَلا حَلُوبَةَ فِي الْبَيْتِ، لأنه من المعلوم أنّ الحليب واللبن يثجّ من ضرْع الشاة وما أشبهها بعد ولادتها؛ فهذه عنْز لم تحمل حتى يثجّ ضرعها. وهي كذلك أيضًا ضعيفة هزْلى، قَالَتْ: لا وَاللَّهِ، إِلا أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ. مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبَدٍ. قَالَتْ: رَأَيْتُ رَجُلاً (ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ). أيْ ظاهر الحُسن والجمال، (أَبْلَجَ الْوَجْهِ). أيْ مشرق الوجه مضيئوه، (حَسَنَ الْخَلْقِ). (لَمْ تَعِبْهُ ثُجْلَة). الثجلة عِظَمُ البطن مع استرخاء أسفله، (وَلَمْ تُزْرِ بِهِ صَعْلَة). أي صغر الرأس، (وَسِيمًا). المشهور بالحسن كأنه صار الحسن له سِمة، (قَسِيمًا). أي

كل موضع منه أخذ قِسما من الجمال، (فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ). اشتدّ سوادها وبياضها واتّسعت، (وَفِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ). أيْ طول، (وَفِي صوَتِهِ صَحَلٌ). أي شبه البُحّة، (وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ). أيْ طول العنق، (وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ). (أَحْوَرَ). اشتدّ بياض عينيه مع سوادهما، (أَكْحَلَ). أي ذو كُحْلٍ، اسودّت أجفانه خِلقة، (أَزَجَّ أَقْرَنُ). أَي مَقْرُون الحاجبين من غير اتّصال، (شَدِيدَ سَوَادِ الشَّعْرِ). (إِذَا صَمَتَ عَلاهُ الْوَقَارُ). أي الرزانة والحِلْم، (وَإِذَا تَكَلَّمَ عَلاهُ الْبَهَاءُ). من الحسن، والجلال والعظمة، (أَجْمَلَ النّاسِ. وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ. وَأَحْسَنُهُ وَأَحْلاهُ مِنْ قَرِيبٍ. حُلْوَ الْمَنْطِقِ). (فصْلٌ لا نَزْرٌ وَلا هَذرٌ). أي لا قليل ولا كثير أي ليس بقليل فيدلّ على عِيٍّ وَعَدَمِ إِفْصَاحٍ، ولا كثير فاسد، (كَأَنّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ يَنحدرنَ). أي كلامه محكم بليغ، (رَبْعَةٌ). (لا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ). أي لا تزدريه لقصره فتجاوزه إلى غيره بل تهابه وتقبله، (وَلا تَشْنَؤُهُ مِنْ طُولٍ). أي لا يُبْغَضُ لفرط طوله، (غُصْنًا بَيْنَ غُصْنَيْنِ. فَهُوَ أَنْضَرُ الثّلاثَةِ مَنْظَرًا). (وَأَحْسَنُهُمْ قَدًّا). أي قامة، (لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفّونَ بِهِ. إِذَا قَالَ اسْتَمَعُوا لِقَوْلِهِ. وَاذَا أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ). (مَحْفُودًا). أي مخدوم، (مَحْشُودًا). الذي يجتمع الناس حوله، (لا عَابِسًا). (وَلا مُفْنِدًا). المنسوب الى الجهل وقلّة العقل، وتعني بذلك أنه كان جميل المعاشرة. حُسن الصحبة، صاحبه كريم عليه، وهو حبيب إليه. صلى الله عليه وآله وسلم. أيّها المسلمون. فهذا وصْف امرأة للرسول صلى الله عليه وسلم، مرّ بها عليه الصلاة والسلام عابرا يستقي منها الماء واللبن، لمحته عينيْها فجاشت لزوجها عند رجوعه آخِر النهار بهذه الكلمات التي يعجز كثير من بني الإنسان عن فهمها، فضلا عن قول مثلها لو رأى الرسول صلى الله عليه وسلم. إنّ المرأة عبّرت بما أحسّت ولمست من كمال جماله، وحُسن مظهره، وبهجة طلعته صلى الله عليه وسلم، وصفته بأنه: جميل حُسن المنظر. سواء تراه عن قُرب أو عن بُعد. أبيض الوجه وضيء. ليس له بطن عظيم. ليس به صلع، بل شعره من مقدّمة رأسه. الجمال في وجهه. في كل عضو على حِدَة. شديد سواد العين. واسع العينين. طويل شعر الأجفان. في صوته بَحَّة مع خشونة. طويل العنق. شديد بياض بياض العين، شديد سواد سوادها. أسود أجفان العين أكحل. طويل الحاجبين مع رقّة فيهما. متّصل الحاجبين. متوسّط حجم الجسم، لا تافه ولا كثير غليظ. معظَّما مكرَّما مخدوما من أصحابه. يلتفتُ حوله أصحابه. غير عابس ولا يحتقر أحدا. صلى الله عليه وسلم. فقال أبو معبد بعد أن سمع هذا الوصف البليغ: هُوَ وَاللَّهِ صَاحِبُ قُرَيْشٍ الَّذِي ذُكِرَ لَنَا مِنْ أَمْرِهِ مَا ذُكِرَ بِمَكَّةَ، وَلأَصْحَبَنَّهُ إِنْ

وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلا، تأمّلوا أيّها الأحباب. هذا العقل الراجح لمّا سمِع من هذا الخبر عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. والمعجزات التي تَحْدث تترى بين يدي زَوْجه، والوصف البليغ الذي هو وصف مقام النبوّة ووقارها، تمنّى صحبته. وأقسم أن يصحبَه، فهذا هو الشرف الرفيع والمقام العالي بليغ. فهذا جانب من وصْف نبيّنا وسيّدنا وحبيبنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما حصل لأُمّ معبد رضي الله عنها حينما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتها، وحلَّ بخيمتها، حلَّت البركات، وهذا ليس لأُمّ معبد وحدها، بل هي بركاته صلى الله عليه وسلم التي أفاءها الله على العالمين؛ فإنّ بعثته رحمة للناس كافّة؛ كما قال الله جل شأنه في سورة الأنبياء: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)). فهو النعمة العظمى. وهو الرحمة المهداة من الله تعالى للبشرية جمعاء. صلى الله عليه وسلم. فمَن أراد البركة في حياته. وفي حركاته وسكناته. مَن أراد البركة في رزقه وفي أولاده. مَن أراد البركة في شؤونه وأموره. فعليه بمعرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. معرفةِ سنّتِه وسيرتِه. عليه بحبّه. واتّباعه واقتفاء أثره. والله جل وعلا يقول في كتابه الكريم: ((فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). أيّها المسلمون. وقد عاشت أمّ معبد رضي الله عنها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خلافة سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان الصحابة يقدِّرونها ويعرفون لها فضلها، جاء عن هشام بن حرام عن أبيه: أنّ أمّ معبد كانت تُجرى عليها كسوةٌ وشيء من غلّة اليمن وقَطَران لإبلها، فمرَّ عثمان رضي الله عنه مرةً، فقالت له: أين كسوتي؟ وأين غلّة اليمن التي كانت تأتيني؟ قال لها رضي الله عنه: هي لك يا أمّ معبد عندنا، واتّبعته حتى أعطاها إياها. وذُكر أيضًا فيما ذُكر: أنّ الشاة التي حلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيت دهرًا طويلًا تحفل بالحليب، وذلك ببركةِ ملامسة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها، وفي السيرة الحلبية عن أمّ معبد: أنّ هذه الشاة بقيت إلى خلافة سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سنة ثماني عشرة، وقيل سبع عشرة من الهجرة، ويقال لتلك السنة عام الرمادة. ولهذا نظائر في السيرة، ذلك أنّ أشياء بقيت أمدًا طويلًا من لباسٍ أو طعامٍ ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وملامسته لهذه الأشياء، بما جعل الله من البركةِ في ذاته الشريفة صلوات ربي وسلامه عليه. اللهم إنّا نسألك أن تجعلنا من رفقائه في الدنيا والآخرة. اللهم اجمعنا به يوم لقائك في جنّات الخلود. يا كريم يا ودود. اللهمَّ اجعَلْ قُلوبَنَا عَامِرَةً بِحُبِّ

وَتَعْظِيمِ وَإِجْلالِ حَبِيبِكَ سَيِّدنَا ومولانا محمدٍ صلى الله عليه وسلم. وَثَبِّتْنَا اللهمَّ علَى هَدْيِهِ وَطَرِيقَتِهِ. واستعمل جوارحنا لاتّباع سنّته. اللهم وتوفَّنا على ملَّته، واحشرنا في زمرته، وأدخلنا في شفاعته، واسْقِنا من حوضه الشريف شربة لا نظمأ بعدها أبدا، فإنّك خير مسؤول. وأكرم مأمول. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ

14- كفاية الطالب بنيل الرغائب من مختصر سيرة سيّدنا جعفر بن أبي طالب

ٱلْحَمْدُ للَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوٰتِ وَٱلأرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰئِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَاء إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فسبحانه مِنْ إله يَخْلُق ما يشاء ويختَار. ويَصطفِي للشَّرف مَنْ شاءَ مِنَ الأخيَار، فَهُمْ خاصّة عباده، وغَرْسُ بلاده، يَصْرِفُ عنهم البلايا، ويخصّهم بالخيرات والعطايا، فهُمْ القائمون بإظهار دينه، والمتمسّكون بسنّة نبيّه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. أرسل سيّدنا محمّدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، وأيّده بالصحابة الكرام، نجوم الهداية للمهتدين. فقد جاهدوا في الله حقّ جهاده، ونشروا دينه في بلاده وعباده، فأقبلت جوارحهم على طاعة ربّها منقادة، فباعوا أنفسهم وأموالهم من أجل الشهادة. حتى نالوا الحسنى وزيادة،

أولئك أصحابُ النبّيّ وحزبُه * ولولاهمُ ما كان في الأرض مسلمُ

ولولاهمُ كادت تميدُ بأهلها * ولكنْ رواسِيَها وأوتادُها هُمُ

ولولاهُمُ كانت ظلاماً بأهلها * ولكنْ هُمُ فيها بدورٌ وأنجمُ

فرضي الله تعالى عنهم أجمعين. وأشهد أنّ سيّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُه ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. نبيٌّ أيّده ربّه بأصحابٍ كانوا بعد النبيئين أفضلَ أهلِ الأرض طُولا وعُرْضا. وجعل محبّتهم ومودّتهم على جميع الأنام فَرْضا. وحَكَم بالخَيْبة والشقاء لِمَنْ أبدى لهم بُغْضا.

لقد رضي الرحمان عنهم فإنّهم * هُمْ بايعوا المختار طوعا بلا قَهْرِ

بذا أخبر الرحمان عنهم لأنّهم * هُمُ الأوّلون السّابقون من الصَّدْرِ

هُ خير من يُرْجى لرفع ملّمة * وهم خير من يُدْعَى وهم خير من يُقْرِ

فأسأل ربّي رؤيةً لوجوههم لدى جنّة الفردوس في الحُلَل الخُضْرِ

إخواني: إذا أرادتم في القيامة بهجة الأنوار. ورغِبتم في السلامة من هذه الدار. صلّوا على هذا النبيّ المختار. تفوزوا بقُرْبه في دار القرار. اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدِنا محمّد. درّة الأكوان. وقطب السيادة الواضح الدليل والبرهان. وعلى آله البدور الحسان. وصحابته الماحين بسيوفهم آثار عبدة الأصنام والأوثان. صلاة تختم لنا بها بالإيمان. وتعاملنا بها بالعفو والغفران. وتسكننا بها أعلى فراديس الجنان. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يقول الله عزّ وجلّ في سورة الفتح: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمْ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)). فهذا ثناء الله في الكتاب. عن ساداتنا الأصحاب. وكم وردت آيات صريحة. وأحاديث صحيحة. في فضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما كان الله ليخصّهم بهذا الفضلِ العظيم؛ ويختارهم لصحبة نبيِّهِ الكريم. عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. إلاّ لعلمه سبحانه أنّهم أهل لهذا التشريف والتكريم؛ روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنّ الله نظر في قلوب العباد فوجد قلبَ محمّد صلى الله عليه وسلم خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثمّ نظر في قلوب العباد بعدَ قلب محمّد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوبَ أصحابه خيرَ قلوب العباد، فجعلهم وزراءَ نبيّه، يقاتلون على دينه. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خير هذه الأمّة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلّفًا، قوم اختارهم الله عزّ وجلّ لصحبة نبيّه ونقل دينه. أيّها المسلمون. هذه مُقتَطَفات من سِيرَة عَلَمٍ من أعلام هذه الأُمَّة، وبَطَلٍ من أبطالها، صحابي جَلِيل. نقتَبِس من سِيرَته العَطِرة الدُّروسَ والعِبَر، هذا الصحابيُّ كان من السابقين إلى الإسلام، وممَّن هاجَر الهجرتَيْن: الأولى للحبشة، والثانية للمدينة المنوّرة، وكان أحد قادَةِ المسلِمين في معركة مُؤتَة الشَّهِيرة، التي كانت في مثل هذا الشهر. أعني شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة. والتي نال فيها الشهادة.

وله قَرابَةٌ من النبي صلَّى الله عليه وسلَّم. فهو ابن عمِّه. قال عنه النبي صلَّى الله عليه وسلَّم في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: ((أشبهتَ خَلْقي وخُلُقي))، قال الذهبي في (سِيَر أعلام النُّبَلاء): وقد سُرَّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بقدومه من الحبشة، وحزن واللهِ كثيرًا عند استشهاده. إنّه الشهيد البَطَل، علَم المُجاهِدين، ومضيّف المساكين، ومهاجر الهجرتين، ومصلي القبلتين. الخطيب المقدام، والسخي المطعام، خطيب المهاجرين، سيّدنا جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَناف القرشي الهاشمي، رضي الله عنه وأرضاه. وأمّه السيّدة فاطمة بنت أسد بن هاشم الهاشمية، وكنيته أبو عبد الله. وهو شقيق سيّدنا علي بن أبي طالب، كرّم الله وجهه ورضي عنه. وأكبر منه بعشر سنين، وُلِد سيّدنا جعفر رضي الله عنه في مكة المكرّمة سنة أربع وثلاثين قبل الهجرة. وكان من السابقين الأوّلين في الإسلام. هاجر مع زوجته أسماء بنت عميس الخثعمية الهجرة الأولى إلى الحبشة. وكان له في الحبشة موقف متميّز. دافع فيه عن الإسلام دفاعاً مؤثِّراً أمام النجاشي. عندما جاء سيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه. فإنّه أسلم بعد ذلك. على رأس وَفْدٍ من قريش يطلب إخراج المسلمين من الحبشة، فاقتنع النجاشي عند ذلك بالإسلام، ورفض طلب القريشيّين، وأعلن إسلامه. وحمى المسلمين في بلاده. مكث سيّدنا جعفر رضي الله عنه في الحبشة أربعة عشر عاماً وهو أمير المهاجرين ومَنْ أسلم من أهلها. يعلّمهم فضائل الدين الحنيف. ويدعو إلى الإسلام. ووُلِدَ له فيها أبناؤه: عبد الله وعوف ومحمد. أيّها المسلمون. وكان رضي الله عنه أشبه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم برسول الله من حيث الخِلْقَة والخُلُق، روى البخاري في صحيحه عنه صلى الله عليه وسلم قال لسيّدنا جعفر: ((أشبهتَ خَلْقي وخُلُقي)). وذكر الذهبي في (سِيَر أعلام النُّبَلاء) من طريق ابن إسحاق عن أسامة بن زيد عن أبيه زيد رضي الله عنهما أنّه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لجعفر: ((أشْبَهَ خَلْقُكَ خَلْقي، وأشْبَهَ خُلُقُك خُلُقي، فأنت منّي ومن شجرتي)). وهذا دليلُ قُرْبٍ وحبٍّ واضِحٍ فيما كان لسيّدنا جعفر رضي الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن صور المحبّة الفيّاضة لسيّدنا جعفر في قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم أنّه كان يحبّ أبناءه بعد استشهاده في غزوة مؤتة. ويضمّهم إليه، ويشمّهم ويردفهم ويقرّبهم؛ لما كان لسيّدنا جعفر رضي الله عنه وأرضاه من الحبّ والمنزلة الأثيرة. روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم

من سفرٍ تُلُقِّيَ بصبيان أهل بيته، وإنّه قدم من سفرٍ فَسُبِقَ بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة رضي الله عنها فاردفه خَلْفه، فدخلنا المدينة ثلاثةً على دابّةٍ). وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يسمّي جعفرا بأبي المساكين، لأنّه رضي الله عنه كان يحبّ المساكين ويجلس إليهم. ويحدّثهم ويحدّثونه. ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضِي الله عنه أنّه قال: كنتُ أُلْصِقُ بطني بالحصباء من الجوع، وإنْ كنتُ لأَستَقرِئ الرجلَ الآيةَ هي معي، كي يَنقَلِب بي فيُطعِمني، وكان أخير الناس للمِسكِين جعفر بن أبي طالب، وكان يَنقَلِب بنا فيُطعِمنا ما كان في بيته، حتى إنْ كان ليُخرِج إلينا العُكَّة التي ليس فيها شيء فنشقّها فنلعَق ما فيها. وروى الترمذيُّ في سننه. والحاكم في مستدركه. عن أبي هريرة رضِي الله عنه قال: (ما احتذى النعال، ولا ركب المطايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جعفر بن أبي طالب). قال ابن حجر رحمه الله: أنّه يعني بذلك في مجال الجُود الكرم؛ أيّها المسلمون. وفي السنة السابعة للهجرة. عاد رضي الله عنه من الحبشة مع أهله وجماعة من المسلمين على سفينتَيْن إلى المدينة المنوّرة. وهم آخر من عاد من الحبشة. وحين وصلوا المدينة المنوّرة كان المسلمون قد فتحوا خيبر، وقد ورد كذلك في شأن قدوم سيّدنا جعفر رضي الله عنه ما يكشف عن مزج تلك المحبّة بالإجلال والتقدير له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ذكر ابن عبد البرّ في كتابه (الدُّرَر في اختصار المغازي والسِّيَر): أنّه لمّا قدم جعفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقّاه المصطفى عليه الصلاة والسلام واعتنقه، وقبَّل بين عينيه، وقال: ((ما أدري لأيّهما أنا أشدّ فرحاً! بقدوم جعفر أم بفتح خيبر!؟)). وأنزله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جوار المسجد. وآخى بينه وبين سيّدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه. وأسهم له من غنائم خيبر. وهذا التقبيل بين عينيه إجلالٌ وحبٌّ، والإعتناق دليل شوقٍ من الرسول صلى الله عليه وسلم لسيّدنا جعفر رضي الله عنه، وفي رجوعهم من الحبشة وقعت قصّةٌ تدلّنا على مسألة الهجرة وأهمّيتها وفائدتها، ترويها لنا السيّدة أسماء بنت عميس رضي الله عنها، زوجة سيّدنا جعفر بن أبي طالب. وهي مذكورة في البخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنّة المشهورة، هذه الرواية فيها: أنّ سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم ودخل على بيته، وعند زوجته امرأةٌ فقال: مَن هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، فقال سيّدنا عمر رضي الله عنه: ألحبشية؟ أي: هل هي الحبشية التي جاءت من الحبشة؟ فقالت: نعم. فقال الفاروق رضي الله عنه: سبقناكم

بالهجرة، فنحن أحقّ برسول الله صلى الله عليه وسلم منكم. وكان تفاخر القوم أيْ ساداتنا الصحابة رضي الله عنهم ليس بالأحساب والأنساب، وإنّما بالبذل والتضحية في سبيل الله، وبالقرب وبالخدمة والذَّوْد والحماية لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فغضبت أسماء رضي الله عنها من ذلك وحزنت. وكانوا أحرص شيءٍ على الخير والفضل في هذا الدين. فقالت: كلاّ. والله! كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يطعم جائعكم، ويعلّم جاهلكم، وكنّا في دار البُعَداء والبُغَضاء في الحبشة، وذلك في الله وفي رسوله، واللهِ لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلتَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن كنّا نُؤْذى ونخاف. فذهبتْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: ((ليس بأحقّ بي منكم، له ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان)). فقالت أسماء رضي الله عنها: (فجعل أهل الحبشة يأتون إليَّ أرسالاً؛ يسألونني عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم)؛ ولهذا لُقّبَ سيّدنا جعفر بذي الهجرتَيْن. رضي الله عنه وأرضاه. أيّها المسلمون. وفي شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة. بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً إلى مؤتة. وهي قرية من قرى الشام، وتقع الآن في محافظة الكرك جنوب الأردن. وبعد تجهيز الجيش قال: عليكم بزيد بن حارثة، فإن أُصِيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فابن رواحة، وكان اختيار الرسول عليه الصلاة والسلام جعفراً أحد قادة الغزوة، على أهميّتها وخطورتها دليلاً على كفايته القيادية. وشجاعته الفائقة، حيث إنّ هذه المعركة تعتبر المعركة التمهيدية الحقيقية لفتح بلاد الشام، وتأسيس أوّل ركن لدولة الإسلام خارج الجزيرة العربية، وبعد أن بدأت المعركة واستشهد سيّدنا زيد بن حارثة رضي الله عنه، تسلَّم القيادة واللواء سيّدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان فارسًا من فرسان العرب، فعقر جواده، وجعل ينشِد هذه الأبيات:

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا * طَيِّبَةٌ وَبَارِدٌ شَرَابُهَا

وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا * عَلَيَّ إِذْ لاَقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

فأخذ اللواء بيمينه فحارب حتى قُطِعَت يمينه، فأخذه بشماله فقُطِعَت. فاحتضنه بعضدَيْه حتى خرّ شهيداً رضي الله عنه وأرضاه. فسقط مُضَرَّجاً بدمائه دون أن يسقط اللواء على الأرض، فلمّا استُشهِد تناوله سيّدنا عبدُ الله بن رواحة رضي الله عنه. قال تعالى في سورة آل عمران: ((وَلاَ تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا

بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)). وهذه الغزوة الوحيدة التي نصّ النبي صلى الله عليه وسلم على نتيجتها وخبرها وحياً وقت وقوعها قبل عودة الصحابة ورجوعهم رضوان الله عليهم أجمعين. روى البخاري في صحيحه من حديث سيّدنا أنس بن مالك رضِي الله عنه أنّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم نَعَى زيدًا وجعفرًا وابنَ رَواحَة للنَّاس قبل أن يأتِيَهم خبرُهم، فقال: ((أخَذَ الرايَة زيد فأُصِيب، ثم أخَذ جعفر فأُصِيب، ثم أخَذ ابن رَواحَة فأُصِيب. وعَيناه صلى الله عليه وسلم تَذرِفان. حتى أخَذ سيفٌ من سُيُوف الله، حتى فتح الله عليهم)). وصدق الله إذ يقول في سورة الأحزاب: ((مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)). وفي السيرة الحلبية عن سيّدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أتيته وهو مستلْقٍ آخر النهار فعرضتُ عليه الماء، فقال: إنّي صائم. فضَعْه في ترسي عند رأسي، فإنْ عِشْتُ حتى تغرب الشمس أفطرتُ، قال: فمات صائما قبل غروب الشمس شهيدا. وعمره إحدى وأربعون سنة، وقال أيضا: وجدنا فيما بين صَدْر جعفر ومنكبَيْه وما أقبل منه تسعين جراحة، ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح. وذلك دليل شجاعة وإقدام وثبات. وقوّة إيمانٍ ويقينٍ وفروسية كانت لسيّدنا جعفر رضي الله عنه وأرضاه. وعن سيّدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه إلى السماء فقال: وعليكم السلام ورحمة الله، فقال الناس: يا رسول الله ما كُنْتَ تصنع هذا!؟، قال: مرّ بي جعفر بن أبي طالب في ملأٍ من الملائكة فسلّم عليّ. أيّها المسلمون. ولمّا دنا الجيش من المدينة تلقّاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، ولقيهم الصبيان ينشدون. ورسول الله مُقبلِ مع القوم على دابّة، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم، وأعطوني ابن جعفر، فأُتِيَ بعبد الله بن جعفر فأخذه فحمله بين يديه. وفي الطبراني بإسناد حسن من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هنيئًا لك يا عبد الله بن جعفر؛ أبوك يطير مع الملائكة في السماء)). وهذه مَنقَبَة عظيمة له رضِي الله عنه وأرضاه فقد عَوَّضَه الله عن يديه المقطوعتَيْن في المعركة بأنْ جعَلَه يَطِير في الجنَّة مع الملائكة، ولهذا سُمِّيَ بجعفر الطيّار. وفي صحيح البخاري أنَّ ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا سلَّم على عبد الله بن جعفر يقول: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين. وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن جعفر قال:

لَمَّا جاء نعي جعفر حين قُتِل، قال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: ((اصنَعُوا لآل جعفرٍ طعامًا؛ فقد أتاهم أمر يَشغَلُهم، أو أتاهم ما يَشغَلُهم)). وهكذا خُتِمَتْ هذه الحياة العطرة التي كانت في أوّلها هجرة وفي آخرها شهادة لجعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه وأرضاه. وجَزَاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرَ الجزاء، ودُفِنَ هو والأمراء الثلاث في أرض المعركة. وأضرحتهم في مدينة مؤتة إلى الآن تُزار ويَتبرَّك بها المسلمون. أيّها المسلمون. كانت هذه إطلالةٌ سريعةٌ على سيرة هذا الصَّاحبي الجليل، الكبير الشأن، العظيم المنزلة في إيمانه وصبره، وهجرته وجهاده، وأخلاقه وصفاته. رجالٌ باعوا نفوسهم لله تعالى، هم أفاضل البشر على الرغم من أنوف المنافقين والمارقين، يجب أن تُقْرَأ سيرتهم، وأن تُحْفَظ مكانتهم كما حفظها الله تعالى؛ فقد ترضَّى عنهم، فقال سبحانه في سورة التوبة: ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ)). اللهم إنّا نشهدك على محبّة نبيّنا صلى الله عليه وسلم. ومحبّة أصحابه رضي الله عنهم أجمعين. وإن ضَعُفَتْ يا مولانا هِمَمُنَا عن اللحاق بهم، اللهم احشرنا معهم، واجمعنا بهم في دار كرامتك مع النبيّين والصديقين، والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رَفِيقًا. وأكرمنا اللهم كما أكرمتهم، ووفّقنا للخير كما وفّقتهم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ

15- سيرة الصحابي سيّدنا أُسامة بن زَيْد رضي الله عنهما

الحمد لله الذي عمّر سرائر مَنِ اصطفاهم بأسرار المحبّة المحمّدية. وجبل أخلاقهم على خدمة سيادته الأحمدية. ففازوا بمشاهدة جمال طلعته البهيّة. وتنعّموا في محاسن شمائله النبويّة. وشربوا من كأس مودّته المصطفوية. أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. رفع قدر السيادة المحمّدية وعظّمها تعظيما. وأخدَم مقامه الشريف بالصحابة الكرام. فنالوا بذلك عزّا وهيبة وتفخيما. وبذلوا أنفسهم في مرضاته. وأنزلوه منزلة الروح من الجسد. فغدا لهم أبا وأمّا. وكان بهم رؤوفا رحيما. وأشهَدُ أَنَّ سيّدَنا مُحمّداً عَبدُهُ ورَسولُهُ، أطلعه الله في سماء الكمالات سراجا لامعا. وخُصَّ بالمقام المحمود. فكان

للأوّلين والآخِرين شافعا. وأيّده بأصحابٍ جعل مَنْ يحبّهم ويعظِّمهم لأنواع الفضائل جامعا. إخواني: صلّوا على هذا النبيّ الكريم محبّة فيه وإذعانا. وطيّبوا بها مجالسكم سرّا وإعلانا. اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدِنا محمّد. وعلى آله المخصوصين بالسيادة والإمامة. وصحابته الدّاعين إلى طريق الرُّشْد والسلامة. صلاة تتحفنا بها من بركاته بكل خير وكرامة. وتنجينا بها من الفزع الأكبر يوم الحسرة والندامة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم هم سَلَفُ هذه الأمّة وصفوتُها وخيرتُها بعد نبيّها عليه الصلاة والسلام. بهم نصر اللهُ رسولَه. وأعزّ دينَه. وأعلى كلمتَه. فلولاهم ما عرفنا شيئا عن الإسلام. ولولاهم ما عرفنا شيئا من القرآن. ولولاهم ما اهتدينا إلى الإيمان. أثنى عليهم ربّهم، وأحسن الثناء، فقال في سورة الفتح: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)). وبالوقوف على أخبارهم تحيا القلوب. وبالإقتداء بآثارهم تكون السعادة. وكم تزداد الحاجة إلى ذلك في زمنٍ شُغِلَ فيه الناس. وأُشْغِلوا بتوافه الأخبار عن السابقين أو اللاحقين. مِمَّن لم ينالوا من تلك الفضائل فتيلا ولا قطميرًا. أيّها المسلمون. هذه وقفة مع صحابيٍّ جليل. حبيبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنِ حبيبِه. حتّى لُقِّبَ بالحِبِّ بنِ الحِبّ. الذي في مثل هذا الشهر أعني شهر صفر من سنة إحدى عشرة للهجرة، أَمّرَهُ النبيّ صلى الله عليه وسلم على جيشٍ لغزو الروم. بين أفراده وجنوده كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار وأصحاب السبق في الإسلام. وهو في الثامنة عشرة من عُمُرِه. إنّه سيّدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما. فلنستمع لشيء من سيرته وأخباره، وَلْنَجْنِ من أزهاره وأعطاره. وُلِدَ رضي الله عنه في السنة السابعة قبل الهجرة في مكة، من أبوَيْن مسلمَيْن كرِيمَيْن من أوائل السابقين إلى الإسلام، فأبوه سيّدنا زيد بن حارثة رضي الله عنه. كان عبدًا للسيّدة خديجة أمّ المؤمنين رضي الله عنها فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وربّاه كالأولاد وتبنّاه قبل الإسلام، وكان يدعى زيد بن محمد. إلى أن نزل قولُه تعالى في سورة الأحزاب: ((أُدْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ

وَمَوالِيكُمْ)). فصاروا ينادونه: بزيد بن حارثة. وكان رضي الله عنه أحبّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وصاحبَه وموضعَ سرِّه، وأحدَ أهله. إلى أن لُقِّبَ بِحِبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأمّا أمّه رضي الله عنه فهي السيّدة أمّ أيمن. واسمها بركة بنت ثعلبة الحبشية. حاضنة ومربيّة النبي صلى الله عليه وسلم. وقد كانت مملوكة للسيّدة آمنة بنت وهب أمّ الرسول عليه الصلاة والسلام، فربّته في حياتها، وحضنته بعد وفاتها، ففتح عينيه على الدنيا وهو لا يعرف لنفسه أمّاً غيرها. فأحبّها أعمقَ الحبّ وأصدقَه، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحْسِن معاملتها، ويناديها: يا أمّاه، ويقول عنها: ((هي أمِّي بعد أُمِّي)). وإذا رآها فَرِح برؤياها وقال: ((هذه بَقِيَّة أهل بيْتي)). وبعد وفاة زوجها عُبَيْد بن عمرو. والدُ ولدِها أيمن. وانتهاء عدّتها منه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ سَرَّه أن يتزوّج من امرأة من أهل الجنّة فليتزوَّج أمّ أيمن))، فتزوّجها سيّدنا زيد بن حارثة، فأنجبت له فارس الإسلام سيّدنا أسامة بن زيد. رضي الله عنهم أجمعين. فقد أحبّه الرسول صلوات الله وسلامه عليه حبّاً تغبطه عليه الدنيا كلها. فقد كان سيّدنا أسامة مقارِباً في السّنّ لسبطه ابنِ ابنته سيّدنا الحسن بن مولاتِنا فاطمة الزهراء. وكان الحَسَن أبيض أزهر رائع الحُسْن والجمال شديد الشبه بجدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان أسامة أسود البَشْرة أفطس الأنف شديد الشبه بأمّه الحبشية. ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ما كان يفرِّق بينهما في الحبّ، فكان يأخذ أسامة فيضعه على إحدى فخذيه، ويأخذ الحسن فيضعه على فخذه الأخرى ثم يضمّهما معاً إلى صدره الشريف ويقول: ((اللهم إنّي أُحِبُّهما فأَحِبَّهما)). وقد بلغ مِنْ حبّ الرسول صلوات الله وسلامه عليه لسيّدنا أسامة أنّه عثر ذات مرّة بعتبة الباب فشُجَّت جبهتُه، وسال الدّمّ من جُرْحِه، فأشار النبي صلوات الله وسلامه عليه للسيّدة عائشة رضوان الله عليها أنْ تُزيلَ الدّمّ عن جُرْحِه. فلم تَطِبْ نفسها لذلك. فقام إليه النبي صلوات الله وسلامه عليه وجعل يمصّ شجّته، ويمجّ الدّمّ وهو يُطَيِّبُ خاطِرَه بكلماتٍ تَفِيضُ عُذوبة وحناناً. بل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بحبِّ سيّدنا أسامة بن زيد رضي الله عنه؛ فعن السيّدة عائشة رضي الله عنها قالت: لا ينبغي لأحد أن يبغض أسامة بعد ما سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَنْ كان يحبُّ اللهَ ورسولَه فليحبّ أسامة)). نشأ سيّدنا أسامة حتى أدرك ولم يَعْرِفْ إلا الإسلام. ولم يَدِنْ بغيره لله تعالى، ولما بلغ أسامة بن زيد أشُدَّه، بدا عليه من كريم الشمائل. وجليل الخصائل. ما يجعله جديراً بحبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد كان ذكيّاً حادّ الذكاء، شجاعاً خارق الشجاعة، حكيماً يضع الأمور في مواضعها، عفيفاً يأنف الدنايا، آلِفاً مألوفاً يحبّه الناس، تقيّاً وَرِعاً يحبّه الله. فقد حمل رضي الله عنه السيف جهاداً في سبيل الله وهو ابن خمس عشرة سنة. وذلك في غزوة الخندق. وأمّا يوم حُنَيْن حين انهزم المسلمون، ثبت أسامة بن زيد مع العباس عمّ الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبي سفيان بن الحارث ابن عمّه وستّة نفر آخرين من كرام الصحابة، فاستطاع الرسول عليه الصلاة والسلام بهذه الفئة الصغيرة المؤمنة الباسلة، أن يُحَوّل هزيمة أصحابه إلى نَصْر، وأن يَحْمِيَ المسلمين الفارّين من أن يفتك بهم المشركون. وفي يوم مُؤْتة جاهد أسامة تحت لواء أبيه زيد بن حارثة وسِنُّه دون الثامنة عشرة، فقد حمل سيّدنا أسامة كل صفات ومواهب القائد الشجاع، مما زاد من إعجاب النبي صلى الله عليه وسلم به. وفي سِنٍّ مبكِّرة، لم تجاوز العشرين، أَمَّر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسامةَ بنَ زيد على جيشٍ لغزو الروم. بين أفراده وجنوده كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار وأصحاب السبق في الإسلام. أمثال ساداتنا أبا بكر، وعمر، وسعد بن أبي وقاص، وأبا عبيدة بن الجراح وغيرهم من جلّة الصحابة، وذلك يوم الاثنين لأربع ليالٍ بقين من شهر صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة. وسرت همهمة بين نفرٍ من المسلمين تعاظَمَهُمُ الأمر، واستكثروا على الفتى الشاب، أسامة بن زيد، إمارة جيش فيه شيوخ الأنصار وكبار المهاجرين. وبلغ همسُهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((إنّ بعض الناس يطعنون في إمارة أسامة بن زيد. ولقد طعنوا في إمارة أبيه من قبل. وإن كان أبوه لخليقا للإمارة. وإنّ أسامة لخليق لها. وإنّه لِمِنْ أحبّ الناس إليّ بعد أبيه. وإنّي لأرجو أن يكون من صالحيكم. فاستوصوا به خيرا)). وفيما كان الجيش يتجهّز مَرِض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ولما اشتدّ عليه المرض، توقّف الجيش عن المسير انتظاراً لما تَسْفُرُ عنه حال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أسامة: ولمّا ثَقُل على نبيّ الله المرض، أقبلتُ عليه وأقبل الناس معي، فدخلتُ عليه فوجدته قد صَمُتَ فما يتكلّم من وطأة الداء، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليّ، فعرفت أنّه يدعو لي. وقبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أوصى أصحابه أن يسارعوا بتحريك جيش أسامة. فقال لهم: ((أنفذوا بعث أسامة، أنفذوا بعث أسامة)). ثم ما لبث أن فارق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الحياة، وتمّت البيعة لأبي بكر، فأمر بإنفاذ بعث أسامة. فيقول له سيّدنا عمر: إنّ الأنصار ترى أن

يتولّى قيادة الجيش مَنْ هو أكبر سنًّا من أسامة، فيغضب أبو بكر رضي الله عنه ويقول: ثكلتك أمّك يابن الخطاب، استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أنزعه، والذي نفسي بيده لو ظننتُ أنّ السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة. ولما انطلق الجيش بقيادة قائده الشاب، شيّعه خليفة رسول الله ماشياً وأسامة راكب، فقال أسامة: يا خليفة رسول الله، والله لتركبن أو لأنزلن، فقال أبو بكر: والله لا تنزل، ووالله لا أركب. وما عَلَيّ أن أغبّر قدميّ في سبيل الله ساعة؟! ثم قال لأسامة: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك، وأوصيك بإنفاذ ما أمرك به رسول الله، ثم مال عليه وقال: إن رأيتَ أن تعينني بعمر فائذن له بالبقاء معي، فأذن أسامة لسيّدنا عمر بالبقاء ومضى جيش أسامة. ليهاجم القرى التي حدّدها له رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته أبو بكر، ونزع هيبة الروم من قلوب المسلمين، ومهّد الطريق أمامهم لفتح ديار الشام، ومصر، والشمال الأفريقي كله حتى بحر الظلمات. فانتصر عليهم وأسر منهم الكثير، وجمع الغنائم، وعاد إلى المدينة منتصرًا بعد أن لقّن الروم درسًا لا ينسى، ويعود الجيش بلا ضحايا فيقول المسلمون يومئذ: ما رأينا جيشًا أسلم وأغنم من جيش أسامة. وظَلَّ سيّدنا أُسامة بن زَيْد ما امْتَدَّتْ به الحياة مَوْضِعَ إجْلال المُسْلمين وحُبِّهِم وفاءً لِرَسول الله صلى الله عليه وسلَّم فقد كان الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى بعد أنْ وَلِيَ الخلافة إذا رأى أسامة قال: السلام عليك أيّها الأمير، فيقول أسامة: غفر الله لك يا أمير المؤمنين، تقول لي هذا؟ فيقول: لا أزال أدعوك ما عشتُ الأمير. مات رسول الله وأنت عليّ أمير. إعتزل سيّدنا أسامة بن زيد رضي الله عنه الفتن بعد مقتل سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أن توفي في المدينة المنورة أواخر خلافة سيّدنا معاوية رضي الله عنه، سنة أربع وخمسين للهجرة. رحم الله هذه النفوس الكبيرة، فما عرف التاريخ أعظم ولا أكمل ولا أنبل من صحابة رسول الله. صلى الله عليه وسلم. وما ننعم فيه اليوم من نعمة الإسلام، فلهم فيه فضل والمنّة. بعد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وإنّ إحياء ذكراهم، ونَشْر سيرتهم العطرة. من أقلّ الواجبات اتِّجاههم، فرضي الله تعالى عن سيّدنا أسامة بن زيد. وعن الصحابة الكرام أجمعين. رزقنا الله حبّ الجميع. وأمدّنا من إمدادهم الفائض الوسيع. ونسأل الله تعالى أن لا يحرمنا لُقياهم، وأن يجمعنا بهم في دار كرامته. ومستقرّ رحمته. بفضله ومنّته. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

16- إجتماع أهل الخير حول ذِكر بعض مناقب سيّدنا عبد الله بن الزبير

الحمد لله القاهِر فوق عباده والأعزُّ جُندًا، أعزّ أولياءَه المؤمنين المتَّقين، وجعَل لهم في قلوبِ الخلائق وُدًّا، ملأ بنور الإيمان قلوبهم. فكانوا من أهل السعادة، وأقبلت جوارحهم على طاعة ربها منقادة، فحقّقوا حُسن المعتقَد. وحُسن العمل. وحُسْن الرّضا وحُسن العبادة، فسبحانه من إله اهتدى بهديه ورحمته المهتدون، وضلّ بعدله وحكمته الضالون، ((لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)). وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اصطفَى لهذه الأمّة خيرَ الرسل، واختار لصُحبته خيرَ الرجال. أكملَ الناس عقولا. وأقومَهم ديناً. وأغزرَهم علماً. وأشجعَهم قلوبًا. قوماً جاهدوا في الله حقّ جهاده. فأقام الله بهم الدين. وأظهرَهم على جميع العالمين. فكانوا غرّة في جبين تاريخ الأوّلين والآخِرين. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. أطلعه الله في سماء الكمالات سراجا لامعا. وخُصَّ بالمقام المحمود. فكان للأوّلين والآخِرين شافعا. وأيّده بأصحابٍ جعل مَنْ يحبّهم ويعظِّمهم لأنواع الفضائل جامعا.

الله شرّف أحمدًا خيرَ الورى * وأناله مُلْكا لديه كبيرا

جُمِعَت له أعلامُ كلِّ فضيلةٍ * فغدا على الرُّسْل الكرام أميرا

صلّوا عليه وأكثروا مِن ذِكْرِهِ * لا تَسْأَموا الترجيع والتكثيرا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمّد. أجمل مَنْ طابت بذكره المجالس والمحافل. وعلى آله المنتَخَبين من أشرف القبائل. وصحابته ليوث الوغى والسادة الأماثل. صلاة تطهّرنا بها من القبائح والرذائل. وتحلّينا بها بأشرف الخصال وأكمل الفضائل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يقول الله تعالى في آخر سورة الفتح: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ الله وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ)). لقد علم الله تعالى مقدار الصحابة رضي الله عنهم فحباهم منازلهم اللائقة

بهم، ونظر في قلوبهم فعلم صلاحها وصِدْقها وإخلاصها وطهارتها فاختصّهم بأفضل رُسُله، وجعلهم أصحابه وأنصاره، وحملة دينه، ومبلغي شريعته، أيّها المسلمون. هذه وقفة مع صحابي جليل من أصحاب النبي صلَّى الله عليه وسلَّم. يُعَدّ أوّل مولود للمسلمين في المدينة بعد الهجرة، كانت ولادته للمسلمين فتحًا، وكانت حياته إيمانًا وتقوى، وكانت وفاته للناس عبرة ودرسًا. الذي في مثل هذا الشهر. أعني في السابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين للهجرة. استشهد وهو عائذ بالكعبة الشريفة. عندما حاصره الحجّاج الثقفي. إنّه ابن حواريّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وابن ذات النطاقَيْن. إنّه الشهيد العائذ بالبيت. أبو بكر سيّدنا عبد الله بن الزبير بن العوّام. رضي الله عنهما. أمّا أبوه فهو أحد السبعة الأوائل الذين سارعوا إلى الإسلام، وأوّل مَن سلّ سيفه في سبيل الله. وأحد العشرة المبشّرين بالجنّة، وهو أحد الستّة أهل الشورى الذين اختارهم سيّدنا عمر؛ ليكون منهم الخليفة بعد موته، وقد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغزوات كلَّها، يلتقي في نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم، في أمّه صفيّة بنت عبد المطلب رضي الله عنها عمّة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأمّا أمّه فهي الصحابية الجليلة السيّدة أسماء بنت سيّدنا أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنهما. كانت من السابقين إلى الإسلام، إذ لم يتقدّم عليها في هذا الفضل العظيم غير سبعة عشر إنساناً، بين رجل وامرأة. جمعت المجد من أطرافه كلّها. أبوها صحابي جليل، وجدّها صحابي جليل، وأختها صحابية، وزوجها صحابي، وابنها صحابي، وحسبها بذلك شرفاً وفخرًا. لُقِّبت بذات النطاقَيْن، لأنّها صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبيها يوم هاجرا إلى المدينة زاداً، وأعدَّتْ لهم سقاءً، فلمّا لم تجد ما تربطهما به شقّت نطاقها أيْ حزامها شقَيْن. فربطت بأحدهما المزْوَد، وبالثاني السقاء. فدعا لها النبي عليه الصلاة والسلام أنْ يبدّلها الله منهما بنطاقَيْن في الجنّة، فلقِّبَتْ من يومئذٍ بذات النطاقَيْن. هاجرت مع زوجها الزبير بن العوّام إلى المدينة المنوّرة وهي حامل بولدها عبد الله، أيّها المسلمون. هكذا قدّر الله تعالى لسيّدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أن يهاجر مع المهاجرين وهو لا زال جنينا بعد. وفي السنة الثانية من الهجرة وُلِد رضي الله عنه في قُباء. وهو أوّل مولود للمسلمين المهاجرين في المدينة. حتى حمل لقب أوّل مولود في الهجرة، لأنّ المسلمين مكثوا في المدينة سنة لا يولد لهم، فقال اليهود: سحرناهم فلا يولد لهم وَلَد، فوُلِد عبد الله بن الزبير، فلمّا وُلِد كبّر المسلمون تكبيرة واحدة ارتجّت منها المدينة. وفرحوا بولادته فرحًا كبيرا،

لأنّه أبطل مزاعم اليهود وإفكهم وكيدهم. فأتت به أمّه الرسول صلى الله عليه وسلم، فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم وضعها في فمه، فكان أوّل شيء دخل بطنه ريق النبيّ صلى الله عليه وسلم، ثم دعا له بالبركة، وسمّاه عبد الله، وكنّاه أبا بكر بكنية جدّه الصديق. وأمر أبا بكر أن يؤذِّن في أذنَيْه. وقد طاف به جدّه الصّدّيق بالمدينة بعد ولادته ليشتهر أمر ميلاده. على خلاف ما زعمت اليهود، أيّها المسلمون. نشأ سيّدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه نشأة طيّبة، وتنسّم منذ صغره عَبَق النبوّة، فكان ملازمًا للدخول على رسول الله صلى الله عله وسلم. لكونه من آله، فكان يتردّد إلى بيت خالته السيّدة عائشة رضي الله عنها زوج الرسول صلى الله عله وسلم. فكانت تُعْنَى به وتتعهّده، حتى كنّيت باسمه، فكان يقال لها: أمّ عبد الله؛ لأنّها لم تنجب. وظهرت عليه رضي الله عنه علامات الشجاعة منذ طفولته، فذات يوم تحدّث بعض الصحابة مع النبي صلى الله عله وسلم في أمر أبناء المهاجرين والأنصار الذين وُلِدوا في الإسلام حتى أمثال عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر وعمر بن أبي سلمة، وقالوا له: لو بايعتهم فتصيبهم بركتك ويكون لهم ذِكر؟ وجاؤوا بهم إلى النبي صلى الله عله وسلم فخافوا ووجلوا من النبي صلى الله عله وسلم، إلا عبد الله بن الزبير الذي اقتحم أوّلهم، فرآه النبيّ صلى الله عله وسلم فتبسَّم، وقال: ((إنّه ابن أبيه))، وبايعه النبي صلى الله عله وسلم وهو ابن سبع سنين. رواه مسلم. ويُروى أنّه مرّ به سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يلعب مع الصِّبْية. ففرّ الصبيان ووقف هو، فقال له سيّدنا عمر: ما لك لم تفرّ معهم؟ فقال: لم أُجْرِم فأخافك، ولم تكن الطريق ضيّقة فأوسِّع لك. فتنبَّأ له سيّدنا عمر بمستقبل باهر؛ لِمَا رأى من رباطة جأشه. وثبات قلبه. واعتداده بنفسه؛ وقد رُوِي من غير وجه أنّ سيّدنا عبد الله بن الزبير شرب من دم النبيّ صلى الله عله وسلم، وذلك أنّ النبيّ صلى الله عله وسلم قد احتجم في طست فأعطاه عبد الله بن الزبير ليريقه فشربه، فقال له: ((لا تمسّك النار إلا تحلّة القسم، وويل لك من الناس، وويل للناس منك))، ومعنى قوله: ((لا تمسّك النار إلا تحلّة القسم)). أيْ إشارة إلى قوله تعالى في سورة مريم: ((وإن مِنكُمْ إلاّ وَارِدُهَا كانَ على ربِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً)). وفي رواية أنّه قال له: ((يا عبد الله، اذهب بهذا الدم فأهريقه حيث لا يراك أحد))، فلمّا بعد عمد إلى ذلك الدم فشربه، فلمّا رجع قال: ((ما صنعت بالدم؟)) قال: إنّي شربته لأزداد به علما وإيمانا. وليكون شيء من جسد رسول الله صلى الله عله وسلم في جسدي وجسدي أولى به من الأرض،

فقال: ((أبشر، لا تمسّك النار أبدا، وويل لك من الناس، وويل للناس منك)). فكانوا يَرَوْن أنّ القوّة التي به من ذلك الدم الطاهر الشريف. أيّها المسلمون. كان سيّدنا عبد الله بن الزبير أحد العبادلة الأربعة الذين تفقّهوا في أمور الدين في المدينة المنوّرة. وهم: عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم، حدّث عن رسول الله صلى الله عله وسلم وهو صغير، وكذلك حدّث عن أبيه الزبير وعن جدّه أبى بكر، وعمر وعثمان وخالته أمّ المؤمنين عائشة وغيرهم رضي الله عنهم، وروى عنه مشاهير التابعين. وعُرِف ابن الزبير بأنّه واسع المعرفة بالقرآن والسنّة، وكان من العلماء المجتهدين، عالمًا عابدًا. وقال عنه ابن عباس رضي الله عنهما: كان قارئًا لكتاب الله. متّبعًا لسنّة رسول الله صلى الله عله وسلم، قانتًا لله صائمًا في الهواجر من مخافة الله، ابن حواري رسول الله صلى الله عله وسلم، وأمّه بنت الصّدّيق، وخالته عائشة حبيب الله زوجة رسول الله صلى الله عله وسلم، فلا يجهل حقّه إلا من أعمى الله بصيرته. أيّها المسلمون. تواترت الروايات التي تصوّر لنا حرص ابن الزبير على العبادة من صلاة وصيام وغيرها، حتى إنّها أصبحت من معالم شخصيّته رضي الله عنه. قال مجاهد: لم يكن باب من أبواب العبادة يعجز عنه الناس إلا تكلّفه ابن الزبير، ولقد جاء سيل طبّق أبنيه الكعبة، فجعل ابن الزير يطوف سباحةً. وقال عمر بن عبد العزيز يوما لابن أبي مُلَيْكة: صِفْ لنا عبد الله بن الزبير، فقال: والله، ما رأيت نفسًا رُكّبت بين جَنْبين مثل نفسه، ولقد كان يدخل في الصلاة فيخرج من كل شيء إليها، وكان يركع أو يسجد فتقف العصافير فوق ظهره وكاهله، لا تحسبه من طول ركوعه وسجوده إلا جدارًا أو ثوبًا مطروحًا، ولقد مرَّت قذيفة منجنيق بين لحيته وصدره وهو يصلي، أيْ لمّا حاصروه، فوالله ما أحسَّ بها ولا اهتزّ لها، ولا قطع من أجلها قراءته ولا تعجّل ركوعه. وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء بسنده أنّ ابن الزبير قسّم الدهر على ثلاث ليال، فليلة هو قائم حتى الصباح، وليلة هو راكع حتى الصباح، وليلة هو ساجد حتى الصباح. وعن مسلم ابن يَنَّاق قال: ركع ابن الزبير يوما ركعة فقرأنا بالبقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه. أيّها المسلمون. لم يكن غريبًا على من نشأ هذه النشأة الصالحة أن يشبّ محبًّا للجهاد، فشهد وهو في الرابعة عشرة من عمره معركة اليرموك الشهيرة سنة خمسة عشر للهجرة. واشترك مع أبيه في فتح مصر، وأبلى بلاءً حسنًا. وخاض عمليّات فتح شمال إفريقيا تحت قيادة عبد الله بن أبي السرح في عهد سيّدنا عثمان بن عفان،

وأبدى من المهارة والقدرة العسكرية ما كفل للجيش النصر، كما اشترك في الجيوش الإسلامية التي فتحت إصطخر من بلاد فارس. ولمّا حوصر الخليفة عثمان بن عفان في بيته سنة خمس وثلاثين للهجرة كان عبد الله بن الزبير في مقدِّمة المدافِعين عنه. قال عنه عثمان بن طلحة: كان عبد الله بن الزبير لا يُنازَعُ في ثلاثة. شجاعة، ولا عبادة، ولا بلاغة. أيّها المسلمون. بعد أن أصبح الحكم في يد بني أميّة ظلّ عبد الله بن الزبير على خلاف معهم، فاعترض على ولاية يزيد بن معاوية. ولمّا توفي يزيد بايعت جميع الولايات الإسلامية عبد الله بن الزبير أميرًا للمؤمنين، وذلك في سنة أربع وستين للهجرة. واتّخذ عبد الله من مكة عاصمة لدولته، وبسط يده على الحجاز واليمن والبصرة والكوفة وخراسان والشام كلها ما عدا دمشق، وفي خلافته أعاد بناء الكعبة الشريفة. وهو أوّل مَن كسا الكعبة بالديباج. وكان يُطيِّبُها حتى يجد ريحها مَنْ دخل الحرم. وظلّ عبد الله باسطًا يده على هذه البلاد حتى استطاع مروان بن الحكم أن ينتزع منه هذه الولايات عدا الحجاز التي ظلّت تحت سيطرة عبد الله بن الزبير. ورغم ذلك لم يهدأ الأمويّون، فأخذوا يشنّون حروبًا متّصلة ضدّ ابن الزبير، انهزموا في أكثرها. حتى جاء عهد عبد الملك بن مروان الذي أرسل الحجّاج بن يوسف الثقفي على رأس جيش كبير لغزو مكة عاصمة ابن الزبير، فحاصرها ستّة أشهر مانعًا عن الناس الماء والطعام. كي يحملهم على ترك عبد الله بن الزبير وحيداً بلا جيش ولا أعوان، وتحت وطأة الجوع استسلم الكثير من جنوده، ووجد عبد الله نفسه وحيدًا، فقرّر أن يتحمّل مسئوليّته حتى النهاية، ولم يستسلم مهما كلّفه الأمر، فطبيعته وخُلُقه يأبيان ذلك. وراح يقاتل جيش الحجّاج في شجاعة فائقة، وكان عمره يومئذ سبعين سنة. وأثناء ذلك ذهب عبد الله إلى أمّه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وأخذ يشرح لها موقفه، فقالت له: يا بني، إنّك أعلم بنفسك، إن كنتَ تعلم أنّك على حق، وتدعو إلى حق، فاصبر عليه حتى تموت في سبيله، ولا تملّك من رقبتك غلمان بني أميّة، وإن كنت تعلم أنك أردت الدنيا فلبئس العبد أنت. أهلكت نفسك، وأهلكت من قُتل معك. فقال عبد الله: والله يا أمّاه، ما أردت الدنيا، ولا ركنت إليها، وما جُرْتُ في حُكم الله أبدًا، ولا ظلمت، ولا غدرت. فقالت أمّه أسماء: إنّي لأرجو الله أن يكون عزائي فيك حسنًا، إن سبقتني إلى الله أو سبقتك، اللهم ارحم طول قيامه في الليل، وظمأه في الهواجر أيْ الأيام الشديدة الحر، وبرَّه بأبيه وبي، اللهم إنّي أسلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت، فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين

الشاكرين. لقد كان وضوح عبد الله بن الزبير رضي الله عنه مع نفسه وصدقه مع عقيدته ومبادئه ملازمًا له في أشدّ ساعات المحنة مع الحجّاج، فها هو يسمع فرقة من الأحباش، وكانوا من أمهر الرماة والمقاتلين في جيش ابن الزبير، يتحدّثون عن الخليفة الراحل سيّدنا عثمان بن عفان بحديث لا وَرَع فيه ولا إنصاف، فعنَّفَهم وقال لهم: والله ما أحبُّ أن أستظهر على عَدوّي بمن يُبغض عثمان، ثم صرفهم ابن الزبير عنه، ولم يبالي أن يخسر مائتين من أكفأ الرماة عنده. أيّها المسلمون. وبعد ساعة من الزمان انقضت في قتال مرير غير متكافيء، اعتصم ابن الزبير بالمسجد الحرام. ولكن الحجّاج ضربه بالمنجنيق وأصاب الكعبة وهدّم بعض أطرافها. ثم اقتحم المسجد الحرام. وانطلق ابن الزبير يقاتل الحجّاج مع مَنْ تبقَّى معه من المسلمين. حتى استشهد هو ومعه كثير من المسلمين. وذلك يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين للهجرة. وبوفاته انتهت دولته التي استمرّت نحو تسع سنين. ولمّا قُتِل عبد الله بن الزبير كبّر أصحاب الحجّاج. فسمعهم سيّدنا عبد الله ابن عمر، فقال: أَمَا والله لَلذِين كبّروا عند مولده خير من هؤلاء الذين كبّروا عند قتله. رضي الله عنه وأرضاه. وأمر الحجّاج باجتزاز رأس ابن الزبير، وأرسله إلى عبد الملك بن مروان. وأَبَى إلا أن يُصلَب الجثمان الهامد تشفيًّا وخِسّة وحقدا. فلمّا صلبه فاحت من جثّته رضي الله عنه رائحة المسك. وتقدّم عبد الله بن عمر رضي الله عنه من أمّه أسماء مُعزّيا وداعيًا إيّاها إلى الصبر، فأجابته قائلة: وماذا يمنعني من الصبر، وقد أُهْدِيَ رأس يحيى بن زكريا إلى بَغيٍّ من بغايا بني إسرائيل؟ إنّه الإيمان الصادق. المدفون في جميع خلايا القلب الطاهر. الذي لم يدخله شرك يوما ما ولا نفاق. على مدى المائة عام التي عاشتها هذه الصحابية الجليلة. ابنة الصّدّيق وأمّ البطل المصلوب وزوجة الزبير أحد العشرة المبشّرين بالجنّة. فسلام الله عليكِ أيّتها الأمّ الصابرة. ورضي الله عنكِ وعن أبوك وزوجك وابنك. وصلى الله وسلم وبارك على مَن ربّاكم وزكّاكم. رزقنا الله حبّ الجميع. وأمدّنا من إمدادهم الفائض الوسيع. ونسأل الله تعالى أن لا يحرمنا لُقياهم، وأن يجمعنا بهم في دار كرامته. ومستقرّ رحمته. بفضله ومنّته. اللهم اجعلنا مِمَّنْ قلت فيهم: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءوف رَحِيمٌ)). بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

17- النّجوم الدّراري لهداية الساري إلى معرفة سيرة الصّحابي الجليل سيّدنا أبي ذَرٍّ الغفاري عليه رضى الباري

الحمد لله الذي أرشَد النفوسَ إلى هداها، ((فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)). شرَح بفضلِه صدورَ أهل الإيمان فاستقامَت على الهدَى، وأضلّ مَن شاء بعدلِه وحكمتِه. ((وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا)). فسبحانه من إلهٍ جعَل في دين الإسلام صلاحَ الخليقةِ في دنياها، وكتب به حُسنَ العاقبة في أخراها، فهو دينه الذي ارتضاه لنفسه، ولأنبيائه وملائكة قدسه، فبه اهتدى المهتدون، وإليه دعا الأنبياء والمرسلون. نحمده تعالى أن رضي لنا الإسلام ديناً، ونصب لنا الدلالة على صحّته برهاناً مبيناً، وأوضح السبيل إلى معرفته واعتقاده حقّاً يقيناً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد القهّار، العزيز الغفّار، مكوّر الليل على النّهار، تذكرة لأولى القلوب والأبصار، وتبصرة لأولي الألباب والإعتبار، الذي أيقظ مِن خلقه مَن اصطفاه فزهّدهم في هذه الدار، وشغلهم بمراقبته وإدامة الأفكار، وملازمة الإتّعاظ والأذكار. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدًا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. اختاره بعلمه، وائتمنه على وحيه، واختار له خير العباد أعوانا، قذف في قلوبهم تصديقه ومحبّته، فآمنوا به وعزّروه ووقّروه، وجاهدوا في الله حق جهاده، فاستشهد لله منهم مَن استشهد، على المنهاج الواضح، والبيع الرابح ، وتوفي منهم مَن توفي على الحق الناصع، والتوحيد الناصح،

يا أمّةً سعِدت هذا نبيّكُمُ * هذا وسيلتكمْ هذا حبيبكُمُ

صلّوا عليه لكي تُغفَر ذنوبكُمُ * وتُنقَذوا كلكمْ من لفحة اللهبِ

صلّوا على خير مرسولٍ وخير نبِي

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. النور اللامع. وعلى آله لأمّهات الفضائل جوامع. وصحابته النجوم الطوالع. صلاة تكفينا بها شر القواطع والموانع. وتنيلنا بها أعظم الفوائد والمنافع. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. لقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين خير البشر على الإطلاق بعد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة

والسلام، أسلموا فحسن إسلامهم، وابتلوا بالسرّاء والضرّاء. والشدّة والرخاء، حتى كانوا خير المؤمنين الذين حملوا لواء الدعوة إلى الله بكل إخلاص وأمانة، اشتدّت بالله عزائمهم. وصدقت لله نواياهم. ولرضاه نذروا حياتهم، حتى صدق فيهم قول الحق سبحانه وتعالى في سورة التوبة: ((إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)). فقد أثنى الله عليهم، وأعلى النبي صلى الله عليه وسلم من شأنهم، يقول تعالى في سورة التوبة: ((وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)). ويقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين: ((خَيرُ النَّاسِ قَرْني)). وروى الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ)). فمنزلة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، منزلة سامية رفيعة، ومكانتهم مكانة عالية عظيمة. لم يبلغوها لسلامة أجسامهم، ولا لكثرة أموالهم، ولا لرتبهم وشهاداتهم، إنّما بلغوها لاهتمامهم بهذا الدين، وتضحيّتهم من أجله، ومحبّتهم له، لهذا ينبغي علينا أن نعمُر أفئدتنا بحبِّ صحابة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وأن تلهج ألسنتنا بالثَّناء عليهم ومدحهم والتَّرضّي عنهم، وأن نعرف مآثرهم ومناقبَهم وفضائلهم، ونَنْشُرَ ذلك بين النَّاس. حتَّى لا تجدَ شُبهاتُ الطَّاعنين فيهم والخائضين في أعراضهم والمُشَكِّكين في عدَالتهم سَبيلًا إلى العقولِ؛ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري شرح صحيح البخاري): وَاتَّفَقَ أَهْل السُّنَّة عَلَى وُجُوب مَنْع الطَّعْن عَلَى أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَة بِسَبَبِ مَا وَقَعَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَلَوْ عُرِفَ المُحِقّ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُقَاتِلُوا في تِلْكَ الْحُرُوب إِلَّا عَنِ اجْتِهَاد. وَقَدْ عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنْ المُخْطِئ فِي الإِجْتِهَاد؛ بَلْ ثَبَتَ أَنَّهُ يُؤْجَر أَجْرًا وَاحِدًا وَأَنَّ المُصِيب يُؤْجَر أَجْرَيْنِ. وقال ابن أبي زيد القيرواني في كتابه (الرِّسالة): وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ: أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. وَأَلاَّ يُذْكَرَ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلاَّ بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ. وَالإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحَسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ. ينبغي علينا أن نرفع شعارَ الحبِّ والولاءِ والإنتصارِ لهؤلاء الصَّحابة الأخيارِ؛ فإنَّه من خَير الزَّاد ليوم المعَادِ، ولنتمسَّك بغَرْزِ أهل السُّنَّةِ والجماعة. الَّذين سَلِمت قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم، كما وصفهم الله تعالى في سورة

الحشر بقوله: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)). أيّها المسلمون. حين نتذكّر حياة وسيرة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. نتذكّر معهم الحياة الإيمانية الحقّة بأبهى صورها، نتذكّر معهم الزهد والورع. والتقوى والجهاد. والشجاعة في الحق. والصبر والثبات في سبيل نشر العقيدة وحمايتها. ابتغاء ما عند الله تعالى. فتوالى عليهم من البلاء والمحن والتعذيب ما لا يعلمه إلا الله، ولكنّهم صبروا وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وصدق المولى القدير سبحانه وتعالى حيث قال في سورة الأحزاب: ((مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)). وموضوعنا أيّها المسلمون في هذه الخطبة عن رجل من هؤلاء العظماء الصادقين، السابقين إلى الإسلام، لنعطِّر أسماعنا بسيرته، وتبعث هممَنا مسيرتُه، وكما قال تبارك وتعالى في سورة الأعراف: ((فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)). إنّه الصحابي الزاهد. والعالم الرباني. أَحَدُ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ، مِنْ نُجَبَاءِ أَصْحَابِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقِيلَ كَانَ خَامِسَ خَمْسَةٍ فِي الإِسْلاَم. الذي في مثل هذا الشهر أعني في الثالث من ربيع الثاني سنة اثنتين وثلاثين للهجرة توفي بِالرَّبَذَةِ، الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث أخرجه الترمذي في سننه: ((مَا أَظَلَّتْ الْخَضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتْ الْغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ وَلَا أَوْفَى مِنْ أَبِي ذَرٍّ شِبْهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام)). إنّه سيّدنا أَبُو ذَرٍّ الغِفَارِيُّ رضي الله عنه وأرضاه، إسمه جُنْدُبُ بنُ جُنَادَةَ. من قبيلة غِفار، التي تقيم بين مكة والمدينة المنوّرة، اشتهرت بين قبائل العرب بالسطو وقطع الطريق على المسافرين والتجار، وأخذ أموالهم بالقوّة، وكان سيّدنا أبو ذَرّ رضي الله عنه رجلاً يصيب الطريق، وكان شجاعًا يقطع الطريق وحده، ويُغِير على الناس في عماية الصبح على ظهر فرسه أو على قدميه كأنّه السبع، فيطرق الحي ويأخذ ما يأخذ. لكن هذا الصحابي الجليل كان يمتاز بجرأة القلب، ورجاحة العقل، وبُعْدِ النظر. وفطرته كانت تأبى أن يعبد الأصنام، كان يضيق أشدّ الضيق بهذه الأوثان التي تُعبد من دون الله، ويستنكر على قومه فساد دينهم، وتفاهة معتقدهم، حتى تناهت إليه أخبار النبي صلى الله عليه وسلم في مكة. ففي صحيح البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِإِسْلاَمِ أَبِي ذَرٍّ؟ قالوا: بَلَى، قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كُنْتُ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ، فَبَلَغَنَا أَنَّ رَجُلًا قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقُلْتُ لِأَخِي: انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ كَلِّمْهُ وَأْتِنِي بِخَبَرِهِ، فَانْطَلَقَ فَلَقِيَهُ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقُلْتُ مَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالخَيْرِ وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ، فَقُلْتُ لَهُ: لَمْ تَشْفِنِي مِنَ الخَبَرِ، فَأَخَذْتُ جِرَابًا وَعَصًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ، فَجَعَلْتُ لاَ أَعْرِفُهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ، وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَأَكُونُ فِي المَسْجِدِ، قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَالَ: كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ،

قَالَ: فَانْطَلِقْ إِلَى المَنْزِلِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ وَلاَ أُخْبِرُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى المَسْجِدِ لِأَسْأَلَ عَنْهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ، قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ يَعْرِفُ مَنْزِلَهُ بَعْدُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ، قَالَ: انْطَلِقْ مَعِي، قَالَ: فَقَالَ مَا أَمْرُكَ، وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ البَلْدَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخْبَرْتُكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَفْعَلُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ هَا هُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَشْفِنِي مِنَ الخَبَرِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهُ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا إِنَّكَ قَدْ رَشَدْتَ، هَذَا وَجْهِي إِلَيْهِ فَاتَّبِعْنِي، ادْخُلْ حَيْثُ أَدْخُلُ، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحَدًا أَخَافُهُ عَلَيْكَ، قُمْتُ إِلَى الحَائِطِ كَأَنِّي أُصْلِحُ نَعْلِي وَامْضِ أَنْتَ، فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ، حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقُلْتُ لَهُ: اعْرِضْ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ، فَعَرَضَهُ فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي، فَقَالَ لِي: ((يَا أَبَا ذَرٍّ، اكْتُمْ هَذَا الأَمْرَ، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ)). فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَجَاءَ إِلَى المَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، فَقَامُوا فَضُرِبْتُ لِأَمُوتَ، فَأَدْرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ، تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارَ، وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارَ، فَأَقْلَعُوا عَنِّي، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الغَدَ رَجَعْتُ، فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالأَمْسِ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ فَصُنِعَ بِي مِثْلَ مَا صُنِعَ بِالأَمْسِ، وَأَدْرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالأَمْسِ، قَالَ: فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِسْلاَمِ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ. أسلم رضي الله عنه، وكان رابع أو خامس المسلمين، ومكث ينهل من مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم، حتى حان زمن الهجرة، يقول أبو ذر رضي الله عنه كما في صحيح مسلم: غَبَرْتُ مَا غَبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: ((إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ، لَا أُرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ، فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ)). فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا يعني أخاه. فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَأَتَيْنَا أُمَّنَا، فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ أَيْمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ وَكَانَ سَيِّدَهُمْ. وَقَالَ نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا، فَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي وَجَاءَتْ أَسْلَمُ، أيْ قبيلة أسلم. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِخْوَتُنَا، نُسْلِمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ، فَأَسْلَمُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ)). أيّها المسلمون. أقام سيّدنا أبو ذرّ رضي الله عنه في باديته حتى مضت بَدْرٌ وأُحُدٌ والخندقُ، ثم قدم إلى المدينة، وانقطع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستأذنه أن يقوم في خدمته، فأذن له، ونَعِمَ بصحبته، وسَعِدَ بخدمته، وظلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤثره

ويكرمه، فما لقيه مرّةً إلا صافحه، وهشَّ في وجهه وبشَّ. فعن حاطب قال: قال أبو ذر: ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا مما صبّه جبريل وميكائيل عليهما السلام في صدره إلا قد صبّه في صدري. وقال أبو ذَرّ: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا أَظَلَّتْ الْخَضْرَاءُ. وَلَا أَقَلَّتْ الْغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ. وَلَا أَوْفَى مِنْ أَبِي ذَرٍّ شِبْهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام. قال: فقام عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فقال: يا نبيّ الله، أَفَنَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَاعْرِفُوهُ لَهُ)). وقد أحبّ أبو ذرّ رضي الله عنه العلم والتعلّم. والتبحّر في الدين وعلومه، وقال عنه سيّدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه: وَعَى أبو ذرّ علمًا عجز الناس عنه، ثم أَوْكأ عليه فلم يخرج شيئًا منه. وكان يقول: لَبَابٌ يتعلّمه الرجل من العلم خير له من ألف ركعة تطوّعًا. كما شارك رضي الله عنه في عدّة غزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. مثل: غزوة الغابة. وغزوة بني المصطلق. وفي فتح مكّة أيضاً حمل أبو ذر راية جيش بني غفار المكوَّن من ثلاثمئة فرد. وشارك بعدها في غزوة حُنين كذلك. وفي غزوة تبوك انطلق أبو ذرّ برفقة النبيّ صلّى الله عليه وسلم. إلاّ أنّه تخلّف عن القافلة بَعْد مسافة من الطريق بسبب موت بعيره، فاتّهمه البعض بالتخلّف، إلاّ أنّه حمل متاعه على ظهره والتحق بهم سيراً على الأقدام، فلمّا تأمّله بعضهم، قالوا: يا رسول الله، هذا رجل يمشي على الطريق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كن أبا ذَرّ)). فلمّا عرفوه، قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذَرّ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رحم الله أبا ذَرّ، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبْعَث وحده)). أيّها المسلمون. ولمّا لحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى لم يُطِق أبو ذر صبراً على الإقامة في المدينة، بعد أن خلت من سيّدها، وأقفرت من هدي مجلسه، فرحل إلى بادية الشام، وأقام فيها مدّة خلافة الصديق والفاروق رضي الله عنهم جميعا. وفي خلافة سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه نزل في دمشق، فرأى من إقبال المسلمين على الدنيا وانغماسهم في الترف ما أذهله، ودفعه إلى استنكار ذلك، فاستدعاه الخليفة سيّدنا عثمان إلى المدينة، فقدم إليها، لكن ما لبث أن ضاق برغبة الناس في الدنيا، وضاق الناس بشدّته عليهم، وتنديده بهم، فأمره سيّدنا عثمان بالإنتقال إلى الرَّبَذَة، وهي بلدة تقع شرق المدينة المنوّرة، وتبعد عنها بمئاتين كيلو متر. فرحل إليها، وأقام فيها بعيداً عن الناس، زاهداً بما في أيديهم من عرض الدنيا، مستمسكاً بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه من إيثار الباقية على الفانية. فقد روى الإمام أحمد في مسنده، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا نَائِمٌ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فَضَرَبَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: ((أَلَا أَرَاكَ نَائِمًا فِيهِ؟)). فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ غَلَبَتْنِي عَيْنِي. قَالَ: ((كَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهُ؟)). فَقُلْتُ: آتِي الشَّامِ، الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الْمُبَارَكَةَ، قَالَ: ((كَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهُ؟)). فَقُلْتُ: مَا أَصْنَعُ

يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ أَضْرِبُ بِسَيْفِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ وَأَقْرَبُ رُشْدًا؟ تَسْمَعُ وَتُطِيعُ وَتَنْسَاقُ لَهُمْ حَيْثُ سَاقُوكَ)). وهذه من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وهي الإخبار بالمغيّبات. وبقى رضي الله عنه في الربذة، حتى توفّاه الله تعالى، يقول ابن عبد البَرّ صاحب كتاب الإستيعاب في معرفة الأصحاب: أنّ زوجة أبي ذرّ، قالت: لمّا حضرت أبا ذر الوفاة بكيْتُ. فقال لي: ما يبْكيك؟ فقلت: ومَا لِي لا أَبْكي وأنت تموت بِفلَاةٍ من الأرض، وليس عندي ثوبٌ يَسَعك كفنًا لي ولا لك؟ ولا يَدَ لي للقيام بجهازك. قال: فابْشِري وَلَا تَبْكِي؛ فإنّي سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، يقولُ: ((لَا يَمُوتُ بَيْنَ امْرَأَيْنِ مُسْلِمَيْنِ وَلَدَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ فَيَصْبِرَانِ وَيَحْتَسِبَانِ فَيَرَيَانِ النَّارَ أَبَدًا))، وقد مات لنا ثلاثة من الولد، وإنّي سمعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفَر أنا فيهم: ((لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ، تَشْهِدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))، وليس من أولئك النفَر أحدُ إلّا وَقد مات في قَرْيَة وجماعة، فأنا ذلك الرّجل، والله ما كذَبت ولا كُذبت، فأبْصِري الطريقَ. قلت: وأنَّى وقد ذهب الحاجُّ، وتقطَّعَتِ الطّريق؟، قال: اذهبي فتبصَّري. قالت: فكنْتُ أشتدُّ إلى الكثيب فأنظر ثم أرجع إليه فأمرضُه، فبينما هو وأنا كذلك، إذ أنا برجال على رِحَالهم كأنّهم الرّخم تحثّ بهم رواحلهم، فأسرعوا إليّ حتى وقفُوا عليّ، فقالوا: يا أَمَةَ الله، ما لكِ؟، قلت: امرؤ من المسلمين يموتُ، تُكَفّنونه؟ قالوا: ومَنْ هو؟ قلت: أبو ذرّ. قالوا: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: نعم. قالت: فَفَدَوْه بآبائهم وأمّهاتهم، ووضعوا السيّاط في نحورها. يستبقون إليه حتى جاءوه، فقال لهم: أَبْشِروا، فإنّي سمعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنَفَرٍ أنا فيهم: ((لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ تَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)). وليس من أولئك النّفر أحدٌ إلّا وقد هلك في قرية وجماعة، واللهِ ما كَذَبْت، ولا كُذبت، ولو كان عندي ثوبٌ يسعُني كفنًا لي أو لامرأتي لم أكفَّنْ إلا في ثوب هو لي أو لها، وإنّي أنشدكم الله ألا يكفنني رجل منكم كان أميرًا أو عريفًا أو بريدًا أو نقيبًا، وليس من أولئك النّفر أحدٌ إلا وقد قارف بعْضَ ما قال، إلّا فتًى من الأنصار، فقال: أنا أَكفّنك يا عمّ في ردائي هذا، وفي ثوبين في عَيْبتي من غزْل أمّي. قال: أنت تكفنني يا بني. قال: فكفّنه الأنصاريُّ وغسَّله في النّفر الذين حضَرُوه، منهم حُجْر بن الأدبر ومالك الأشتر. وقامُوا عليه وَدفَنُوه في نفرٍ كلهم يَمَان. وفي رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة وأصابه بها قدره. ولم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه. فأوصاهما أن اغسلاني وكفّناني وضعاني على قارعة الطريق. فأوّل ركب يمرّ بكم فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه. فلما مات فعلا ذلك به. ثم وضعاه على قارعة الطريق. وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عمّارا. فلم يرعهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق قد

كادت الإبل تطأها. فقام إليه الغلام فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه. فاستهلّ عبد الله يبكي ويقول: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تمشي وحدك وتموت وحدك وتُبعث وحدك)). وصلّى عليه عبد الله بن مسعود في النفر الذين شهدوا موته، ثم حملوا عياله إلى عثمان بن عفان بالمدينة، فضمّ ابنة أبي ذر إلى عياله، وقال: يرحم الله أبا ذر. فرضي الله عنك يا سيّدنا يا أبا ذر، وجمعنا بك وبصاحبك رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنّات النعيم. اللهم اجعلنا ممّن يحب صحابة نبيّك صلى الله عليه وسلم حبّاً كثيراً، وممّن يتولاّهم وينصرهم، ويجلّهم ويوقّرهم، ويعرف لهم سابقتهم وفضلهم، ويسير على طريقهم، ويقتدي بهم، ويترضّى عنهم، ويستغفر لهم، حتى نكون من الذين قال الله فيهم: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)). بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ

18- إدْرَكُ السُّول وبلوغُ المأمُول بالقَوْل المَعْسُول من بعض مناقب الصحابي الجليل سيّدنا خالد بن الوليد سَيْف اللهِ المَسْلُولُ

الحَمْدُ للهِ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا، وَغَمَرَ عِبَادَهُ لُطْفًا وَحِلْمًا؛ فَعَفَا عَنْ كَثِيرٍ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَأَخَّرَ عِقَابَهُمْ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ وَالأَوْبَةِ، فسبحانه من إله غرس الإيمان في قلوب المؤمنين، وثبّتهم على الحق المبين، وملأ نفوسهم بالهدى واليقين، فإذا بأجسادهم على الأرض وأرواحهم في عليّين. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ؛ الوَلِيّ الحَمِيد، العَلِيم المَجِيد؛ ((يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)). قَسَّمَ بَيْنَ عِبَادِهِ دِينَهُمْ كَمَا قَسَّمَ بَيْنَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ، فَكَمَا أَنَّ فِيهِمْ غَنِيًّا وَفَقِيرًا. فَإِنَّ فِيهِمْ مُؤْمِنًا وَكَافِرًا، وَبَرًّا وَفَاجِرًا، وَطَائِعًا وَعَاصِيًّا. وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ وصفيّه من خلقه وخليله. أَرْسَلَهُ اللهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَهِدَايَةً لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ فَهَدَى اللهُ تَعَالَى بِهِ مَنْ كُتِبَتْ سَعَادَتُهُمْ، وَعَمِيَ عَنْهُ مَنْ كُتِبَتْ شِقْوَتُهُمْ، فَمَنِ اتَّبَعَهُ فَلَنْ يَضِلَّ وَلَنْ يَشْقَى، وشُرِح صَدْره بالهدى. ومَن أعرض عنه فقد ضلّ وغوى. وخُتِم على قلبه فلا يعي أبدا.

يَا أُمَّةَ المُصْطَفَى البُشْرَى تَحِقُّ لَنَا * لأَنَّ ذَا العَرْشِ بالمُخْتَارِ فَضَّلَنَا
وَبِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ قَدْ تَخَوَّلَنَا * إِنْ شِئْتُمُ أَنْ تَنَالُوا عِزَّ جَانِبِهِ
صَلُّوا عَلَى المُصْطَفَى يَا مُؤْمِنِين بِهِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. طَيِّبِ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، وَحَسَنِ السِّيرَةِ وَالأَحْوَالِ، وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ هُمْ خَيْر أَهْلٍ وَأَكْرَمِ آلٍ، وَصَحَابَتِهِ جَدَاوِلِ الكَرَمِ

وَالنَّوَالِ، صَلَاةً تُغَيِّبُنَا بِهَا فِي أَنْوَارِ الجَلَالِ وَالجَمَالِ، وَتُلْبِسُنَا بِهَا مِنْ رِضَاكَ ورِضَاهُ حُلْتَيِ البَهَاءِ وَالكَمَالِ، وَتَسْقِينَا بِهَا مِنْ حَوْضِه العَذْبِ الشَّهِيِّ الزُّلَالِ، شَرْبةً لاَ نَظْمَأُ بعدها أبدًا بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يا ذا الإحسان والإفضال. برحمتك يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا رَبَّ العَالَمِينَ. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. بعدما يهتدي العبد إلى الله تعالى، ويعمر قلبه بالإيمان؛ تتغيّر مجريات حياته، وتتحوّل اهتماماته، وينتقل من الأسوأ إلى الأحسن، تعلو همّته، ويبعُد نظرُه، وتسمو نفسه، فلا ترضى من الدنيا بشيء؛ بل همّها الأكبر متعلِّق بالآخرة؛ ولذا تجد أن صاحبَ تلك النفس النفيسة، وهذا القلب الحيّ العامر، لا يرضى بغير محبّة الله بديلاً، فلا تبصره إلا ماشيًا في مرضاة الله تعالى، مجانبًا لمغاضبه ومساخطه. فما أحوجنا إلى الإقتراب من تلك النفوس السامقة، والقلوب الصالحة؛ لعلّ الله يُصْلِحُ لنا القلوب، ويزكّي منّا النفوس، ويرزقنا التقوى دائمًا وأبدًا. وما أجمل العيش في سِيَرِ القادة العظماء، ويطيب أكثر إذا كان في مواقف وأخبار السادة النجباء، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين هم أبرُّ الأمّة قلوباً، وأنقاها سريرة، وأصلحها سيرة، لقد نوَّه الله بذكرهم في التوراة والإنجيل، وجاء الثناء عليهم في أحسن التنزيل. قال تعالى في سورة الفتح: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)). أيّها المسلمون. يقول الله تعالى في سورة الأحزاب: ((مِنَ المُؤمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللّهَ عَلَيهِ فَمِنهُم مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنهُم مَّنْ يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبدِيلاً)). وإنّ من هؤلاء الأبطال الأفذاذ الصادقين الموفين بعهودهم الصابرين. الذين أقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وخافوا من الله حق الخوف وزكّوا أنفسهم حتى صارت نفوسًا مطمئنّة، رجل أحب الجهاد في سبيل الله حتى دخل شغاف قلبه، إنَّهُ البطولةُ في أَقْوى أحوالِها، والشجاعةُ في أعظمِ أشكالِها، والحِنْكَةُ في أَدْهَى أهوالِها. لقد كان أسطورة التاريخ ومفخرة المسلمين، لم يشارك في معركة في جاهلية ولا في إسلام إلا انتصر فيها! فكان بحق أعجوبة من أعاجيب الزمان! إنّه فَارِسُ الإِسْلاَمِ، وَلَيْثُ المَشَاهِدِ، وقائد المجاهدين، أَبُو سُلَيْمَانَ سيّدنا خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ بن المُغيرة القُرَشِيُّ المَخْزُوْمِيُّ المَكِّيُّ. سيف الله المسلول وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم. الذي في مثل هذا الشهر أعني شهر صفر من السنة الثامنة للهجرة كانت هجرته وإسلامه رضي الله عنه. أيّها المسلمون. نشأ سيّدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه فى بيئة غنية مترَفة، فكان أبوه أغنى رجل في قريش، وأبوه هو الوليد بن المغيرة الذي عناه الله تبارك وتعالى في سورة المدثر بقوله: ((ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ

لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً)). وإنّك لتعجب أن يُخرِج الله سبحانه وتعالى هذا العبد الصالح وهذا الصحابي الجليل من صُلْب ذلك الرجل الكافر الفاجر! ولله تبارك وتعالى الحكمة البالغة فيما يشاء وفيما يذر. وأُمُّهُ لُبَابَةُ الصُّغْرى بِنْتُ الحَارِثِ بنِ حَرْبٍ الهِلاَلِيَّةُ وَهِيَ أُخْتُ لُبَابَةَ الكُبْرى زَوْجة سيّدنا العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطلبِ رضي الله عنه. وَهُما أُخْتا أمّ المؤمنين السيّدة مَيْمُونَةَ بِنْتِ الحَارِثِ زَوْجة النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ. ولمَّا أرادَ اللهُ تعالى لسيّدنا خالد الهدايةَ، بدأَتْ ومضاتُ الإسلامِ تداعبُ قلبَهُ ووجدانَهُ، وبدأَ يحاسِبُ نفسَهُ على هذهِ الطَّاقةِ في جسدِهِ أينَ يصرفُها، ولماذا؟ وكيفَ؟ إذْ ذهبَ جزءٌ مِنْ شجاعته وبسالتِهِ هدرًا صرفَهُ مع المشركينَ في قتالِ المسلمينَ؛ فوقَرَ في نفسِهِ أَنْ يذهبَ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. يحَدِّثُ سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه عن مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورحلته من مكة إلى المدينة المنوّرة ليأخذ دَوْره في قافلة المؤمنين فيقول: ووددتُ لو أجد من أُصاحِبُ، فلقيتُ عثمان ابن طلحة، فذكرتُ له الذي أريد فأسرع الإجابة، وخرجنا جميعا فأدلجنا سَحَرًا، فلمّا كنّا بالسهل إذا عمرو بن العاص، فقال مرحبًا بالقوم، قلنا: وبك، قال: أين مسيركم؟ فأخبرناه، وأخبَرَنَا أيضًا أنّه يريد النبي لِيُسْلِم، فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة أوّل يوم من صفر سنة ثمان. فلمّا طلعتُ على رسول الله سلمتُ عليه بالنبوّة. فردّ عليّ السلام بوجه طلق. فأسلمتُ وشهدتُ شهادة الحق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قد كنتُ أرى لك عقلا رجوتُ ألاّ يُسْلِمَك إلاّ إلى خير)). وبايعتُ رسول الله وقلتُ: استغفر لي كل ما أَوْضعتُ فيه مِن صَدٍّ عن سبيل الله، فقال: ((إنَّ الإسلامَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ)). قُلْتُ: يا رسول الله على ذلك فقال: ((اللَّهُمَّ اغفر لخالد بن الوليد كل ما أَوْضع فيه من صَدٍّ عن سبيلك))، قال: وتقدّم عمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة، فأسلما وبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولقد فرح المسلمون فرحا عظيماً بإسلام هذا البطل الشجاع الذي أعزّه الله بالإسلام وأعزّ الإسلام به، وتحوّل عداءُ خالد السالف للإسلام إلى معاداة سافرة وشدّة وبأساء على أعداء الله الكفار. أيّها المسلمون. وبعد ثلاثة أشهر من إسلامه بدأَتْ أوَّلُ جولاتِهِ الحربيَّةَ رضي الله عنه في معركةِ مؤتةَ، وذلك في شهر جمادى الأولى. تلك المعركةُ الداميةُ الخطيرةُ الَّتي اجتمعَ فيها أكثرُ مِنْ مائتي ألفٍ مِنْ الرُّومِ وأحلافِهِمْ مِنْ قبائلِ العربِ بالشّامِ لقتالِ ثلاثةِ آلافٍ مِنْ المسلمينَ، وكادَتْ أن تنزلَ بهم كارثةٌ عُظْمى، لولا رحمةُ اللهِ تعالى، ثمَّ سياسةٌ خالدٍ. كانَ رضي الله عنه فردًا مِنْ أفرادِ الجيشِ، وكَانَتْ الرّايَةُ بيدِ زيدِ بنِ حارثةَ، فقُتِلَ، فأخذَها جعفرُ بنُ أبي طالبٍ، فقاتَلَ بها حتّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخذَها عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ فقُتِلَ، ثُمَّ أخذَها خالدُ بنُ الوليدِ فاستطاعَ بسياستِهِ وحِنْكتِهِ أَنْ يُخِيفَ الرُّومَ، وأَنْ يُنْقِذَ جيشَ المسلمينَ، وقَدْ جاءَ الوحيُ بخبرِ تلكَ المعركةِ إلى

النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم، فصعدَ المنبرَ، وأخذَ يُخْبِرُ الناسَ بتفاصيلِ المعركةِ وعَيْناهُ تَذْرِفانِ بالدُّموعِ، فقال لهم: ((لقَدْ أخذَ الرّايةَ زيدٌ فقُتِلَ، ثمَّ أخذَهَا جعفر فقُتِلَ، ثُمَّ أَخذَها ابنُ رواحةَ فقُتِلَ، حتّى أخذَ الرّايةَ سيفٌ من سيوفِ اللهِ، وفتحَ اللهُ عليهم)). وهكذا نجح سيّدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه في العودة بالجيش إلى المدينة بأقلّ خسارة ممكنة، وقُتل من الروم خلقٌ كثير لا يُعرف عددهم. وكان في ذلك نصرٌ كبير للإسلام والمسلمين. وانتهت المعركة وعاد الجيش إلى المدينة ينعمون ((بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ)). واستقبلهم الرسولُ صلى الله عليه وسلم وصحابتُه الكرام رضوان الله عليهم يحيّونهم على هذا الفتح العظيم ضدّ أكبر قوّة عرفها العالم آنذاك. ومنذ ذلك الوقت وخالدٌ يلقّب بسيف الله المسلول. يقولُ رضي الله عنه: لقَدْ اندقَّ في يدي يومَ مؤْتةَ تسعةُ أسيافٍ فما صَبَرَتْ معي إلَّا صحيفةٌ يمانية! يقولُ أبو عبيدَة: سمعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ: ((خالدٌ سيفٌ مِنْ سيوفِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ونِعْمَ فَتى العشيرةِ)). واستمرّ خالد رضي الله عنه في الجيوش قائداً وجندياً، ولاّه رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة من جيش المسلمين في فتح مكة، وشهد غزوة حنين. ثم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كانت له في حروب الرّدّة صولات وجولات. فقد استطاع بفضل الله أن يُخْمِد فتنتهم ويعيد كثيراً منهم إلى حظيرة الإسلام، ولم يسترح خالد بعد تلك المعارك أيْ معارك حروب الردة حتى فاجأه أمر الصّدّيق رضي الله عنه وأوامره بأن ينطلق بعد ذلك إلى أعظم مملكة، وأقوى قوة وُجِدت على وجه الأرض في ذلك الزمان، وهي مملكة الفُرس! فاستهلَّ خالدٌ عَملَهُ بكُتُبٍ أرسلَها إلى جميعِ وُلاّةِ كِسْرَى جَاءَ فيها: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ. مِنْ خالدِ بنِ الوليدِ إلى مرازبةِ فَارسَ. سلامٌ على مَنْ اتَّبَعَ الهُدَى. أمّا بعدُ: فالحمدُ للهِ الَّذي فضَّ خدمَكُمْ، وسلبَ مُلكَكُمْ، ووَهَّنَ كَيدَكُم. مَنْ صَلَّى صلاتَنا، واستقبلَ قِبْلَتَنَا، وأكلَ ذبيحتَنا فذلكُمْ المُسلمُ، لَهُ مَا لَنَا وعَليه ما عَلينَا. إذا جاءَكم كتابي فابعثُوا إليَّ بالرُّهَنِ، واعتقدُوا منِّي الذِّمَّةَ، وإلَّا فوالَّذي لا إلهَ غيرُه! لأبعثَنَّ إليكم قومًا يحبُّون الموتَ كما تحبُّون الحياةَ. ثم بدأ رضي الله عنه بقتال هؤلاء إلى أن انتصر عليهم. أيّها المسلمون. وحينما اشتدَّ خطرُ الرُّوم على جيوشِ المسلمينَ في الشَّامِ، قرَّرَ سيّدنا أبو بكرٍ الصّدّيق رضي الله عنه أَنْ يبعثَ إلى خالدٍ ليتَّجهَ مِنْ العِراقِ إلى الشَّامِ لمؤازَرَةِ المقاتلينَ المسلمينَ هناكَ، وقالَ أبو بكرٍ حينما سمعَ بكثرةِ الرُّومِ وخطرِهِم: والله لأشفينَّ وساوسَهم بخالدٍ. وصلَ رضي الله عنه إلى الشَّامِ بجيشِهِ في وقتٍ وجيزٍ، وكانَ مِنْ كراماتِ اللهِ لهُ أَنَّ الأرضَ تُطْوى له طيًّا، فقَدْ اجتازَ الصحاريَ، وقطعَ الفيافيَ مِنْ حَدِّ العراقِ إلى أوَّل الشَّامِ في خمسِ ليالٍ، وانضمَّ إلى جيوشِ المسلمينَ، وقَدْ ولَّاه أبو بكرٍ قيادتَها جميعًا، حتَّى أصبحَ مجرَّدُ ذِكْرِ اسمِهِ يصيبُ الرُّومَ بالفزعِ، ويملأُ قلوبَهُم بالهلعِ. ولَقَدْ تواصلَ جهادُ هذا البطلِ الهُمامِ، وفتحَ اللهُ على يديهِ مِنْ البلدانِ مالا نظيرَ لَهُ، لقَدْ

كانَ خالدٌ يعشقُ الجهادَ في سبيلِ اللهِ، وتتوقُ لَهُ نفسُهُ، وكانَ غُبارُ أقدامِ المجاهدينَ أحبَّ إليهِ مِنْ الطِّيْبِ والبُخورُ، ولقد كان رضي الله عنه جديراً بمقولة سيّدنا أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه: عجز النساء أن يلدن مثل خالد. أيّها المسلمون. ولمّا وَلِيَ سيّدنا عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة خاف افتتان الناس بخالدٍ وانتصاراته، وعقله ودهائه؛ فعزله عن القيادة؛ ليُفْهِمَهُم أنّ النصر من الله، وأنّ الله ينصرهم بخالدٍ وبغير خالد؛ ليتّكلوا على الله لا على بشَرٍ مهما سما وعلا شأنه. فأبى خالد إلاّ أنْ يضمّ إلى انتصاراته العسكرية انتصاره على نفسه، فامتثل وأطاع، وصار جندياً تحت إمرة سيّدنا أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. وقال قولته المشهورة: إنّي لا أقاتل لعمر؛ ولكنّي أقاتل لرب عمر. فرضي الله عنه وأرضاه، وجعل الفردوس الأعلى مأواه. ومع شجاعته وإقدامه، ورغم كثرة المعارك التي حضرها وخاضها، والجراح التي أصابت جسده؛ حتى مافيه موضعُ شِبْر إلا وفيه جرحٌ؛ فإنّ الله تعالى كتب له السلامة في حروبه، وقدّر له أن يموت على فراشه، فَعَنْ أَبِي الزِنَادِ: أَنَّ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ لَمَّا احْتُضِرَ بَكَى، وَقَالَ: لَقِيتُ كَذَا وَكَذَا زَحْفًا، وَمَا فِي جَسَدِي شِبْرٌ إِلاَّ وَفِيهِ ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ، أَوْ رَمْيَةٌ بِسَهْمٍ، وَهَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي، كما يموت البعير، فَلاَ نَامَتْ أَعْيُنُ الجُبَنَاءِ. ثم قال: إذا أنا مت فانظروا إلى سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله. وَأَخْبَرَ مَنْ غَسَّلَهُ بِحِمْصَ، وَنَظَرَ إِلَى مَا تَحْتَ ثِيَابِهِ، قَالَ: مَا فِيهِ مُصحٌّ، مَا بَيْنَ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ، أَوْ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةٍ بِسَهْمٍ. لم يخلِّف رضي الله عنه تركة وهو الذي فتح الفتوح، وهدَّم العروش، وغنم الغنائم، وحمل مثاقيل الذهب والفضة؛ لأنّه قاتل لله تعالى لا للدرهم والدينار، قال نافع: لما مات خالد لم يدع إلا فرسَه وسلاحه وغلامه، فقال عمر: رحم الله أبا سليمان! كان على غير ما ظنناه به. ولما بلغ خبر وفاته المدينة ارتجت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء، فبكى الصغير والكبير، وبكى النساء والرجال، وجاء رجل إلى عمر رضي الله عنه وأرضاه، يقول: يا أمير المؤمنين، إنّ النساء يبكين خالداً! فمُرْهنّ بالسكوت، فقال عمر: اسكت لا أمَّ لك؛ على مثل أبي سليمان فلتبكِ البواكي. وقال عمر لما مات خالد: قد ثلم الإسلام ثلمة لا ترتق. وقال: كان والله سدَّاداً لنحور العدوّ، ميمون النقيبة. ونعاه عمر فقال: رحم الله أبا سليمان. ما عند الله خيرٌ له مما كان فيه، لقد عاش حميداً، ولقي الله سعيدًا. عَاشَ رضي الله عنه سِتِّينَ سَنَةً. وكانت وفاته بِحِمْصَ من أرض الشام، في الثامن عشر من شهر رمضان سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ للهجرة. وَلَهُ مَشْهَدٌ هناك يُزَارُ ويتبرّك به. كما كان رضي الله عنه من مجابي الدعوة ومن أصحاب الكرامات. فلقد أتاه رجل ومعه زقّ خمر فقال: اللهم اجعله عسلاً فصار عسلاً. ومرّ عليه آخر ومعه خمر فسأله عمّا يحمله فقال الرجل: عسل. فقال خالد: اللهم اجعله خَلاًّ فصار خَلاًّ. وأخرجَ ابنُ أَبِي شيبةَ وغيرُه أَنَّ خالدَ بنَ الوليدَ لَمَّا نزَل الحِيرَةَ، فَقَالُوا له: احْذَرِ

السُّمَّ، لاَ تَسْقِكَ الأَعَاجِمُ. فَقَالَ: ائْتُونِي بِهِ. فَأُتِيَ بِهِ، فَاقْتَحَمَهُ، وَقَالَ: بَاسْمِ اللهِ، فَلَمْ يَضُرَّهُ. قالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ في شرحِ صحيحِ البخاريّ عَنْ هذا: كرامةٌ لخالدِ بنِ الوليدِ، فلا يتأسَّى به في ذلكَ لئلاّ يُفْضِي إلى قتلِ المرءِ نفسِهِ. وقَالَ خَالِدٌ: اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَلَقَ رَأْسَهُ، فَابْتَدَرَ النَّاسُ شَعْرَهُ، فَسَبَقْتُهُم إِلَى نَاصِيَتِهِ، فَجَعَلْتُهَا فِي هَذِهِ القُلُنْسُوَّةِ، فَلَمْ أَشْهَدْ قِتَالاً وَهِيَ مَعِي إِلاَّ رُزِقْتُ النَّصْرَ. أيْ ببركة شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فرضي الله تعالى عن سيّدنا خالد بن الوليد سيف الله المسلول. وجمعنا به في دار الكرامة مع الآل والأصحاب العدول. تحت لواء مولانا الرسول. صلى الله عليه وسلم. اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين، وكن لإخواننا المستضعَفين في كل مكان، اللهم فرّج كربتهم، وأَزِل عنهم همّهم وغمّهم، اللهم آمنّا في دورنا، وأصلح أئمّتنا وولاّة أمورنا. بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا رَبَّ العَالَمِينَ. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ

19- المقالة العَذْبة في التعرّف عن بعض مناقب الصحابي الجليل سيّدنا عثمان بن طلحة سادِن الكعبة

الحمد لله مبرئ البرايا، مجزِل العطايا، له جزيل الحمد وكريم التحايا، خَلَق خَلْقه وجعل نفوسهم مستوْدَعات عرايا، وأرسل إليهم رُسُله بجميل الخصال وحُسْن السجايا، يهدون للتي هي أقْوَم، ويَدْعُون للأحسن بالأحكم، ويُنْذِرون المَوْقِف الأعظم، الذي يَظْهر فيه مخفيّ الصدور ومكنون الحشايا. فسبحانه من إله منّ علينا بنعمة الإسلام، وجعلنا من أتباع خير الأنام. عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. ونوّر قلوبنا بنور الإيمان، وأبعدنا عن الكفر والفسوق والعصيان، ونسأله تعالى أن يجعلنا من عباده الراشدين، وأن يهدينا ويهدي بنا إلى صراطه المستقيم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رضي من عباده باليسير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وأفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وضمّن الكتاب الذي أنزله أنّ رحمته سبقت غضبه، دعا عباده إلى دار السلام، فعمّهم بالدعوة حجّة منه عليهم وعدلا، وخصّ بالهداية والتوفيق مَن شاء نعمة ومنّة وفضلا، فهذا عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم، وذلك فضله يؤتيه مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم. وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله، أرسله رحمة للعالمين وقدوة للعالمين، ومحجّة للسالكين، وحجّة على العباد أجمعين، وقد ترك أمّته على الواضحة الغرّاء، والمحجة البيضاء، وسلك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنّات النعيم. وعدل الراغبون عن هديه إلى صراط الجحيم. ليهلِك مَن هلك عن بيّنة، ويحيى مَن حيي عن بيّنة، وإنّ الله لسميع عليم.

يا أيّها الناس هذا سيّدُ الأُمَمِ * هذا النبيُّ الرفيعُ القَدْرِ والقِدَمِ
هذا محمّد بحرُ الجودِ والكَرَمِ * يا أمّةً لنبيٍّ نورُه سطعا
صلّوا على المصطفى يا كلَّ مَنْ سَمِعا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّنا محمّد. المخصوص بالسيادة والإمامة. وعلى آله الذين أجريتَ على أيديهم خوارق العادات وبواهر الكرامة. وصحابته الذين جعلتَ لهم نُصْرةَ دينك القويم شعارا وعلامة. صلاة تنظمنا بها في سِلْك أهل الهدى والإستقامة. وتصحبنا حمايتها في الرحيل والإقامة. وتجعلها لنا في الشدائد والأزمات أمنع دِرْعٍ ولامة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين.

أمّا بعد: فيا أيّها المسلمون. لقد كان لدخول رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين مكة وأدائهم العمرة. وذلك في شهر ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة. وهو الشهر الذي صدّه فيه المشركون عن دخول مكة لأداء العمرة وهو بالحديبية، فأنزل الله تبارك وتعالى في سورة البقرة قوله: ((الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُماتُ قِصاصٌ فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)). فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يتجهّزوا للعمرة، ولا يتخلّف أحد ممّن شهد الحديبيّة، وقد بلغ عدد من شهد عمرة القضاء ألفَيْن سوى النساء والصبيان. ولم يتخلّف من أهل الحديبية إلاّ من استشهد في غزوة خيبر. أو مات قبل عمرة القضاء. وذلك وفاء على ما عاقد عليه قريشا في الحديبية، أيْ من أنّه يدخل مكة في العام القابل معه سلاح المسافر ولا يقيم بها أكثر من ثلاثة أيام. فخرج النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام من المدينة المنوّرة باتّجاه مكة المكرّمة في موكب مهيب يشقّ طريقه عَبْر القرى والبوادي. لم تألفه العرب من قَبْل. حيث المسلمون بزيّ واحد من الإحرام. وهم يرفعون أصواتهم بالتلبية. ويسوقون هديهم معهم. في مظهر بهيّ لم تشهد المنطقة له مثيلا. كان لهذه العمرة أثر عظيم في نفوس كثير من المشركين. فبدأوا يفكّرون في هذا الدين تفكيرا عاقلا هادئا بعيدا عن العصبية المقيتة التي حَجَبت عن عقولهم سموّ الدين الإسلامي ونفاسة تعاليمه. وكان ممّن استجاب لدعوة الإسلام. وفتح الله قلوبهم لهدايته. سيّدنا عمرو بن العاص وسيّدنا خالد بن الوليد وسيّدنا عثمان بن طلحة بن أبى طلحة. رضي الله عنهم أجمعين. فما كان يهلّ شهر صفر من السنة الثامنة للهجرة حتى توجّهوا إلى المدينة المنوّرة مهاجرين فأسلموا. أيّها المسلمون. أخرج الشيخان في صَحِيحَيْهما عَنْ سيّدنا أَبِي هُرَيْرَةَ الله رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَكْرَهُهُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ وَتَجِدُونَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ)). مقولة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانطبقت على كثير من أهل مكة، ومن

بينهم سيّدنا عثمان بن طلحة رضي الله عنه. الذي صفا معدنه في الجاهلية فظهر أثره في الإسلام. كان حاجب بيت الله الحرام في الجاهلية والإسلام، وحامل لواء قريش في معاركها، وموضوع خطبتنا عن بعض مناقبه. إذ كان إسلامه رضي الله عنه في مثل هذا الشهر. أعني شهر صفر من السنة الثامنة للهجرة. فهو سيّدنا عُثْمَان بن طَلْحَة بن أَبِي طَلْحَة. واسم أَبي طلحة عَبْد اللَّهِ بْن عَبْد العزّى بْن عُثْمَان بْن عَبْد الدار بْن قُصَيّ بْن كلاب القرشي العبدري حاجب الْكَعْبَة. وأُمّه السُّلافة الصغرى بنت سعد بن الشُّهَيْد من بني عَمرو بن عَوْف من الأنصار. قُتِل أَبوه طلحة وعمّه عثمان بن أَبي طلحة جميعًا يوم غزوة أُحُد كافرَيْن، قَتَل حمزةُ عثمان، وقَتَل عليٌّ طلحةَ مبارَزةً، وقُتِل يوم أُحُد منهم أَيضًا مُسَافِع، والجُلاَس، والحارث، وكِلاَب بنو طلحة، كلهم إخوة عثمان بن طلحة، قُتِلوا كفَّارًا. قَتَل عاصم بن ثابت بن أَبي الأَفلح مسافعًا والجُلاَس، وقَتَل الزُّبير كلابًا، وقَتَل قُزْمان الحارث. أيّها المسلمون. وكسائر زعماء مكة وأشرافها كان لعثمان بن طلحة حظّه في معادة الإسلام وأهله قبل إسلامه رضي الله عنه، وكان لا يألو جهدا في محاربة أتباعه حتى إنّه لم يصبر على رؤية مُصْعَب بن عُمَيْر يتعبّد لله سرّا وهو عاجز عن مَنْعه فَوَشَى به إلى أمّه وقومه فأخذوه وحبسوه، فلم يزل محبوسا حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى. ومثل كثير من وجهاء وأغنياء قريش كان عثمان بن طلحة ينظر للمسلمين ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية أمره نظرة ازدراء وهوان، إذ لا مال لهم ولا جاه ولا سلطان، وإنّما هي ثقتهم في الله، وعَزْم على تنفيذ مراده وطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولكنّه مع تلك العداوة كان شهما نبيلا متأصّلا بصفات الخلصاء من العرب، كان صاحب مروءة وعِفّة وكرم نفسي. هذه الشهامة التي حكت أمّ المؤمنين السيّدة أمّ سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعض مظاهرها فقالت: لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الْخُرُوجَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَحَّلَ لِي بَعِيرَهُ ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ، وَحَمَلَ مَعِي ابْنِي سَلَمَةَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجَ بِي يَقُودُ بِي بَعِيرَهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ رِجَالُ بَنِي الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ رَهْطُ أُمِّ سَلَمَةَ قَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا هَذِهِ نَفْسُكَ غَلَبْتَنَا عَلَيْهَا، أَرَأَيْتَ صَاحِبَتَكَ هَذِهِ؟ عَلَامَ نَتْرُكُكَ تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ؟ قَالَتْ: فَنَزَعُوا خِطَامَ الْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذُونِي مِنْهُ. قَالَتْ: وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، رَهْطُ أَبِي سَلَمَةَ، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ، لَا نَتْرُكُ ابْنَنَا عِنْدَهَا إِذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا. قَالَتْ: فَتَجَاذَبُوا ابْنِي سَلَمَةَ بَيْنَهُمْ حَتَّى خَلَعُوا يَدَهُ، وَانْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ، وَانْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ. قَالَتْ: فَفُرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي وَبَيْنَ ابْنِي. قَالَتْ: فَكُنْتُ أَخْرُجُ كُلَّ غَدَاةٍ فَأَجْلِسُ بِالْأَبْطَحِ، فَمَا أَزَالُ أَبْكِي، حَتَّى أُمْسِيَ. سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا حَتَّى مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي، أَحَدُ بَنِي الْمُغِيرَةِ، فَرَأَى مَا بِي فَرَحِمَنِي فَقَالَ لِبَنِي الْمُغِيرَةِ: أَلَا تُخْرِجُونَ هَذِهِ الْمِسْكِينَةَ، فَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ

وَلَدِهَا. قَالَتْ: فَقَالُوا لِي: اِلْحَقِي بِزَوْجِكِ إِنْ شِئْتِ. قَالَتْ: وَرَدَّ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ إِلَيَّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي. قَالَتْ: فَارْتَحَلْتُ بَعِيرِي ثُمَّ أَخَذْتُ ابْنِي فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَتْ: وَمَا مَعِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَتَبَلَّغُ بِمَنْ لَقِيتُ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيَّ زَوْجِي، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالتَّنْعِيمِ لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ فَقَالَ لِي: إِلَى أَيْنَ يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَ: أَوَمَا مَعَكِ أَحَدٌ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: لَا وَاَللَّهِ، إِلَّا اللَّهُ وَبُنَيَّ هَذَا. قَالَ: وَاَللَّهِ مَا لَكِ مِنْ مَتْرَكٍ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ الْبَعِيرِ، فَانْطَلَقَ مَعِي يَهْوِي بِي، فَوَاَللَّهِ مَا صَحِبْتُ رَجُلًا مِنْ الْعَرَبِ قَطُّ، أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ، كَانَ إِذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا نَزَلْتُ اسْتَأْخَرَ بِبَعِيرِي، فَحَطَّ عَنْهُ، ثُمَّ قَيَّدَهُ فِي الشَّجَرَةِ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنِّي إِلَى شَجَرَةٍ، فَاضْطَجَعَ تَحْتَهَا، فَإِذَا دَنَا الرَّوَاحُ، قَامَ إِلَى بَعِيرِي فَقَدَّمَهُ فَرَحَّلَهُ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي، وَقَالَ: ارْكَبِي. فَإِذَا رَكِبْتُ وَاسْتَوَيْتُ عَلَى بَعِيرِي أَتَى فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ، فَقَادَهُ، حَتَّى يَنْزِلَ بِي. فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِي حَتَّى أَقْدَمَنِي الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءٍ، قَالَ: زَوْجُكِ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بِهَا نَازِلًا. فَادْخُلِيهَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ. قَالَ: فَكَانَتْ تَقُولُ: وَاَللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ، وَمَا رَأَيْتُ صَاحِبًا قَطُّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ. رضي الله عنه. فأبت مروءة عثمان وشهامته وهو كافر قبل أن يُسْلِم أن يترك امرأة تسير في الصحراء لوحدها مسافة طويلة قُرابة أربعمائة وخمسون كيلو مترا. فأناخ لها ناقته وصحبها إلى المدينة وأوصلها إلى هناك ورجع لوحده إلى مكة. لقد كان عثمان في هذه الرحلة قِمّة في غضّ البصر وهو كافر. بمعنى أنّه لم تحرّكه بواعث الإيمان، ولا تعاليم العقيدة، ولا آداب الشريعة، ولا حقوق الأخوّة الإسلامية. بل إنّ محرّكه الأوّل والأخير هي شهامة ومروءة الرجل العربي. الذي صدق عليه قول الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((النَّاسُ مَعَادِنَ فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا)). أيّها المسلمون. كان سيّدنا عثمان بن طلحة رضي الله عنه سادِن الكعبة آنذاك. أيْ حاجب بيت الله الحرام. إذْ سدانة الكعبة هي مهنة قديمة، عُرِفَت قبل الإسلام. وتعني العناية بالكعبة المشرَّفة والقيام بشؤونها من فَتْحها وإغلاقها وتنظيفها وغَسْلها وكِسْوَتها وإصلاح هذه الكسوة إذا تمزّقت واستقبال زوّارها وكل ما يتعلّق بذلك. ويُعْرَف الذين يقومون بذلك بالسدنة. وتُعْرَف السدانة كذلك بالحِجابة، ومَن يقومون بها يُسمّون بالحَجَبة ؛ لأنّهم يحجُبون الكعبة عن العامّة. وقد مرّت سدانة الكعبة المعظَّمة، منذ تاريخها الطويل بمراحل وأحداث مهمّة، فمنذ بناء سيّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام الكعبة المشرَّفة، كانت السدانة بيد ابنه سيّدنا إسماعيل عليه السلام، الذي تولّى رَفْع القواعد من البيت مع والده إبراهيم عليهما السلام، كما قال تعالى في سورة:البقرة: ((وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)). وبقي إسماعيل بجوار بيت الله الحرام يقوم على خدمته. وتذكر كُتُب السِّيَر والتاريخ أنّ السدانة انتقلت بعد ذلك إلى أبناء إسماعيل عليه السلام مدّة طويلة، ثم اغتصبها منهم جيرانهم وأخوالهم جُرْهُمْ، ثم اغتصبها خُزاعة من جُرْهُمْ، ثم استردّها منهم قُصَيّ بن كِلاب وهو من أبناء إسماعيل، وهو الجدّ الرابع للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد تملّك قصي بن كلاب على قومه. فملّكوه فكانت إليه السدانة والسقاية والرِّفادة والنَّدْوَة ولِواء الحرب. ثم صارت السدانة مِن بَعْده في وَلَدِه الأكبر عبد الدار، ثم صارت في بني عبد الدار جاهلية وإسلامًا، ولم تزل السدانة في ذريّته حتى انتقلت إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة. ذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يوما إلى عثمان بن طلحة وطلب منه أن يفتح له الكعبة ليصلّي فيها. فأبى عثمان وأغلظ له، فليس رسول الله في نظره القاصر وقتها من الذين يستحقّون دخول الكعبة في غير التوقيت الذي يحدّده السادِن. قَالَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، فَدَعَانِي إِلَى الإِسْلامِ، فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، الْعَجَبُ لَكَ حَيْثُ تَطْمَعُ أَنْ أَتْبَعَكَ، وَقَدْ خَالَفْتَ دِينَ قَوْمِكَ، وَجِئْتَ بِدِينٍ مُحْدَثٍ، فَفَرَّقْتَ جَمَاعَتَهُمْ وِإِلْفَتَهُمْ، وَأَذْهَبْتَ بَهَاءَهُمْ فَانْصَرَفَ، وَكُنَّا نَفْتَحُ الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأَقْبَلَ يَوْمًا يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الْكَعْبَةَ مَعَ النَّاسِ، فَغَلَظْتُ عَلَيْهِ، وَنِلْتُ مِنْهُ، وَحَلُمَ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ((يَا عُثْمَانُ، لَعَلَّكَ سَتَرَى هَذَا الْمِفْتَاحَ يَوْمًا بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ))، فَقُلْتُ: لَقَدْ أُهْلِكَتْ قُرَيْشٌ يَوْمَئِذٍ وَذُلَّتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((بَلْ عَمَرَتْ وَعَزَّتْ يَوْمَئِذٍ))، وَدَخَلَ الْكَعْبَةَ، فَوَقَعَتْ كَلِمَتُهُ مِنِّي مَوْقِعًا ظَنَنْتُ يَوْمَئِذٍ أَنَّ الأَمْرَ سَيَصِيرُ إِلَى مَا قَالَ، فَأَرَدْتُ الإِسْلامَ وَمُقَارَبَةَ مُحَمَّدٍ، فَإِذَا قَوْمِي يَزْبُرُونَنِي زَبْرًا شَدِيدًا، وَيُزْرُونَ بِرَأْيِي، فَأَمْسَكْتُ عَنْ ذِكْرِهِ، فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ جَعَلَتْ قُرَيْشٌ تُشْفِقُ مِنْ رُجُوعِهِ عَلَيْهَا، فَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ حَتَّى جَاءَ النَّفِيرُ إِلَى بَدْرٍ، فَخَرَجْتُ فِيمَنْ خَرَجَ مِنْ قَوْمِنَا، وَشَهِدْتُ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ عَامَ الْقَضِيَّةِ غَيَّرَ اللَّهُ قَلْبِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَدَخَلَنِي الإِسْلامُ، وَجَعَلْتُ أُفَكِّرُ فِيمَا نَحْنُ عَلَيْهِ، وَمَا نَعْبُدُ مِنْ حَجَرٍ لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ، وَلا يَنْفَعُ وَلا يَضُرُّ، وَأَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، وَظَلِفِ أَنْفُسِهِمْ عَنِ الدُّنْيَا، فَيَقَعُ ذَلِكَ مِنِّي، فَأَقُولُ مَا عَمِلَ الْقَوْمُ إِلا عَلَى الثَّوَابِ لِمَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَجَعَلْتُ أُحِبُّ النَّظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنْ رَأَيْتُهُ خَارِجًا مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ يُرِيدُ مَنْزِلَهُ بِالأَبْطَحِ، فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ وَآخُذَ بِيَدِهِ وَأُسَلِّمَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يُعْزَمْ لِي عَلَى ذَلِكَ، وَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ عُزِمَ لِي عَلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهِ، فَأَدْلَجْتُ إِلَى بَطْنِ يَأْجَجَ، فَأَلْقَى خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَاصْطَحَبْنَا حَتَّى نَزَلْنَا الْهَدَّةَ، فَمَا شَعَرْنَا إِلا بِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ،

فَانْقَمَعْنَا مِنْهُ، وَانْقَمَعَ مِنَّا، ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ يُرِيدُ الرَّجُلانِ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: وَأَنَا أُرِيدُ الَّذِي تُرِيدَانِ، فَاصْطَحَبْنَا جَمِيعًا حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى الإِسْلامِ، وَأَقَمْتُ مَعَهُ حَتَّى خَرَجْتُ مَعَهُ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ، وَدَخَلَ مَكَّةَ، فَقَالَ لِي: ((يَا عُثْمَانُ، ائْتِ بِالْمِفْتَاحِ))، فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَأَخَذَهُ مِنِّي ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَيَّ مُضْطَبِعًا عَلَيْهِ بِثَوْبِهِ، وَقَالَ: ((خُذْهَا تَالِدَةً خَالِدَةً لا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلا ظَالِمٌ، يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللَّهَ اسْتَأْمَنَكُمْ عَلَى بَيْتِهِ، فَكُلُوا مِمَّا يَصِلُ إِلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ بِالْمَعْرُوفِ))، قَالَ عُثْمَانُ: فَلَمَّا وُلِّيتُ نَادَانِي إِلَيْهِ، فَقَالَ: ((أَلَمْ يَكُنِ الَّذِي قُلْتُ لَكَ؟)). قَالَ: فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِي بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ: ((لَعَلَّكَ سَتَرَى هَذَا الْمِفْتَاحَ يَوْمًا بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ))، فَقُلْتُ: بَلَى، أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أيّها المسلمون. وممّا نزل في حقّ سيّدنا عثمان بن طلحة رضي الله عنه من القرآن الكريم ما اتّفق عليه كثير من المفسّرين في قوله تعالى في سورة النساء: ((إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)). ذكر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى في تفسيره (التحرير والتنوير): أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ إِذْ سَلَّمَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْعَبْدَرِيُّ الْحَجَبِيُّ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ لِلنَّبِيءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ سِدَانَةُ الْكَعْبَةِ بِيَدِهِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَكَانَتِ السِّدَانَةُ فِيهِمْ، فَسَأَلَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ سِدَانَةَ الْكَعْبَةِ يَضُمُّهَا مَعَ السِّقَايَةِ، وَكَانَتِ السِّقَايَةُ بِيَدِهِ، وَهِيَ فِي بَنِي هَاشِمٍ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ وَابْنَ عَمِّهِ شَيْبَةَ بْنَ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، فَدَفَعَ لَهُمَا مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: وَمَا كُنْتُ سَمِعْتُهَا مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَقَالَ النَّبِيءُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ: ((خُذُوهَا خَالِدَةً تَالِدَةً لَا يَنْتَزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ))، وَلَمْ يَكُنْ أَخْذُ النَّبِيءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ أَخْذَ انْتِزَاعٍ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَهُ يَنْتَظِرُ الْوَحْيَ فِي شَأْنِهِ، لِأَنَّ كَوْنَ الْمِفْتَاحِ بِيَدِ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ مُسْتَصْحَبٌ مِنْ قَبْلِ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُغَيِّرِ الْإِسْلَامُ حَوْزَهُ إِيَّاهُ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ تَقَرَّرَ حَقُّ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ فِيهِ بِحُكْمِ الْإِسْلَامِ، فَبَقِيَتْ سِدَانَةُ الْكَعْبَةِ فِي بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَنَزَلَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ عَنْهَا لِابْنِ عَمِّهِ شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ، وَكَانَتِ السِّدَانَةُ مِنْ مَنَاصِبِ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَبْطَلَ النَّبِيءُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَهَا فِي خُطْبَةِ يَوْمِ الْفَتْحِ أَوْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، مَا عَدَا السِّقَايَةَ وَالسِّدَانَةَ. فَإِطْلَاقُ اسْمِ الْأَمَانَةِ فِي الْآيَةِ حَقِيقَةٌ، لِأَنَّ عُثْمَانَ سَلَّمَ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ لِلنَّبِيءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ أَنْ يُسْقِطَ حَقَّهُ. ثم صار أمر السدانة في أولاد بني شيبة بن عثمان بن أبي طلحة إلى العصر الحاضر يتوارثونها كابرا عن كابر. وتحمل العائلة مفتاح الكعبة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم عندما اعطاه النبي صلى الله عليه وسلم لجدّهم وقال لهم: ((خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم)). ولا يزال وجودهم من معجزات

الرسول صلى الله عليه وسلم التي أخبر أمّته بها، ولا يجرؤ أحد أن يدخل الكعبة إلا بإذنهم. ويتمّ في الوقت الحاضر تسليم كسوة الكعبة المشرَّفة الخارجية لكبير سدنة بيت الله الحرام ليتمّ تركيبها على الكعبة المشرَّفة في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة من كل عام. ويقام سنوياً حَفْل خطابي بهذه المناسبة يتمّ خلاله التوقيع على إجراءات الإستلام والتسليم من قِبَل الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، وكبير سدنة الكعبة من الشيبيّين، أيّها المسلمون. وبعد إسلامه رضي الله عنه لازم عثمان بن طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى أن يعود لمنصبه بمكة؛ ليسدّ كغيره من الصحابة ثَغْرة لا تسدّ إلا به، ويتخيّر لنا رضي الله عنه من موجز كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحتاج إليه البشرية في كل عصر من عصورها؛ لتسعد في حياتها، وتهنأ في معاشها، من ذلك قوله رضي الله عنه: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ثَلاثٌ يُصَفِّينَ لَكَ وُدَّ أَخِيكَ. تُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيتَهُ. وَتُوَسِّعُ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ. وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ)). ولمّا عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فَتْح مكة إلى المدينة المنوّرة عاد بصحبته عثمان بن طلحة، حتى إذا وافت رسول الله صلى الله عليه وسلم منيّته عاد عثمان إلى مكة. فأقام بها خادما لبيت الله الحرام إلى أن مات في أوّل خلافة سيّدنا معاوية بن أبي سفيان، سنة إحدى وأربعين للهجرة. رضي الله عنهم أجمعين. وانتهت بذلك حياة رجل تعلّمنا من سلوكه الشهامة، ومن وظيفته الأمانة. ومن كلامه الحب، اللهم أذهب القسوة عن قلوبنا، وانفعنا بسيرة سلفنا، وارزقنا الإستقامة على الدين والدعوة إليه حتى الممات، اللهمّ أرنا الحق حقا وارزقنا اتّباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، اللهم استعملنا في طاعتك ولا تستعملنا في معصيتك. اللهم احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين. اللهم أحينا مسلمين، وتوفّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

20- القول الواضح لكل سائل ولائح عن بعض مناقب سيّدنا عمرو بن العاص الرجل المؤمن الصالح

الحمد لله الذي اختار من صفوة عباده أصحاب الحق وأهل السنّة. وخصّهم من بين سائر الخلق بمزايا اللطف والمنّة. وأفاض عليهم من نور هدايته ما كشف به عن حقائق الدين. وأنطق ألسنتهم بحجّته التي قمع بها ضلال الملحدين. وصفّى سرائرهم من وساوس الشياطين. وطهّر قلوبهم عن نزغات الزائغين. وملأ أفئدتهم بأنوار اليقين. حتى اهتدوا بها إلى أسرار ما أنزله على لسان نبيّه وصفيّه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. سيّد المرسلين. فسبحانه من إله أعزّ مَنْ أطاعه واتّقاه.

وأذلّ مَنْ خالف أمره وعصاه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. اصطفَى لهذه الأمّة خيرَ الرسل، واختار لصُحبته خيرَ الرجال. أكملَ الناس عقولا. وأقومَهم ديناً. وأغزرَهم علماً. وأشجعَهم قلوبًا. قوماً جاهدوا في الله حقّ جهاده. فأقام الله بهم الدين. وأظهرَهم على جميع العالمين. فكانوا غرّة في جبين تاريخ الأوّلين والآخِرين. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. أرسله ربّه دليلا على الرشاد. ومبشِّرا بيوم المعاد. فدلّ على التجارة الرابحة. وأنار منار السُّبُل الواضحة.

الله شرّف أحمدًا خيرَ الورى * وأناله مُلْكا لديه كبيرا
جُمِعَت له أعلامُ كلِّ فضيلةٍ * فغدا على الرُّسْل الكرام أميرا
وشقّ القلوبَ هدايةً وعناية * وطهارةً ومحبّة وسرورا
صلّوا عليه وأكثروا مِن ذِكْره * لا تَسْأَموا الترجيع والتكثيرا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمّد. وعلى آله الذين رفعتَ لهم في مراتب السيادة درجاتٍ وأقدارًا. وصحابته الذين جعلتَهم له على دين الحقّ أعوانا وأنصارا. صلاةً نكون بها مِمَّن ملأتَ قلوبَهم مواهبا وأسرارا. وألبستهم من ملابس التقوى هيبةً ووقارا. وعاملتَهم بعفوك ومغفرتك. وجعلت لهم أعلى الفراديس منزلا وقرارا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ الحديث في سيرة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وما سطّروه من عظمة. لَهُوَ واجبٌ في هذا العصر. الذي نعيش فيه اضطرابَ الموازين. ومولاةَ الكفّار. والوقوعَ في الصحابة الأبرار مِنْ قِبَلِ أهل البدع والرفض والفجّار. وبالوقوف على أخبارهم تحيا القلوب. وبالإقتداء بآثارهم تكون السعادة. وكم تزداد الحاجة إلى ذلك في زمنٍ شُغِلَ فيه الناس. وأُشْغِلوا بتوافه الأخبار عن السابقين أو اللاحقين. مِمَّن لم ينالوا من تلك الفضائل فتيلا ولا قطميرًا. فرضي الله تعالى عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرضاهم، أيّها المسلمون. هذه مُقتَطَفات من سِيرَة نجمٍ من نجوم الصحابة. وعَلَمٍ من أعلام هذه الأُمَّة، وبَطَلٍ من أبطالها، صحابي جَلِيل. اشتُهِر بالفطنة والدهاء والذكاء والفقه. شَهِد له النبي صلى الله عليه وسلم بالإيمان في أكثر من مرّة. وشهد له بالصلاح. هذا الصحابي الجليل الذي افترى عليه الإعلام. وافترى عليه المؤرّخون بالكذب. هو الرجل الصالح الذي أسلم على يديه الكثير. إنّه سيّدنا عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي. رضي الله عنه وأرضاه. وُلِد قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع وأربعين عاما. وهو أحد فرسان قريش وأبطالها، أذكى رجال العرب، وأشدّهم دهاءً وحيلة، كان رضي الله عنه في صدر حياته من أعداء الدعوة الإسلامية. ولعلّ موقفه من الصحابة المهاجرين إلى الحبشة، حين أرسلته قريش لردّهم. من أبرز مواقفه ضدّ المسلمين في جاهليته؛ رضي الله عنه. أسلم سيّدنا

عمرو بن العاص قبل فتح مكة بستّة أشهر. هو وسيّدنا خالد بن الوليد، وحاجب الكعبة سيّدنا عثمان بن طلحة ، ففرح النبيّ صلى الله عليه وسلم بقدومهم وإسلامهم. رضي الله عنهم. وكان سبب إسلامه أنّه كان كثير التردّد على الحبشة، وكان صديقًا لملكها النجاشي، فقال له النجاشي ذات مرّة: يا عمرو، كيف يعزب عنك أمر ابن عمّك؟ فوالله إنّه لرسول الله حقًّا. ويحك يا عمرو. أطعني واتّبعه. فإنّه والله لعلى الحقّ. وليظهرنّ على مَنْ خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنودِه، قلتُ: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام. فخرج سيّدنا عمرو من الحبشة قاصدًا المدينة المنوّرة، وكان ذلك في شهر صفر سنة ثمان من الهجرة، وقد تجاوز الخمسين من عمره. فقابله في الطريق خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة، وكانا في طريقهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فساروا جميعًا إلى المدينة، وأسلموا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه. وفي إسلام سيّدنا عمرو بن العاص على يد النجاشي لطيفة هي أنّ صحابيّا أسلم على يد تابعيّ. قال رضي الله عنه: عندما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: أُبسط يمينك لأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، فقال: مالك يا عمرو؟ قلت: أردت أن أشترط، قال: تشترط بماذا؟ قلت: أن يغفر الله لي، قال: أما علمت أنّ الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأنّ الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأنّ الحج يهدم ما كان قبله؟ وما كان أحد أحبّ إليّ من رسول الله. ولا أجلّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت، لأنّني لم أكن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو متّ على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنّة. أيّها المسلمون. ولما أسلم رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرّبه ويدنيه لمعرفته وشجاعته، وولاَّه غزوة ذات السلاسل، وأمدّه بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح، ثم استعمله على عُمَان فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أميرها، وقد شارك سيّدنا عمرو بن العاص في خلافة الصّدّيق رضي الله عنه في حروب الرّدّة. وأبلى فيها بلاءً حسنًا. ثمّ قام بتوليته أميراً على واحد من الجيوش الأربعة التي اتّجهت إلى بلاد الشام لفتحها، فانطلق سيّدنا عمرو بن العاص إلى فلسطين على رأس ثلاثة ألاف مجاهد، ثم وصله مدد آخر فأصبح عداد جيشه سبعة آلاف، وشارك في معركة اليرموك مع باقي الجيوش الإسلامية وذلك عقب وصول سيّدنا خالد بن الوليد من العراق بعد أن تغلّب على جيوش الفرس، وبناء على اقتراح سيّدنا خالد بن الوليد تمّ توحيد الجيوش معاً على أن يتولّى كل قائد قيادة الجيش يوماً من أيام المعركة، وبالفعل تمكّنت الجيوش المسلمة من هزيمة جيش الروم في معركة اليرموك تحت قيادة خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص وأبي عبيدة بن الجراح وغيرهم. وتمّ فتح بلاد الشام، ثم انتقل بعد ذلك عمرو بن العاص إلى فلسطين وتمّ على يديه فتح مدنها. وفي عهد الفاروق سيّدنا

عمر بن الخطاب رضي الله عنه تولّى عمرو بن العاص إمارة فلسطين، وكان سيّدنا عمر يحبّه ويعرف له قدره وذكاءه، فكان يقول عنه: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميرًا. وكان سيّدنا عمرو بن العاص يتمنّى أن يفتح الله على يديه مصر، فظلّ يحدّث سيّدنا عمر بن الخطاب عنها، حتى أقنعه، فأمَّره الفاروق قائدًا على جيش المسلمين لفتح مصر وتحريرها من أيدي الروم، فسار عمرو بالجيش واستطاع بعد كفاح طويل أن يفتحها، ويحرّر أهلها من ظلم الرومان وطغيانهم، ويدعوهم إلى دين الله عزّ وجلّ، فدخل المصريّون في دين الله أفواجًا. وكان رضي الله عنه يقول لهم: يا أهل مصر لقد أخبرنا نبيّنا صلى الله عليه وسلم أنّ الله سيفتح علينا مصر وأوصانا بأهلها خيرا، حيث قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: ستُفْتَح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا، فإنّ لهم ذمّة ورَحِمًا. وأصبح سيّدنا عمرو بن العاص واليًّا على مصر بعد فتحها، فأنشأ مدينة الفسطاط، وبنى المسجد الجامع الذي يعرف حتى الآن باسم جامع عمرو، وكان شعب مصر يحبّه حبًّا شديدًا، وينعم في ظلّه بالعدل والحرية ورغد العيش، وكان عمرو يحبّ المصريّين ويعرف لهم قدرهم، وظلّ رضي الله عنه واليًّا على مصر حتى عزله عنها الخليفة الراشد سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي خلافة سيّدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما عاد سيّدنا عمرو بن العاص إلى مصر مرة ثانية، وظلّ أميرًا عليها حتى توفي بها. ولما حضرته الوفاة قال: اللهم إنّك أمرتني فلم أأتمر، وزجرتني فلم أنزجر. ووضع يده في موضع الغل وقال: اللهم لا قوي فأنتصر، ولا بريء فأعتذر، ولا مستكبر بل مستغفر، لا إله إلا أنت. فلم يزل يردِّدها حتى خرجت روحه إلى بارئها. رضي الله عنه وأرضاه. وذلك يوم عيد الفطر، وقد بلغ أربعًا وتسعين سنة، وصلّى عليه إبنه عبد الله، ودُفن بالمقطم سنة ثلاث وأربعين للهجرة، أيّها المسلمون. فمناقبه رضي الله عنه كثيرة. وفضائله وفيرة. وكفاه تزكية المعصوم. نبيّنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم. الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحْيٌ يُوحَى. فقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإيمان. فقد روى الترمذي والإمام أحمد والسيوطي وأبو يعلى عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص)). وروى الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه والطبراني في معجمه الكبير عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: ((إبنا العاص مؤمنان. هشام وعمرو)). وفي الحديث منقبة عظيمة لسيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه، إذ شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بأنّه مؤمن، فإنّ هذا يستلزم الشهادة له بالجنّة، لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المشهور الذي رواه الترمذي: ((لا يدخل الجنّة إلا نفس مؤمنة)). وقال تعالى في سورة النساء: ((وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا)). كما شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاح. فقد روى الإمام أحمد في المسند، و ابن حبان في صحيحه، و البغوي في شرح السنّة، والطبراني في الكبير والأوسط، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان. عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ فَأَمَرَنِي أَنْ آخُذَ عَلَيَّ ثِيَابِي وَسِلاحِي، ثُمَّ آتِيَهُ، قَالَ: فَفَعَلْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَصَعَّدَ فِيَّ النَّظَرَ، ثُمَّ طَأْطَأَ، ثُمَّ قَالَ: ((يَا عَمْرُو، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ، فَيُغْنِمُكَ اللَّهُ وَيُسْلِمُكَ، وَأَرْغَبُ لَكَ رَغْبَةً صَالِحَةً مِنَ الْمَالِ))، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَمْ أُسْلِمْ رَغْبَةً فِي الْمَالِ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الإِسْلامِ، وَأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِي: ((يَا عَمْرُو نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ)). وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((عمرو بن العاص من صالحي قريش)). رواه الترمذي واللفظ له ورواه أحمد في المسند، والسيوطي في الجامع الصغير، والبزّار في مسنده، وأبو يعلى. وزادى فيه عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يقول: لا أخبركم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء إلا أنّي سمعته يقول: ((عمرو بن العاص من صالحي قريش، ونعم أهل البيت أبو عبد الله وأمّ عبد الله، وعبد الله)). وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا أنّه من أهل الخير. وروى الحاكم في مستدركه والإمام أحمد في مسنده عن علقمة بن رمثة رضي الله عنه: ((أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص إلى البحرَيْن، فخرج رسول الله في سرية، وخرجنا معه، فنعس، وقال: يرحم الله عمرًا. فتذاكرنا كل مَنْ اسمه عمرو. قال: فنعس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: رحم الله عمرًا. ثم نعس الثالثة، فاستيقظ، فقال: رحم الله عمرًا. قلنا: يا رسول الله، مَنْ عمرو هذا؟ قال: عمرو بن العاص. قلنا: وما شأنه؟ قال: كنتُ إذا ندبت الناس إلى الصدقة، جاء فأجزل منها، فأقول: يا عمرو! أنّى لك هذا؟ فقال: مِنْ عند الله، قال: وصدق عمرو; إنّ له عند الله خيرا كثيرا)). أيّها المسلمون. هذه شهادات نبوية نضعها في نحور الكذّابين والمفترين والمبغضين للصحابة رضي الله عنهم عموما. ولسيّدنا عمرو بن العاص خصوصا. وإنّ هذا ليكفي لكل صاحب عقل وقلب سليم. وصاحب سنّة يقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحترم ويجلّ هذا الصحابي الجليل. والرجل الصالح سيّدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وأرضاه. نسأل اللهَ أن يُلحقنا به في الصّالحين، وأن يجعلَنا مِمَّن طَوَوْا قلوبَهم على محبّةِ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتّرضّي عنهم أجميعن. اللهم إنّا نسألك أن تجمعنا بهم في دار كرامتك. واجعلنا مِمَّن قلتَ فيهم: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءوف رَحِيمٌ)).

بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ

21- الرَّوْض المِعطار في ذِكر فضائل سادتنا الأنصار وما لهم من مناقب وآثار رضي الله عنهم وعن مَن على نهجهم سار

الحمد لله الذي نظر بعين اصطفائه إلى البلدان. فخصّ المدينة المنوّرة بأن جعلها دار الإيمان. وفضّلها بهجرة وسكنى نبيّه صلّى الله عليه وسلّم على كل مكان. وشرّف أهلها بنُصرة دينه. فحازوا لقب الأنصار على مرّ الزمان. ووعدهم بالسعادة التي ختم بها لأوليائه. مع المُنْعَم عليهم من النبيئين والصّدّيقين في فراديس الجِنان. فقال عزّ وجلّ في سورة التوبة: ((وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا)). فسبحانه من إله عمّر سرائر مَنِ اصطفاهم بأسرار المحبّة المحمّدية. وجبل أخلاقهم على خدمة سيادته الأحمدية. فطاروا بجناح الشوق ليشاهدوا جمال طلعته البهيّة. ويتنعّموا في محاسن شمائله النبويّة. ويشربوا من كأس مودّته المصطفوية. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. رضي الإسلام لنا ديناً، وبعث رسولَ الهدى والحق يهدينا، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وألَّفَ بين القلوب وبسط لها أشرعة الحب والوئام، وأشرق في الأفقِ نُورُ الأنْصَارِ بِالإِيثَارِ، بعد أن كانوا أوساً وخزرجاً، ونجّاهم الله من الأخطارِ بعد أن ساروا فيها لُجَجاً، فأضْحَواْ سادةَ الدُّنْيَا بالإيمان، فَلَهُمُ البُشْرَى والمجد إلى آخر الأزمان. وأشهَدُ أَنَّ سيّدَنا مُحمّداً عَبدُهُ ورَسولُهُ، وصفيّه مِنْ خَلْقه وخليله. أطلعه الله في سماء الكمالات سراجا لامعا. وخُصَّ بالمقام المحمود. فكان للأوّلين والآخِرين شافعا. وأيّده بأصحابٍ كانوا بعد النبيئين أفضلَ أهلِ الأرض طُولا وعُرْضا. وجعل محبّتهم ومودّتهم على جميع الأنام فَرْضا. وحَكَم بالخَيْبة والشقاء لِمَنْ أبدى لهم بُغْضا. وجعل مَنْ يحبّهم ويعظِّمهم لأنواع الفضائل جامعا. إخواني: مَن أراد منكم تيسير أمره وتفريج كربه. فليكثر من الصلاة على هذا النبيّ الكريم من صميم قلبه. وارفعوا أصواتكم بها محبّة فيه. فإنّها ترضي الله وترضيه. اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الذي مِنْهُ انْشَقَّتِ الْأَسْرَارُ، وَانْفَلَقَتِ الْأَنْوَارُ، وعلى آله السادة الأطهار. النجباء الأخيار. وصحابته الباذلين في محبّته النفوس والأعمار. من المهاجرين والأنصار. صلاة تجعلنا بها مِمَّنْ مننتَ عليهم برؤيته وشرّفتهم بمحبّته في هذه الدار وفي تلك الدار. وملأت قلوبهم بأنوار الأذكار. وتهب لنا بها درجة عالية في دار القرار. بين أوليائك المحبّين وأصفيائك الأخيار. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. أمّا بعد: فيا أيّها المسلمون. ها نحن نعيش في

شهر محرّم. ولا زلنا نتذكّر أحداث الهجرة النبوية الشريفة، التي يقف عندها المسلم كل عام يستخلص منها العبر والعظات. فيزيده ذلك إيمانًا ويقينًا بعظمة هذا الدين. فهي حدث ضخم تغيّر به وجه الأرض. وفي هذا اللقاء يطيب لنا أنْ نقطفَ زهرةً شذيَّةً من عبيرِ المجتمع الأوّل، الذي كوَّنَهُ سيّدنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم. وغذَّاهُ برحيق الإيمانِ الطَّاهِرِ، فأَطَلَّتْ على الدُّنْيَا لأوَّلِ مرَّةٍ هذه النخبةُ الكريمةُ الأصِيلةُ من جواهر الأخوَّةِ، التي ليسَ لها مثيلٌ في التاريخ العامّ للبشريةِ كلِّها، وشَرُفَتْ دنيا الناس بمطلع نُور سادتنا الأنصار. فلولا وجود الأنصار ما كانت الهجرة لتتمّ، ولولا مواقف الأنصار ما كانت الهجرة لتؤتي أكُلها، وإنّ دعوة الإسلام ما كانت لتعلو لولا راية الأنصار، وما كانت لتخفق لولا جهاد الأنصار، ولذلك فإنّ من حقّ الأنصار إذا ذُكرت الهجرة النبوية أن يُذكروا، وإذا رفعنا ذِكر الهجرة أنْ نرفع ذِكر الأنصار. رضي الله عنهم. وهم قومٌ لهم أعلى مكانةٍ في السابقين، والمجاهدين، والصالحين، والذَّاكرين، والمواسين، والمُؤْثِرين، والمنفقين، ولم يكن لهم في قاموس المعاني من الأنانية، والكَدِّ، والصَّدِّ، والإلجاء، والجُبْنِ، والبُخْلِ، والاستغْلال، والجحود، وخفر العهود؛ أدنى نصيبٍ من المعنى حتى طاولوا منازلَ الملائكَة الكرام حُبًّا ووفاءً ومَرْحَمَةً وبِرًّا، هُمْ وإخوتهم من المهاجرين. رضي الله عنهم أجمعين. حتى أنّ الله تعالى مدح مواقفهم العظيمة في سورة الحشر فقال: ((وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). ولفضلهم ومكانتهم أورد الإمام البخاري رحمه الله بابًا خاصًّا بهم سمّاه: باب مناقب الأنصار، ذكر فيه مجموعة من الأحاديث الشريفة في فضائلهم رضي الله عنهم، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ)). وقال أيضًا: ((آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ)). أيّها المسلمون. روى البخاري في صحيحه عن غَيْلان بن جرير قال: قلت لأنس: أرأيتَ اسم الأنصار!؟ كُنْتُمْ تُسَمَّوْنَ بِهِ أَمْ سَمَّاكُمْ اللَّهُ؟! قَالَ: بَلْ سَمَّانَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. ثم قال غَيْلان: كنّا ندخل على أنس فيحدّثنا بمناقب الأنصار ومشاهدهم، ويُقْبِل عليّ أو على رجل من الأزد. وأزد اسم لأبي الأنصار. فيقول: فعل قومك يوم كذا وكذا. كذا وكذا. أي أنّ أنسًا رضي الله عنه كان يقصّ على الناس مآثر الأنصار في المغازي وفي نصرة الإسلام. ولعلّ في خطبتنا هذه عن الأنصار اقتداءً بأنس رضي الله عنه في صنيعه هذا؛ إذ يُذكّر التابعين والصحابة الباقين بمآثر الأنصار الخالدة إلى يوم الدين. فالأنصار اسم إسلامي، اسم رباني، لم يسمّهم به سلطان هالك ولا زعيم بائد، ولا شيخ قبيلة فانٍ، إنّما الذي سمّى الأنصار بهذا الاسم هو الله العظيم العلي القدير، سمّاهم به من فوق

سبع سموات طباق، وسَام شرفٍ من رفيع الدرجات سبحانه ليرفع به ذِكرهم إلى يوم الدين، وسَامٌ لا تدانيه أَوْسمة الدنيا الأرضية كلها؛ لأنّها وأصحابها زائلون. والحديث عن الأنصار مترعٌ بمعاني الحمدِ الخُلُقِيَّةِ والإيمانية، التي لا يعقلها إلا العالمون. ونحن نحتاج جِدَّ الأمر إلى الحديث عنهم، والسماعِ لأخبارهم العذبة في وقتٍ صار فيه الهوى والمصلحة هما الحاكمَيْن في كثيرٍ جدًّا من مواقفنا ورُؤانا، نَحتاج إليهم بلا اختيارٍ؛ لأنَّهم هم الذين ضربوا أروعَ الأمثلة في إنكار الذات والافتداء. حديثهم راحةُ النفوس الكليلة، وذِكراهم تَجلو القلوبَ العليلة، ولا يَجد المؤمن الصادق سلوى الفؤاد المنكود بتربّص الباغين، وندرة القدوات، وقلّة المناصرين والمؤازرين للمؤمنين، إلاَّ بتتبُّع سيَرهم، ومعرفة شيء من أحوالهم؛ حتى يُكْمِلَ المسِيرَ أبناءُ هذا الجيل فيما بينهم على مَعْلمٍ وقدوةٍ. كما قال تعالى في سورة الأنعام: ((أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)). أيّها المسلمون. أتعلمون ماذا كان اسم الأنصار ومَن هم الأنصار؟! إنّهم قبيلة الأَوْس وقبيلة الخزرج. والأَوْس يُنسبون إلى أَوْس بن حارثة، والخزرج يُنسبون إلى الخزرج بن حارثة، وهما ابنا قَيْلة، وقَيْلة اسم لأمّهم التي تجمعهم، ولكن اسم الأنصار كان هو الأخلد والأبقى والأحب والأشرف إليهم من اسم الأَوْس والخزرج. وهل محبّتنا للأنصار أمر مباح أم واجب؟! هل هو شأن خاص بنا؟! هل هو أمر هامشي في حياتنا؟! هل محبّتنا لهم يمكن أن ترفعنا؟! ففي صحيح البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((الأنصار لا يحبّهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبّهم أحبّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله))، فحبّك للأنصار شهادة قطعية من رسول الله صلى الله عليه وسلم على صِدق إيمانك، وأكثر من ذلك أنّ حبك للأنصار ضمانة لك بأنّ الله يحبك أيّها المؤمن، تأمّل معي: ((فمن أحبهم أحبه الله)). وفي المقابل تأمّل معنى قوله صلى الله عليه وسلم: ((ولا يبغضهم إلا منافق))، حُكم صارم من نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافّة. أنّ من يبغض الأنصار فهو منافق، نعم، ((الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن))، وحب الأنصار لم ينقطع بموتهم، بل حبّ الأنصار باقٍ ما بقي مؤمن على وجه الأرض، باق ما أبقى الله الإسلام والقرآن، فهم ليسوا تاريخًا وانطمس، ولا صفحات في كتاب واحترقت، ولا عابري سبيل قد مضوا، فكما لم ينقطع حبّنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانتقاله للرفيق الأعلى، كذلك لم ولن ينقطع حب المؤمنين الصادقين للأنصار، فهم قوم لا يحبهم إلا مؤمن، كيف لا، وهم سموا بالأنصار لأنهم نصروا الدين حينما نفر عنه الناس، ولأنهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما تجهّمه البعيد وخذله القريب، أيّها المسلمون. متى بدأت رحلة الأنصار في نصرة الإسلام؟! بدأت رحلة الأنصار في نصرة دين الله هناك في مكة، منذ بيعة العقبة الأولى والثانية، فقد التقى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواسم حج

العرب كما في سيرة ابن هشام وغيره، فدعاهم إلى الله تعالى ورغّبهم بالإسلام، ثم خاطبهم قائلاً لهم: ((أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم)). فبماذا ردّ عليه الأنصار؟! قالوا له: نعم، فوالذي بعثك بالحق نبيًّا لنمنعنّك مما نمنع منه أزُرَنا أي نساءنا، فبايِعنا يا رسول الله، فنحن أبناء الحروب وأهل الحَلَقة أي السلاح، ورثناها كابرًا عن كابر. كلمات لا تصدر إلا من رجال صادقين، راغبين في نصرة دين الله. ثم قال قائل من الأنصار: يا رسول الله. إنّ بيننا وبين اليهود حبالاً، وإنّا قاطعوها، فهل عسِيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟! فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بل الدم بالدم، والهدم بالهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم)). إنه وفاء الدعاة الصادقين، وحملة الدين الجادّين. وفي ظل هذه البيعة النادرة، والصفقة الرابحة لنصرة دين الله، يقوم رجل آخر من الأنصار، فيخاطب قومه قائلاً لهم: يا معشر الخزرج. هل تدورن عَلاَمَ تبايعون هذا الرجل؟! قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نَهَكَتْ أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن. قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفّينا بذلك؟! قال: ((الجنة))، قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه. ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة المنورة، استقبلهم الأنصار خير استقبال وأطيبه، وآووهم أحسن إيواء وأجمله، لم يكن استقبالهم لهم بالشعارات البرّاقة ولا بالهتافات المزيّفة ولا باللافتات المزوّرة، ولا بالابتسامات المتكلّفة ولا بالأشعار المصطنعة، بل كان استقبالهم لهم استقبال الرجال الأوفياء، استقبال المؤمنين الأجلاّء، الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجنة وعلى النصرة، فآووهم، واقتسموا معهم المال والأرض والسكن والفراش والزوجات والبساتين، وآخى الرسول بينهم وبين المهاجرين، فكانوا نِعْم الإخوة. وقد آخى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بينهم في دار أنس بن مالكٍ رضي الله عنه وكانوا ستين رجلاً، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار. آخى بينهم على المواساة، ويتوارثون بعد الموت دون ذَوي الأرحام إلى وقعة بدر، فأنزل الله تعالى: ((وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ)). أيّها المسلمون. يقول الصحابة: أنّ ما من مهاجر دخل المدينة، إلا بالقرعة من كثرة تكالب الأنصار على من يأتي من المهاجرين. كل منهم يريد أن يضيّفه هو، فكانوا يدخلون بالقرعة. بل انظروا إلى الإيثار إلى أيّ درجة وصل عند الأنصار؟؟ هذا سيدنا سعد بن الربيع الأنصاري نزل عليه سيدنا عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين، قال له يا أخي: هذه أموالي أجمعها لك أقسّمها بيني وبينك، هذا نصفي وهذا نصفك، وهذه هي الأراضي التي أمتلكها أقسّمها بيني وبينك، وهذا هو بيتي، وإني متزوّج بامرأتين آتي لك بهما

حتى ترى أيّها تحب لأطلّقها لك وتتزوّجها بعد أن تفي عدّتها، فقال عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تِجارة؟! قال: سوق بني قينقاع، فغدا إليه عبد الرحمن، فأتى بأقطٍ وسمنٍ، ثم تابع الغدو؛ فما لبث أنْ جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((تزوجتَ؟!))، قال: نعم، قال: ((ومن؟!))، قال: امرأة من الأنصار، قال: ((كم سُقْتَ لها؟!))، قال: زنة نواةٍ من ذهب، أو نواة من ذهب، فقال له النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: ((أَوْلِم ولو بشاة)). نعم. كلّ هذا فعلوه لأجل الله، لأجل الإسلام، لأجل الدعوة، لأجل الجنة، لم يفعلوه لأجل دنيا ولا مصالح ولا وجاهة. ((وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)). إنَّهم الأنصار، خيرُ مَن واسى بالنفس والمال؛ قال الله تعالى في معرض المدح: ((وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). بالله عليكم يا مسلمون. هل سمعتم بمثل هذه الأخلاق؟ هل شاهدتم مثل هذا الإيثار؟ هل سمعتم بمثل في دنيا اليوم بمثل استقبال الأنصار للمهاجرين؟ إنه الإيمان والحب والأخوّة الصادقة. إنه الإيثار، خُلُق الإيثار الذي اندثر في زماننا. كم من زوجة وقفت بوجه زوجها ومنعته من الإنفاق في سبيل الله؟ وكم من أولاد منعوا أباهم من أن يجعل له صدقة جارية خوفا من الإقلال؟ وكم من أب شتم ولده لأنه تصدّق في سبيل الله؟ أين هؤلاء من صنيع الأنصار؟! فعلى المسلم أن يعلم أنّ الإيثار رأس كل سعادة وقوام كل خُلُق طيّب. أخرجوا الشح من بيوتكم، ومن جيوبكم. ترزقوا سخاء النفس وتذوقوا حلاوة الإيثار، لذة غريبة كلما أعطيت كأنك أنت الذي أخذت. أيّها المسلمون. سيبقى ذلك المشهد المؤثّر البليغ الذي وفّى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار عهدهم، وجازاهم به أتمّ الجزاء وأكمله، ذلك المشهد الذي عرفت الأمّة كلها فيه إلى يوم الدين مَن هم الأنصار، وما هو قدْر الأنصار عند الله تعالى وعند نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، ذلك المشهد الذي أبكى الأنصار شِيبًا وشبابًا، نساءً وأطفالاً. روى ابن إسحاق عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: ((لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ. وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَوْمَهُ. فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ. قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ. قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي. قَالَ: فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ. قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ. قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ

مِنْ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ. فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ. قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ. أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ. وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ. وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ قَالُوا: بَلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ. قَالَ: أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟ قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ. قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ. أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ. وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ. وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ. وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ. أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ. أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي رِحَالِكُمْ. فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ. وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ. اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ. وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ. وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ. قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ. وَقَالُوا رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا. ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَتَفَرَّقوا)). أيّها المسلمون. إنّ هذا الخطاب النبويّ صدر عفو الخاطر. وتوصّل بأقصر طريق وأوجز كلام إلى مشكلة كبيرة، ولمس القلوب وهزّ أوتارها، وهو خطاب يسيل بمعاني الرّقّة والذوق الرفيع. ومشاعر المحبّة الشديدة للأنصار، وهو يَفيض في الوقت ذاته بدلائل التألّم من أن يُتَّهَم من قِبَلِ أحبّ الناس إليه، إنّها النبوّة التي تأبى إلا الإذعان للحقّ. والإقرار بالفضل لذويه. وقد لامست هذه الرّقّة مشاعر الأنصار. وهزّتها هزّاً، ونفضت منها ما قد عَلِقَ بها من الوساوس والهواجس. فارتفعت أصواتهم بالبكاء فرحاً بنبيّهم. وابتهاجاً بقسمتهم ونصيبهم. فجزاهم الله خيرا عن الإسلام والمسلمين. وقد بالَغَ النبيُّ العظيم صلَّى الله عليه وسلَّم في حُبِّ الأنصار، وجعل ذلك من حُسْنِ الإيمان لكل المؤمنين، روى البخاري في صحيحه عن عن البرّاء بن عازب رضي الله عنه. قال: قال رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((الأنصار لا يُحبّهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمضنْ أحبَّهم أحبَّه الله، ومَنْ أبغضهم أبغضه الله)). وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي لله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ)). وفي الحديث الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه: مرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمْ؟! قَالُوا: ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَّا. أي: جلوسنا معه، وكان ذلك في مرضه صلى الله عليه وسلم، فخافوا أن يموت من مرضه فيفقدوا مجلسه، فبكوا حزنًا على ذلك، فأيّ قوم هؤلاء؟! وأيّ قلب ذلك الذي لا يحبهم؟! فَدَخَلَ العباس رضي الله عنه عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ، فهو في مرض موته، قَالَ: فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: ((أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ؛ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي. أي بطانتي وخاصتي، وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ. أي أدّوا ما عاهدوا عليه من النصرة وغيرها، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ)). وفي الحديث الصحيح عن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَتَقِلُّ الأَنْصَارُ حَتَّى يَكُونُوا كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ أَمْرًا يَضُرُّ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعُهُ فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ)). أيّها المسلمون. هذه نفحات من نفحات الأنصار، وتلكم مشاهد من مشاهدهم، ومآثر من مآثرهم، نستذكرها كلما قرأنا السيرة، ونستشعر حضورهم كلما مررنا بالمدينة المنورة، فحبّنا للأنصار دين وعقيدة وإيمان، اللهم ارزقنا حب الأنصار، وحب ذرية الأنصار، وحب أتباع الأنصار في كل حين وأوان، وموطن ومكان. اللهم إنّنا نشهدك بأنّنا نحبّ سادتنا الأنصار. فلا تحرمنا أن نُحْشَر معهم. يا عزيز يا غفار. اللهم انفعنا بمحبّتهم، وارزقنا بركاتِهم. وأدخلنا مدخلهم. واجمعنا بهم في دار الكرامة. تحت لواء نبيّنا المصطفى المختار. صلى الله عليه وسلم ما تعاقب الليل والنهار. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

22- مجلسُ الأُنْس ومزيلُ البأس حَوْل مناقبِ سيّدِنا سَعْدِ بنِ معاذ سيّدِ الأَوْس

الحمد لله النافذ قضاؤه بما يجري من الأقدار، يُدني ويُبْعِد، ويُشقي ويُسْعِد، ((وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ)). لا مانع لما وهب، ولا معطي لما سلب، هيّأ قلوب أوليائه للإيمان وكتب، فلم يجدوا في جانب طاعته أدنى تعب، وقدّر الشقاء على الأشقياء حين زاغوا فوقعوا في العطب، أعرضوا عنه وكفروا به فأصلاهم نارا ذات لهب، فسبحانه من إله سهّل لعباده المتّقين إلى مرضاته سبيلا، وأوضح لهم طُرُق الهداية وجعل اتّباع الرّسول عليها دليلا. ففتح بصائرهم فأبصروا مواقع الصواب. ووفّق قلوبهم لموافقة أحكام السّنّة والكتاب، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. إختار الإسلام ديناً وارتضاه، فأرسل به سيّدَنا محمّدا صلى الله عليه وسلم واصطفاه، وجعل له أصحاباً فاختار كلاًّ منهم لصحبته واجتباه، وجعلهم كالنجوم بأيّهم اقتدى الإنسان اهتدى إلى الحقّ واقتفاه، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. بعثه بالنور المضيء. والأمر المرضيّ، على حين فترة من الرسل، ودُروس من السبل، فأكمل به الإيمان، ودمغ به الطغيان، واختار له خير العباد أعوانا، قذف في قلوبهم تصديقه ومحبّته، فآمنوا به وعزّروه ووقّروه، وجاهدوا في الله حقّ جهاده، فاستشهد لله منهم مَنِ اِستشهد، على المنهاج

الواضح، والبيع الرابح، وتوفي منهم مَنْ توفي على الحقّ الناصع، والتوحيد الناصح، أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

إخواني: صلّوا على هذا النبيّ الكريم محبّة فيه وإذعانا. وطيّبوا بها مجالسكم سرّا وإعلانا. اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيِّدِنا محمّد. صاحب الزعامة في عرصات القيامة. وعلى آله المخصوصين بالسيادة والإمامة. وصحابته الدّاعين إلى طريق الرُّشْد والسلامة. صلاة تتحفنا بها من بركاته بكل خير وكرامة. وتجعلها لنا بين المحبّين شعارا وعلامة. وتنجينا بها من الفزع الأكبر يوم الحسرة والندامة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ القارئ لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم. وأصحابِه الكرام رضي الله عنهم، ليجد فيها البلسم الشافي. والقدوة الحسنة، لِمَنْ كان يرجو الله واليوم الآخر، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه. بذلوا للدين أرواحهم وأموالهم وأعمارهم. من مهاجرين أجلاّء. هجروا البلاد والرَّحِم. وفرُّوا بدينهم لله ورسوله. وأنصارا كرماء، تبوّؤُوا الدار والإيمان. يحبّون مَنْ هاجر إليهم. ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا. ويؤثرون على أنفسهم. ولو كان بهم خصاصة. كانوا للدِّين حُماة بررة. وللنبي صلى الله عليه وسلم أنصارًا عظماء. حتى كافأهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بخير الهدايا. اللهم ارحم الأنصار. وأبناء الأنصار. وأبناء أبناء الأنصار. أيّها المسلمون. وإنّ من سادة الأنصار الذين نصروا الله ورسوله، شاب صالح. حوى لؤلؤة السيادة، وتملّك زمام القيادة، بهر الناس بشجاعته، وبزَّهم ببيانه، وفاقهم برأيه وحِكْمته. لقد كان من أعظم الناس جَنَانا، وأقومِهم سلطانًا، وأصدقِهم هدًى وإيمانا. تسابقت الملائكة للصلاة عليه. واهتزّ لموته عرشُ الرحمن. ولم يَبْلغ الأربعين من عمره، إنّه الصادق الصدوق. عدوّ اليهود. وسيّد الأوس. الذي في مثل هذا الشهر. أعني شهر ذي القعدة. من السنة الخامسة للهجرة النبوية. نال الشهادة. ولحق بجوار ربّه في أعلى علّيّين. إنّه سيّدنا سعد بن معاذ، رضي الله عنه وأرضاه، أيّها المسلمون. فلنستمع لشيء من أخباره، وَلْنَجْنِ من أزهاره وأعطاره.

أسلم رضي الله عنه قبل هجرة النَّبي صلى الله عليه وسلم بعام تقريباً، أسلم على يد سيّدنا مصعب بن عمير رضي الله عنه، حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل المدينة معلِّما. فلمّا أسلم سيّدنا سعد بن معاذ، وقف على قومه. فقال: يا بني عبد الأشهل. كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيّدنا وأيْمَنَنا نقيبة، فقال: فإنّ كلامكم عليَّ حرام، رجالكم ونساؤكم، حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فما بقي رجل ولا امرأة في دار بني عبد الأشهل إلا وأسلموا، فكان من أكثر الصحابة بركة على قومه رضي الله عنه. لقد كان سيّدنا سعد رضي الله عنه قويّاً ذا عِزّة ومَنَعة في الجاهلية، وزادَه الإسلامُ عِزَّةً ومَنَعَة، جاء في صحيح البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: انْطَلَقَ سَعْدٌ مُعْتَمِرًا. فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ بِمَكَّةَ. وكَانَ صَدِيقًا

له. وَكَانَ أُمَيَّةُ يَنْزِلُ عَلَى سَعْدٍ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَةِ لتجارته بالشام. فَقَالَ لِأُمَيَّةَ: انْظُرْ لِي سَاعَةَ خَلْوَةٍ لَعَلِّيَ أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ. فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ. فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ. فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ فَقَالَ: هَذَا سَعْدٌ. فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا وَقَدْ آوَيْتُمْ الصُّبَاةَ. وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ. أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا. فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ: أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا. لَأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ. طَرِيقَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ. ومتجرك بالشام. فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ فإنّه سَيّد أَهْلِ الْوَادِي. فَقَالَ سَعْدٌ: دَعْنَا عَنْكَ يَا أُمَيَّةُ. فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّهُ قَاتِلُكَ. قَالَ: بِمَكَّةَ؟ ! قَالَ: لَا أَدْرِي. فَفَزِعَ لِذَلِكَ أُمَيَّةُ فَزَعًا شَدِيدًا. وقال: واللهِ ما يكذِب محمّدٌ إذا حدّث. فقتله الله تعالى في بَدْر. أيّها المسلمون. لقد كانت لسيّدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه في الإسلام مواقف عظيمة وخالدة. فمِنْ ذلك: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أراد الخروج لِبَدْرٍ استشار الناس. فتحدّث ساداتنا المهاجرين: أبو بكر وعمر والمقداد بن عمرو. فقالوا خيرًا. فدعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم. ثُمَّ قَالَ: أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ. وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْأَنْصَارَ، عندها قام سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وهو سيّد الأوس. فقال: وَاَللَّهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَجَلْ، قَالَ سَعْدُ: فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ. فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَاَلَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا، إِنَّا لَصُبُرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدُقٌ فِي اللِّقَاءِ. لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. فَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِ سَعْدٍ، وَنَشَّطَهُ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ: سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاَللَّهِ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ. وعندما اِلْتَقَى الجَمْعان في يوم بدر. ظهر حُبُّ سيّدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وخوفُه الشديد عليه. مبيّنًا أهميّة تأمين سلامة القائد والقيادة. روى ابن إسحاق أَنَّ سيّدنا سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا نَبْنِي لَكَ عَرِيشًا تَكُونُ فِيهِ، وَنُعِدُّ عِنْدَكَ رَكَائِبَكَ، ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَعَزَّنَا اللَّهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوِّنَا، كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى، جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِبِكَ، فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا ، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ لَكَ حُبًّا مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِمْ، يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ. فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ. ثُمَّ بُنِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِيشٌ فوق تَلٍّ مُشْرِفٍ على المعركة. فَكَانَ فِيهِ. أيّها المسلمون. وقد تأثّر سيّدنا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه بتربيّة النبي صلى الله عليه وسلم. حيث تبرّأ من المنافقين عندما نزل قولُه تعالى في سورة النساء:

((فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً. وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)). روى الإمام الطبري في تفسيره قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ حِينَ أُنْزِلَتْ ((فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ)). فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ ((فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)). فَقَالَ سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ: فَإِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مِنْ فِئَتِهِ. يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ. رأس المنافقين وكبيرهم. وكان رضي الله عنه سببا في نزول قوله تعالى في سورة البقرة: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)). قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان المسلمون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: راعنا على جهة الطلب والرغبة من المراعاة، أي: التفت إلينا، وكان هذا بلسان اليهود سبًّا، أي: اسمع لا سمعت؛ فاغتنموها وقالوا: كنا نسبّه سرًّا، فالآن نسبُّه جهرًا، فكانوا يخاطبون بها النبي صلى الله عليه وسلم ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ رضي الله عنه وكان يعرف لغتهم. فقال لليهود: عليكم لعنة الله، لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي صلى الله عليه وسلم لأضربَنَّ عنقه. فقالوا: أوَ لستم تقولونها؟ فنزلت الآية الكريمة. ونهوا عنها؛ لئلاَّ تقتدي بها اليهود في اللفظ وتقصد المعنى الفاسد فيه. أيّها المسلمون. وشهد سيّدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه غزوة أُحُد فأبلى بلاءً حسناً. واستمرّ إيمانه في ازدياد. حتى جاءت غزوة الخندق. حيث اجتمعت قريش وغطفان وقبائل أخرى مع يهود المدينة ومنافقيها ضدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. إذ اشتدّ الخَطْب. واضطربت الأنفس. وتُطُوّقت المدينة. كما قال تعالى في سورة الأحزاب: ((وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا)). لكن الله عزّ وجلّ فرّق جموعهم. وأبطل كيدهم. وقذف في قلوبهم الرعب. وأرسل عليهم ريحاً شديدة. ((وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً)). وهناك أُصيب سيّدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم فقطع منه الأكحل وهو عرق في الذراع. لكنّه لم يفقده الأمل، ولا تذرّع بالوجع، بل صنع الطموح في وقت الجراح، وولّد العزيمة أثناء الكروب والشدائد. ففي مسند الإمام أحمد قال سعد رضي الله عنه بعدما أُصيب: (اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا، فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ مِنْ قَوْمٍ آذَوْا رَسُولَكَ وَكَذَّبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْعَلْهَا لِي شَهَادَةً، وَلَا تُمِتْنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ). فاستجاب الله تعالى دعوة سيّدنا سعد. فاستمسك العِرْقُ فما قطرت منه قطرة. وضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد ليعوده من قريب. وجاء الأمر الرباني بالتّوجّه إلى بني قريظة، وتحصّن اليهود داخل

حصونهم، وطال الأمر عليهم. ولم يجدوا بُدّاً من النزول على حُكْم رسول الله صلى الله عليه وسلم. بعد حصار دام خمساً وعشرين ليلة. فكلّم النبيَّ صلى الله عليه وسلم أطرافٌ عدّة يشفعون فيهم، فقال: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا بلى، قال: فذاك إلى سعد بن معاذ. فأرسل إلى سَعْد فجيء به محمولاً على حمار وهو مثْعَب من جُرْحِه، فأقبلوا عليه وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإنّ الرسول صلى الله عليه وسلم إنّما ولاّك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: أُحْكُم يا سعد. ثم قال سعد: عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه. أنّ الحُكْمَ فيهم لِمَا حكمتُ؟! قالوا: نعم، قال: وعلى مَنْ ها هنا. يعنى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وهو مُعْرِض عنه إجلالا له، فقال: نعم، فقال سعدٌ: فإنّي أحكم فيهم بأنْ تُقْتَلَ الرجال. وتقسَّمَ الأموال. وتُسْبى الذراري والنساء، فَسُرَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: ((لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقع)). أي: من فوق سبع سموات. ثم ضُرِبت أعناقهم، وكانوا قُرابة السبعمائة. ((فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ)). وما هي إلاّ ليالٍ معدودة. وهذا السيّد البطل ينتظر الشهادة بسبب جرحه الذي في ذراعه. وكان النبي صلى الله عليه وسلم عنده فقال له: ((جزاك الله خيراً من سيّد قوم. فلقد أنجزتَ ما وعدتّهم. ولَيُنْجِزَنَّكَ الله ما وعدك)). قالت السيّدة عائشة رضي الله عنها: لَمّا انفجر جُرْح سَعْد، عجل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومعه أبو بكر وعمر، فأسنده إلى صدره والدماء تسيل عليه، قالت: والذي نفس محمّد بيده إنّي لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر، وإنّي لفي حُجْرتي، فكانا كما قال الله: ((رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اللهم إنّ سعدًا قد جاهد في سبيلك، وصدّق رسولك، وقضى الذي عليه، فتقبّل روحه بخير ما تقبّلتَ به روحًا)). فلما سمع سعد كلام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فتح عينيه، ثم قال: السلام عليك يا رسول الله، إنّي أَشْهد أنّك رسول الله. أيّها المسلمون. وبعد انفجار جُرْح سيّدنا سعدٍ. وانفتاق عِرْقه. توفي رضي الله عنه وعمره سبعٌ وثلاثون سنةً فقط. في شهر ذي القعدة. من السنة الخامسة للهجرة. فجمع الله له بين الصحبة والشهادة. وصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودُفِن بالبقيع. إنّها واللهِ لمقامات عالية. لا تُنال إلا بالاصطفاء. من خالق الأرض والسماء. بل إنّ سيّدَنا سعدا مِمَّن فاز بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم له بأنّه في الجنّة، ففي الصحيحين عن سيّدنا أنس بن مالك رضي الله عنه: أُهدِيَ للنبي صلى الله عليه وسلم ثوب حرير. فتعجّب الصحابة من لِينِه ونعومة مَلْمَسِه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أتعجبون من لين هذه؟ والذي نفسي بيده لمناديل سعْدٍ بالجنّة، خير من هذا)). ولقد تواتر الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أحمد وابن سعد والحاكم وغيرهم: ((إنّ العرش اهتزّ

لموت سَعْد فرحًا به))، وناهيك به شرفًا وفضلاً. وروى ابن إسحاق عن الحسن البصري رحمه الله، قال: كان سعْدٌ بادِنا، فلمّا حملوه، وجدوا له خِفّة. فقال رجال من المنافقين: والله إنْ كان لَبَادِنًا، وما حملنا أخفّ منه. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((إنّ له حَمَلَة غيركم. والذي نفسي بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد، واهتزّ له العرش)). أيّها المسلمون. إنّ رحيل الأخيار عن الأرض وعن المجتمع المسلم يترك فراغاً مؤَثِّراً في الأمّة. وفراغاً في النفوس، وأَلَماً لِفَقْدِ هؤلاء الذين كانوا في حياتهم مِشْعَلاً يستضيء به الناس، وقُدْوَة يحتذي بها المسلمون، فلذلك فإنّ إحياء ذكراهم، ونَشْر سيرتهم العطرة. من أقلّ الواجبات تِجاههم، وما ننعم فيه اليوم من نعمة الإسلام، فلهم فيه فضل. فرضي الله تعالى عن سيّدنا سعد بن معاذ، وعن الصحابة الكرام. ونسأل الله تعالى أن لا يحرمنا لُقياهم، وأن يجمعنا بهم في دار كرامته. ومستقرّ رحمته. بفضله ومنّته. اللهم إنّا نتقرّب إليك بحبّنا لهؤلاء الأماجد. فاجمعنا اللهم بهم في الفردوس الأعلى. ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا. مع الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصّدّيقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقا. في زمرة نبيّنا سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

23- فضل الله ذو المنّة على سادتنا الأنصار بسكناهم المدينة لسابق علمه لينصروا دينه

الحمد لله يخلُق ما يشاء ويختَار. النافذ قضاؤه بما يجري من الأقدار، اصطفى للشَّرف من شاءَ مِنَ الأخيَار، اختار رسوله سيّدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بعلمه، وائتمنه على وحيه، واختار له خير العباد أعوانا، قذف في قلوبهم تصديقه ومحبّته، فآمنوا به وعزّروه ووقّروه، وجاهدوا في الله حق جهاده، فاستشهد لله منهم من استشهد، على المنهاج الواضح، والبيع الرابح، وتوفي منهم من توفي على الحق الناصع، والتوحيد الناصح، ((أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). فسبحانه من إله اصطفى مَن شاء مِن خلقه. واجتبى مِن الأمم لشرعه وهدايته. مَن سبقت لهم السعادة. الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ. المُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ في كل الأحوال والأحيان. الفائزين بسابقتي النصر والإيواء. أنصار الله وأنصار رسوله صلى الله عليه وسلم. الذين اصطفاهم الله له أصحابا وإخوانا. وجعلهم أنصارا على إظهار دينه وأعوانا. يعبّر عن هذا شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم. المؤيَّد بروح القُدُس. سيّدنا حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه فيقول:

سَمّاهُمْ اللهُ أَنْصَارًا بِنَصْرِهِمُ * دِينَ الْهُدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ تَسْتَعِرُ
وَسَارَعُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْتَرَضُوا * لِلنّائِبَاتِ وَمَا خَافوا وَمَا ضَجِرُوا

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. يُعِزُّ مَنْ أطاعه واتّقاه، وينصره على مَن عاداه، ويقيم به للحقّ دولة. وللدين قَوْمة، وللإسلام صَوْلة، وللقرآن جَوْلة. فَهُمْ خاصّة عباده، وغَرْسُ بلاده، يَصْرِفُ عنهم البلايا، ويخصّهم بالخيرات والعطايا، فهُمْ القائمون بإظهار دينه، والمتمسّكون بسنّة نبيّه، صلى الله عليه وسلم. وأشهَدُ أَنَّ سيّدَنا مُحمّداً عَبدُهُ ورَسولُهُ، وصفيّه مِنْ خَلْقه وخليله. زين المرسلين الأخيار. وقدوة السادة الأبرار. الذي قال في خطبته يوم حُنَيْن في حقّ سادتنا الأنصار: ((الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي. أي بطانتي وخاصتي، أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي رِحَالِكُمْ. فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ. وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ. اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ. وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ. وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ)). فصلّ اللهم وسلِّم وبارك على سيّدنا محمد. الذي لعظيم جاهه وعلوّ مكانته وقُربه. وكمال عنايته وكرامته على ربّه. تشرّفت أُمّته الكريمة المرحومة على سائر الأمم. وعلى آله ينابيع الجود والكرم. وصحابته الطيّبين الأخلاق والشِّيَم. صلاة تنزل بها علينا ببركتهم موائد الخير والنِّعَم. وتدفع بها عنّا بعنايتهم عوارض الآفات والنِّقَم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ لله تعالى خواص. في الأزمنة والأمكنة والأشخاص. يحكم ما يشاء ويختَار. قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى في أحكام القرآن: بَعَثَ اللَّهُ سيدنا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاه اسْمًا شَرِيفًا، وَهُوَ نَبِيٌّ، رَسُولٌ إلَى سَائِرِ أَسْمَائِهِ الكريمة، وَأَعْطَى مَنْ آثَرَ دِينَهُ عَلَى أَهْلِهِ وَمَالِهِ اسْم الْمُهَاجِرِينَ، وَأَعْطَى مَنْ آوَى وَنَصر اسْم الْأَنْصَار، وَعَمَّهُمْ بِاسْمٍ كَرِيمٍ شَرِيفِ الْمَوْضِعِ وَالْمَقْطَعِ، وَهُوَ الصُّحْبة، وَأَعْطَى مَنْ لَمْ يَرَهُ حَظًّا فِي التَّشْرِيفِ بِاسْمٍ عَامٍّ يَدْخُلُونَ بِهِ فِي الْحُرْمَةِ، وَهِيَ الْأُخُوَّةُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وَدَدْتُ أَنِّي رَأَيْت إخْوَانَنَا. قُلْنَا: أَلَسْنَا بِإِخْوَانِك يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدُ)). فَمَنْ دَخَلَ فِي الْهِجْرَةِ أَوْ تَرَسَّمَ بِالنُّصْرَةِ فَقَدْ كَمُلَ لَهُ شَرَفُ الصُّحْبَةِ، وسادتنا الأنصار رضي الله عنهم سبقت لهم من الله تعالى العناية في الأزل. بأن يكونوا أنصارا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم في نشر هذا الدين. حيث تحمّلوا مسئوليّته والدعوة إليه منذ لقاء العقبة الأولى. حين عرض رسول الله صلي الله عليه وسلم نفسه لأهل المدينة. وكانوا ستة نفر. وما مضي عام حتى أنه لا يوجد بيت بالمدينة إلا ودخله الإسلام. قال الله تعالى في سورة الأنعام: ((أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ)). أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن

أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ((فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ)) يعني أهل مكة. يقول: إن يكفروا بالقرآن ((فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ)). يعني أهل المدينة من الأنصار. لأنّ الله عزّ وجلّ أدخل في قلوب الأنصار الإيمان. وخصّهم بالكرامة. وسمّاهم أنصار الله وأنصار رسوله صلي الله عليه وسلم. وأثبت لهم الإيمان الحق. وأعطاهم المغفرة والرزق الكريم والولاية. قال الله تعالى في سورة الأنفال: ((وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيم)). وقال أيضا: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ)). فذكر سبحانه المهاجرين بالجهاد بالمال والنفس. وذكر معهم الأنصار بالإيواء والنصر. ووصف الفريقين معاً بولاية بعضهم لبعض. وأثبت لهم معاً حقيقة الإيمان. ((أُولَائِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً)). أي الصادقون في إيمانهم. فاستوى الأنصار مع المهاجرين في عامل النصرة وفي صِدق الإيمان. وقال سيّدنا حسّان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه في مدح الأنصار:

سَمّاهُمْ اللهُ أَنْصَارًا بِنَصْرِهِمُ * دِينَ الْهُدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ تَسْتَعِرُ

وَسَارَعُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْتَرَضُوا * لِلنّائِبَاتِ وَمَا خَافوا وَمَا ضَجِرُوا

أخرج ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَدْخَلَ قُلُوبَكُمُ الإِيمَانَ، وَخَصَّكُمْ بِالْكَرَامَةِ، وَسَمَّاكُمْ أَنْصَارَ اللَّهِ وَأَنْصَارَ رَسُولِهِ)). صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أيّها المسلمون. ذكر أهل السِّيَرِ والتاريخ: أنّ الأوس والخزرج قدموا المدينة المنوّرة بعد استيطان قبائل اليهود بها. والتي قد اختلفت نيّاتهم في استيطان المدينة. فكان قصْد فريق منهم دينيا بحتا. وهو إدراك النبي الخاتم المبعوث من مكة. وهذه البلدة هي مُهاجَره ليتّبعوه. فإنّ فريقا آخَر منهم إنّما قدموها هربا ممّا حلّ بهم في بلاد الشام. كما أنّ فريقا آخر لم يكن قصْدهم إلا الدنيا فقط. أمّا الأوس والخزرج فقد ساقهم قدرُهم الذي حتّمه الله تعالى عليهم. ليكونوا أنصارَ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأنصارَ دينِه. يروي أهل السِّيَرِ: أنّ تُبَّعًا مَلِك اليمن غزا المدينة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها بثلاثمائة سنة. ولمّا همَّ بدخولها خرج إليه أحبار اليهود وقالوا له: إعلم بأنّك لن تتمكّن من دخولها. لأنّها مُهاجَرُ نبيٍّ يبعثه الله في آخر الزمان. يخرج من هذا الحرم من قريش أي مكة المكرمة. تكون داره وقراره، واسمُه محمدٌ صلى الله عليه وسلم، ووصفوهُ له حسْب ما وردِ في الكتب القديمة. فاستشار مَنْ معه مِنَ العلماء. وكانوا أربعمائة عالِم. هم أجداد الأنصار من الأوس والخزرج، فأقرّوا بذلك. فبقيَ المِلِكُ تُبّع معهم سنةً لعلّه يُدرِكُ خروجَ النبيّ الكريم عليه الصلاة والسلام. وبنى بالمدينةِ أربعمائة دارٍ لكلِ واحدٍ منَ العلماء الذين أرادوا البقاءَ هناك وملّكه له. وبنى لكبيرهم بيتاً مِنْ دَوْرَيْن، وسلّمه له.

وأعطاهم مالاً كثيرا وزوّجَهم، ولما مرَّ العام ولم يظهر النبي صلى الله عليه وسلم، كتبَ كتابًا وختمه بخاتم من ذهب، ودفعه إلى عالمهم الكبير، وأمره أنْ يدفعَ الكتابَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم إنْ أدركه، وإلا فيوصي به أولاده مثل ما أوصاه به، وكذلك الأولادُ حتى يتّصلَ بالنبي صلى الله عليه وسلم. وهو جدُّ سيّدِنا أبي أيّوب الأنصاري رضي الله عنه. وكان في ذلك الكتاب: أمّا بعد، فإنّي آمنتُ بكَ، وبكتابكَ الذي أُنزلَ عليك، وأنا على دينك وسُنَّتِكَ، وآمنتُ بربّك وبكلّ ما جاء من ربّك من شرائع الإيمان والإسلام، فإنْ أدركتكَ فبها ونعمتْ، وإلا فاشفع لي ولا تنسني يومَ القيامة فإنّي من أمّتك الأوّلين، وقد بايعتكَ قبل مجيئكَ، وأنا على ملّتكَ وملّة أبيكَ إبراهيم عليه السلام. ثم ختم الكتاب، ونقش عليه: (لله الأمر من قبلُ ومن بعد). وكتب عنوانه: إلى محمد بن عبد الله ونبي الله ورسوله وخاتم النبيّين، ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم. من تُبَّع الأوّل الحِمْيَريّ. وقال شعرا في النبي صلى الله عليه وسلم:

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّه * رَسُولٌ مِنَ اللهِ بَاري النَّسَمْ
فَلَو مُدَّ عُمْري إلى عُمْرِهِ * لَكُنْتُ نصيرا له وابن عَمْ
وَجَاهَدْتُ بالسَّيفِ أَعْدَاءَهُ * وَفرَّجتُ عَنْ صَدْرِه كُلَّ غَمْ

وروى الإمام أحمد في المسند عن سهل بن سعد رضي الله عنه. أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لَا تَسُبُّوا تُبَّعًا، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ أَسْلَمَ)). وفي تاريخ ابن كثير: أنّه أوّل مَنْ كسا الكعبة. أيّها المسلمون. أمّا الأنصار من الأوس والخزرج ما كانوا يعلمون شيئا عن مكانة المدينة المنورة. إلا ما سمعوه من اليهود. حيث كان اليهود يستفتحون عليهم برسول الله صلى الله عليه وسلم. وأنّهم سيقتلونهم معه قتْل عاد وإرم. فلمّا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحق الذي يعرفونه كفروا به. قاتلهم الله. ولعنهم على كفرهم. وهذا هو دأب اليهود دائما. وقد ذكر الله تعالى ذلك في سورة البقرة. فقال سبحانه: ((وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)). فقد كانوا عندما تَحْدُثُ بينهم وبين أيّ قبيلة حرْب. يقولون كما قالت السيرة العطرة: (اللهم بحقّ النبي الذي ستبعثه في آخر الزمان انصرنا عليهم) فينصرهم الله تعالى، وهذا معنى الآية ((وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ)). أيْ يطلبون به النّصر فينصرهم الله. فلمّا بعث الله عزّ وجلّ رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم من قريش ولم يكن من بني إسرائيل وهم يعلمون أنّه ليس منهم كفروا به. ((فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)). أيّها المسلمون. هذه سابقية العناية الإلهية بسادتنا الأنصار. رضي الله عنهم. وتخصيص الله لهم من بين جميع المخلوقات بأن يكونوا أنصارا لرسوله صلى الله عليه وسلم. وأنصارا لدينه. ((ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ. وَاللَّهُ ذُو

الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)). وما ننعم فيه اليوم من نعمة الإسلام، فلهم فيه الفضل الأكبر. واليد الطولى. فرضي الله عنهم أجمعين. فحقّ على كل من علم مكان عزّهم وقربهم. أن يتوسّل إلى الله تعالى بهم. ويتقرّب إليه جلّ جلاله بما ينطوي عليه الضمير من حبهم. اللهم إنّا نتقرّب إليك بحبّنا لهؤلاء الأماجد. فاجمعنا اللهم بهم في الفردوس الأعلى. ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا. مع الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصّدّيقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقا. في زمرة نبيّنا سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

24- غايةُ الوُصُول بإدراك السُّؤْل ونَيْل المأمُول من مختصر سيرة سيّدنا عبد الله بن رواحة شاعر الرسول

الحمد لله الذي وَسِع كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً، ورفع بعض خَلْقه على بعض مِنَّةً منه وفضلاً، وإكراماً وإعزازاً، وسهّل لهم إلى مرضاته سبيلا، وأوضح لهم طُرُق الهداية. وجعل اتّباع الرّسول عليها دليلا. فسبحانه من إله له الحجّة البالغة، والحِكَم الباهرة فيما اختار، ومَنِ اصطفى، له التصرّف التّام. لاَ يُسْأَلُ عمّا قضاه من أحكام. كما قال في سورة الأنبياء: ((لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)). وَأَشْهَدُ أَنْ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. رفع قدر السيادة المحمّدية وعظّمها تعظيما. وأخدَم مقامه الشريف بالصحابة الكرام. فنالوا بذلك عزّا وهيبة وتفخيما. وبذلوا أنفسهم في مرضاته. وأنزلوه منزلة الروح من الجسد. فغدا لهم أَبًا وأُمًّا. وكان بهم رؤوفا رحيما. وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. وصفيّه من خلقه وخليله. اختاره بعلمه، وائتمنه على وحيه، واختار له خير العباد أعوانا، مهاجرين وأنصارا. قذف في قلوبهم تصديقه ومحبّته، فآمنوا به وعزّروه ووقّروه، وجاهدوا في الله حقّ جهاده، فاستشهد لله منهم مَنِ اِستشهد، على المنهاج الواضح، والبيع الرابح، وتوفي منهم مَنْ توفي على الحقّ الناصع، والتوحيد الناصح،

يا أمّة المصطفى يا سادة الأُمَمِ * هذا محمّدنا طريقه واضحُ
وبهديه مهما اهتديتم تُفلحوا * وإذا أردتم في الأمور تنجحُوا
صلّوا عليه في كل حين تربَحُوا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمد. عُنْصُرِ شجرة النبوءة التي عَذُبَت في المسامع أحاديثها وأذكارها. وتنافست الرجال في خدمتها. وعلى آله الحائزين شرف السيادة وعظيم مِقْدارها. كما ورد ذلك في صحيح السنّة وأخبارها. وعلى أصحابِه الذين كسّروا جيوش الكُفْر، وفتحوا أرض الشام وقِلاعِها، وهجروا في محبّة داعيهم إلى الله الأوطار والأوطان، ولم يرجعوا إليها بَعْدَ فراقها وَوَدَاعِها، صلاة وسلاما دائمَيْن متلازمَيْن ما دامت السماءُ في سُمُوِّها، والأرضُ في

اتّساعها، ويكونان لنا سببا لدخول الجنّة والتمتّع برياضها. وأعذب أنهارها. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يقول الحقّ تبارك وتعالى في سورة التوبة: ((وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)). قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: يُخْبِر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعدّ لهم من جنّات النعيم، والنعيم المقيم. نَعَمْ. إِنَّهُمُ الْقَوْمُ الذِينَ اخْتَارَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِصُحْبَةِ خَيْرِ رُسُلِهِ. صلى الله عليه وسلم. وَحَمْلِ دِينِهِ. وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ. فَقَامُوا بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الأَكْمَلِ. وَنَشَرُوهَا عَلَى السَّبِيلِ الأَمْثَل. تَكَاثَرَتِ الأَدِلَّةُ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ. وَتَعَدَّدَتْ أَوْجُهُ الإِشَادَةِ بِهِمْ. ضَرَبُوا أَرْوَعَ الأَمْثِلَةِ فِي حُسْنِ الاسْتِجَابَةِ. وَسَابَقُوا غَيْرَهُمْ فِي سُرْعَةِ الإِنَابَةِ. هَجَرُوا الدِّيَارَ وَالأَوْطَانَ. وَتَرَكُوا الأَوْلادَ وَالإِخْوَانَ. وَفَارَقُوا الأَمْوَالَ وَالْخِلّانَ. كُلُّ ذَلِكَ لِيُرْضُوا رَبَّهُمْ. وَلِيَنْصُرُوا نَبِيَّهُمْ. بَايَعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ. وَدَافَعُوا عَنْهُ فِي الْمَوَاقِفِ العُسْرَة. أيّها المسلمون. إِنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جَمَاعَةً وَأَفْرَاداً قَدْ فَاقُوا مَنْ قَبْلَهُمْ وَسَبَقُوا مَنْ بَعْدَهُمْ بِأَحْسَنِ الصِّفَاتِ وَجَمِيلِ الأَفْعَالِ. وهذه وقفة مع سيرة صحابي جليل. عظيم القدر في قومه، سيّدا من ساداتها، وشاعرا من شعرائها الذين كانوا يردّون على أعداء قومهم. في الحروب التي جرت بين الأوس والخزرج في الجاهلية. وكان في الإسلام عظيم القدر والمكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأحد شعرائه الثلاث. إنّه الأميرُ الشاعر، والفارس المِغوار، السَّعِيدُ الشَّهِيدُ، سيّدنا عَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ امْرِئِ القَيْسِ الأَنْصَارِيُّ الخزرجي، الذي في مثل هذا الشهر أعني شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة نال الشهادة في غزوة مؤتة. رضي الله عنه وأرضاه. وُلد سيدنا عبد الله بن رواحة بالمدينة المنوّرة، وعاش بها إلى أن وافته الشهادة في غزوة مؤتة بأرض الشام. أسلم رضي الله عنه مع قومه في بيعة العقبة، وكان أحد النقباء الإثني عشر الذين أعطوا للرسول صلى الله عليه وسلم العهود والمواثيق على السمع والطاعة، وتوفير الحماية والأمن له ولإخوانهم المهاجرين، ونصرة الإسلام والدفاع عنه بالأموال والأنفس. وقد قرّبه عليه الصلاة والسلام، وأصبحت له مكانة متميّزة بين الصاحبة، رضوان الله عليهم، وقد عبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن محبّته له في كثير من المواطن، فقد بعثه في يوم بدر بشيرا إلى أهل العالية. وقال عنه عليه الصلاة والسلام، في بيان عبادته وزهده ومحبّته لذكر الله في المواضع التي يرضى عنها الله ورسوله. ما رواه الإمام أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ. عَنْ أَنَسٍ بن مالك رضي الله عنه قَالَ: كَانَ ابْنُ رَوَاحَةَ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ يَقُولُ: تَعَالَ نُؤْمِنْ سَاعَةً. فَقَالَهُ يَوْماً لِرَجُلٍ، فَغَضِبَ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ!

أَلاَ تَرَى ابْنَ رَوَاحَةَ يَرْغَبُ عَنْ إِيْمَانِكَ إِلَى إِيْمَانِ سَاعَةٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((رَحِمَ اللهُ ابْنَ رَوَاحَةَ، إِنَّهُ يُحِبُّ المَجَالِسَ الَّتِي تَتَبَاهَى بِهَا المَلاَئِكَةُ)). كناية عن مجالس الذكر. يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: أعوذ بالله أن يأتي عليَّ يومٌ لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، كان إذا لقيني مقبلاً ضربَ بين ثدييّ، وإذا لقيني مدبرًا ضربَ بين كتفيّ، ثم يقول: يا عُويمر، إجلس فلنؤمن ساعة. فنجلس فنذكر الله ما شاء، ثم يقول: يا عويمر، هذه مجالس الإيمان. أيّها المسلمون. ولقد كان لتربية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثرٌ واضح وملموس في حياة سيّدِنا عَبْدِ اللهِ بنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه. فإذا أمره سارع ونفّذ، وإذا نهاه عن أمر اجتنبه وتركه؛ فرُوِيَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَبِي لَيْلَى أَنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ رَوَاحَةَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَسَمِعَهُ وَهُوَ يَقُولُ: اجْلِسُوا فَجَلَسَ مَكَانَهُ خَارِجَ المَسْجِدِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: ((زَادَكَ اللهُ حِرْصاً عَلَى طَوَاعِيَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ)). وفي الصحيحين عن أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ فِي اليَوْمِ الحَارِّ مَا فِي القَوْمِ أَحَدٌ صَائِمٌ إِلاَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ. وكان رضي الله عنه شديدَ التقوى والورع، فعَنْ سُلَيْمَانَ بنِ يَسَارٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبْعَثُ ابْنَ رَوَاحَةَ إِلَى خَيْبَرَ، فَيَخْرُصُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَهُودَ. أيْ لِيُقدِّر قيمةَ الخَراج لليهود. فَجَمَعُوا حُلِيّاً مِنْ نِسَائِهِم، فَقَالُوا: هَذَا لَكَ، وَخَفِّفْ عَنَّا. قَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ! وَاللهِ إِنَّكُم لَمِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللهِ إِلَيَّ، وَمَا ذَاكَ بِحَامِلِي عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُم، أيْ أظلمكم. وَالرِّشْوَةُ سُحْتٌ. فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ. أيْ بالعدل والتقوى. أيّها المسلمون. ولَمَّا نَزَلَ قول الله تعالى في سورة الشعراء: ((وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبَعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ)). قَالَ سيّدنا عبد الله ابْنُ رَوَاحَةَ: أَنَا مِنْهُم. وأخذ في البكاء. لأنّه كان شاعرًا يقول الشعر، ويدافع به عن الإسلام والمسلمين، وكان معه حسّان بن ثابت وكعب بن مالك رضي الله عنهما، وهم شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم الثلاثة، فنزل قول الله تعالى: ((إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا)). ففرح رضي الله عنه بذلك، واستمرّ في نصرة الإسلام والمسلمين بشعره وسيفه. فهو الذي جاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم في بدر وأُحُد، وحَفَرَ الخندق مع الصحابة رضي الله عنهم، وبايع بيعة الرضوان، وكان أَحَدُ القُوَّاد الثلاثة في غزوة مؤتة التي استشهد فيها. وفي عمرة القضاء كان رضي الله عنه بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمّا دَخَلَ مَكَّةَ وهو يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ * اليَوْمَ نَضْرِبُكُم عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ * وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ له سيّدنا عُمَرُ بن الخطاب رضي الله عنه: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ! فِي حَرَمِ اللهِ، وَبَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ تَقُولُ الشِّعْرَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((خَلِّ يَا عُمَرُ، فَهُوَ أَسْرَعُ فِيهِم مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ)). وَفِي لَفْظٍ: ((فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَكَلاَمُهُ عَلَيْهِم أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ النَّبْلِ)). وجاء في طبقات فحول الشعراء: ومن أشعاره رضي الله عنه التي استحسنها الرسول صلى الله عليه وسلم غاية الاستحسان، وقد أظهر فيها ابن رواحة إيمان قومه بهذه الدعوة، وقتالهم في سبيل الله لحماية الدين والرسول عليه الصلاة والسلام، لكونهم تفرّسوا فيه الخير، فنصروه بدون تردّد أو تشكيك في أقواله. أو عِداء له مثل ما فعل أصحاب مكة. قوله رضي الله عنه:

يا آلَ هاشِمَ إِنَّ اللهَ فَضَّلَكُمْ * عَلى البَرِيَّةِ فَضلاً ما لَهُ غِيَرُ
إِنّي تَفَرَّسْتُ فيكَ الخَيْرَ أَعرِفُهُ * وَاللهُ يَعلَمُ أَنْ ما خانَني البَصَرُ
وَلَو سَأَلتَ أَوِ اِستَنصَرتَ بَعَضَهُمُ * في جُلِّ أَمْرِكَ ما آوَوْا وَلا نَصَروا
نُجالِدُ الناسَ عَن عُرْضٍ فَنَأسِرُهُمْ * فِينَا النَبِيُّ وَفينا تَنْزِلُ السُّوَرُ
وَقَد عَلِمتُم بِأَنّا لَيسَ يَغلِبُنا * حَيٌّ مِنَ الناسِ إِن عَزُّوا وَإِن كَثُرُوا
أَنتَ النَبِيُّ وَمَنْ يُحْرَمْ شَفاعَتَهُ * يَومَ الحِسابِ فَقَد أَزْرَى بِهِ القَدَرُ
فَثَبَّتَ اللهُ ما آتاكَ مِن حَسَنٍ * تَثبيتَ موسى وَنصْراً كَالَّذي نُصِرُوا

قال رضي الله عنه حينما أنشد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هذه الأبيات: فأقبل عَلَيَّ بوجهه متبسّما، ثم قال: وأنت فثبّتك الله يا ابن رواحة، قال هشام بن عروة رحمه الله: فثبّته الله عزّ وجلّ أحسن الثبات. فقُتِلَ شهيداً. وفُتِحَتْ له أبواب الجنّة فدخلها. رضي الله عنه وأرضاه. أيّها المسلمون. وكما نصر سيّدنا عبد الله بن رواحة الإسلام في ميدان الكلمة والشعر، فقد نصره باقتدارٍ في ميدان الحرب والجهاد. بشجاعته وفروسيّته ففي شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة، أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً لمواجهة الروم. لتأديب العرب الذين قَتَلوا الحارثَ بنَ عُمَيْر الأزدي رضي الله عنه. رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى أمير بُصْرى الشام. وأمّر على هذا الجيش زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، فإن استشهدوا فليرتض المسلمون رجلاً فليجعلوه عليهم. وفيما كان المسلمون يودّعون الجيش، بكى عبد الله بن رواحة، فسأله أحد الصحابة: ما يبكيك؟ فقال ابن رواحة: أَمَا واللهِ ما بي حبّ الدنيا، ولا صبابة بكم، ولكنّي سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية في كتاب الله عزّ وجلّ، يذكر فيها النار. وهو قوله تعالى في سورة مريم: ((وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا)). فلستُ أدري كيف لي بالصدور بعد الورود؟ يعني كيف أَرِدُ النّارَ ثم أغادرها سليماً معافًى؟ هل أنجو من حرّها، ولهيبها، وزمهريرها؟ وقال لهم المسلمون المودِّعون: صحبكم الله، ودفع عنكم، وردّكم إلينا صالحين. فأجابهم سيّدنا عبد الله بن رواحة مبيّناً تطلّعه إلى الشهادة:

لكنّني أسألُ الرحمانَ مغفرةً * وضربةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا
أو طَعْنةً بِيدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً * بِحَرْبةٍ تَنْفُذُ الأَحْشَاءَ والكَبِدَا
حتّى يقولوا إذَا مَرُّوا على جَدَثِي * أَرْشَدَكَ اللهُ مِنْ غَازٍ وقدْ رَشَدَا

ثم سار الجيش، وكان سيّدنا عبد الله بن رواحة يلتفت خَلْفَه، ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُوَدِّعاً، وكأنّه رضي الله عنه أحسّ بأنّه الوداع الأخير، ثم حثّ ناقَتَه على المسير وهو يقول لها:

إذا أَدْنَيْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي * مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِسَاءِ
فَشَأْنُكِ أَنْعُمٌ وَخَلَاكِ ذَمٌّ * وَلَا أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي
وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ وَغَادَرُونِي * بِأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَهِيَ الثَّوَاءِ
وَرَدَّكَ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ * إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعَ الْإِخَاءِ
هُنَالِكَ لَا أُبَالِي طَلْعَ بَعْلٍ * وَلَا نَخْلٍ أَسَافِلُهَا رِوَاءِ

وعندما وصل الجيش إلى أرض الشام، علموا بأنّ جيش الروم مئتا ألف. بينما جيش المسلمين ثلاثة آلاف. فأرادوا أن يتوقّفوا ويرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيُعْلِمُوه. فشجّعهم سيّدنا عبد الله بن رواحة على المضيّ إلى الجهاد. وكان فيما قال رضي الله عنه: يَا قَوْمِ وَاللَّهِ إِنَّ الَّتِي تَكْرَهُونَ لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةُ، وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَد وَلَا قُوَّة وَلَا كَثْرَة، مَا نُقَاتِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ، فَانْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ، إِمَّا ظُهُورٌ، وَإِمَّا شَهَادَةٌ. فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ وَاللَّهِ صَدَقَ ابْنُ رَوَاحَةَ. فَمَضَى النَّاسُ. ولَمَّا دار القتال استشهد سيّدنا زيد بن حارثة وسيّدنا جعفر بن أبي طالب. رضي الله عنهما. فحمل الراية سيّدنا عبد الله بن رواحة وهو يقول:

يَا نَفْسُ إِنْ لَا تُقْتَلِي تَمُوتِي * هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلِيتِ
وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ * إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيتِ

يُرِيدُ صَاحِبَيْهِ زَيْدًا وَجَعْفَرًا، ثم قال رضي الله عنه: يا نفس إلى أيِّ شيء تَتُوقِين؟ إلى فلانة. يعني: امرأته. فهي طالق. وإلى فلان وفلان. يعني: غلمانه. فهم أحرار. وإلى بستان له فهو لله ولرسوله. ثم قال:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّه * طَائِعَةً أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ
فَطَالَمَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّةْ * مَالِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الجَنَّةْ
قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ * هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَّهْ

فاندفع يقاتل ببسالة لا مثيل لها، فطعن فاستقبل الدم بيده فدلك به وجهه وقال: يا معشر المسلمين ذبّوا عن لحم أخيكم، وظلّ يقاتل حتى لقي ربَّه شهيدا. وقد فتحت له باب الجنّة، واستجاب الله لأمنيّته التي طالما انتظرها. رضي الله عنه وأرضاه. ودُفِنَ هناك بمؤتة. جوار صديقيه. رضي الله عنهما. وأخبر الوحي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بما حصل في الغزوة. فحدّث الصحابة بذلك. والمعركة

مازالت تدور. أيّها المسلمون. إنّ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيرة أصحابه رضوان الله عليهم الذين أخلصوا له في حياته وبعد وفاته، لتعدّ النموذج الأمثل الذي ينبغي أن يقتدي به المسلمون في كل زمان ومكان؛ والصحابي الجليل سيّدنا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه مثّل هذه السيرة البيضاء خير تمثيل، فمنذ إسلامه ومبايعته للرسول عليه الصلاة والسلام على السمع والطاعة مع قومه، ظلّ وَفِيًّا لعهده، ولازم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وتأسّى بسيرته العطرة، ودافع عن رسالة الإسلام بالكلمة الصادقة. والجهاد الذي خاضه مع الرسول وأصحابه، فلم يتخلّف عن غزوة غزاها الرسول عليه الصلاة والسلام. ولم يغب عن مشهد تُعْلَى فيه كلمة الله، ويُعَزُّ فيه الإسلام والرسول الصادق الأمين. وكل كلمة قالها في شعره عبّرت عن هذه المواقف الصادقة، والمشاهد النبيلة التي يرضى عنها اللهُ ورسولُه، صلى الله عليه وسلم. وممّا عبّر به عن ذلك قوله رضي الله عنه وأرضاه:

اللَّهُمَّ لَوْلا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا * وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا * وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاقَيْنَا
إِنَّ الكفّار قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا * وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

اللهم يا ذا الجلال والإكرام. نسألك بحرمة حبيبك خير الأنام. سيّدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. وبحرمة آله الكرام. وصحابته العظام. الذين اصطفيتهم لمحبّته. وانتقيتهم لصحبته. وأهّلتهم لنصرته. ومتّعتهم بجميل نظرته. فاهدنا اللهم بهديهم وسيرتهم. واسلك بنا سبيل نهجهم وسنّتهم. وانفعنا بجميع مناقبهم وأخبارهم. وذِكْرِ محاسنهم ومفاخرهم. نفعًا يكون لنا عندك ذخيرة وكَنْزا. ومأمنا من آفات الدنيا وهمومها وحِرْزا. وفي مواقف القيامة نجاةً لنا وفوزا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أَنِ الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

25- إضاءة الظُّلْمة لأهل الهمّة عن بعض مناقب الصّحابيّ الجليل سيّدنا محمّد بن مَسْلَمَة

الحمد لله الذي نظر بعين اصطفائه إلى البلدان. فخصّ المدينة المنوّرة بأن جعلها دار الإيمان. وفضّلها بهجرة وسكنى نبيّه صلّى الله عليه وسلّم على كل مكان. وشرّف أهلها بنُصرة دينه. فحازوا لقب الأنصار على مرّ الزمان. ووعدهم بالسعادة التي ختم بها لأوليائه. مع المُنْعَم عليهم من النبيئين والصّدّيقين في فراديس الجِنان. فقال عزّ وجلّ في سورة التوبة: ((وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا)). فسبحانه من إله هَدَى قُلُوبَ أُنَاسٍ شَرَوُا الآخِرَةَ بِالدُّنْيَا، وَضَلَّ عَنِ هِدَايَتِهِ أَقْوَامٌ خَلَدُوا إِلَى الفَانِيَةِ وَضَيَّعُوا البَاقِيَةَ؛ وصدق سبحانه حيث قال في سورة الكهف: ((مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا)). وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. عمّر سرائر مَنِ اصطفاهم بأسرار المحبّة المحمّدية. وجبل أخلاقهم على خدمة سيادته الأحمدية. فطاروا بجناح الشوق ليشاهدوا جمال طلعته البهيّة. ويتنعّموا في محاسن شمائله النبويّة. ويشربوا من كأس مودّته المصطفوية. وأشهَدُ أَنَّ سيِّدَنا مُحمّداً عَبدُهُ ورَسولُهُ، وصفيّه مِنْ خَلْقه وخليله. اختار له ربّه خيرةَ خَلْقه من الصّحابة، فأقبلت جوارحُهم على طاعة ربّها مستجابة. فقد جاهدوا في الله حقّ جهاده، ونشروا دينه في بلاده وعباده، وباعوا أنفسَهم وأموالَهم من أجل الشهادة. حتى نالوا الحسنى وزيادة، أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

الله شرّف أحمدًا خيرَ الورى * وأناله مُلْكا لديه كبيرا
جُمِعَت له أعلامُ كلِّ فضيلةٍ * فغدا على الرُّسْل الكرام أميرا
وشقّ القلوبَ هدايةً وعناية * وطهارةً ومحبّة وسرورا
صلّوا عليه وأكثروا مِن ذِكْره * لا تَسْئَموا الترجيع والتكثيرا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمّد. خيرِ مَنْ جاد على العُفاة بنواله وتكرَّم. وأحبِّ مَنِ استغفر للمؤمنين والمؤمنات وترحَّم. وعلى آله ينابيع الجود والكرم. وصحابته الطيّبين الأخلاق والشِّيَم. صلاة تنزل بها علينا ببركتهم موائد الخير والنِّعَم. وتدفع بها عنّا بعنايتهم عوارض الآفات والنِّقَم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. قال الله تعالى في سورة الفتح: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)). رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه. بذلوا للدين أرواحهم وأموالهم وأعمارهم. من مهاجرين أجلاّء. هجروا البلاد والرَّحِم. وفرُّوا بدينهم لله ورسوله. وأنصارا كرماء، تبوّؤُوا الدار والإيمان. يحبّون مَنْ هاجر إليهم. ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا. ويؤثرون على أنفسهم. ولو كان بهم خصاصة. كانوا للدِّين حُماة بررة. وللنبي صلى الله عليه وسلم أنصارًا عظماء. حتى كافأهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بخير الهدايا. اللهم ارحم الأنصار. وأبناء الأنصار. وأبناء أبناء الأنصار. أيّها المسلمون.

أولئك أصحابُ النبيّ وحِزْبُه * ولولاهُمُ ما كان في الأرض مُسْلِمُ
ولولاهُمُ كادت تَمِيدُ بأهلِها * ولكنْ رَوَاسِيَهَا وأَوْتَادُهَا هُمُ

ولولاهُمُ كانت ظلاماً بأهلها * ولكنْ هُمُ فيها بُدُورٌ وأنْجُمُ

وبالوقوف على أخبارهم تحيا القلوب. وبالإقتداء بآثارهم تكون السعادة. وكم تزداد الحاجة إلى ذلك في زمنٍ شُغِلَ فيه الناس. وأُشْغِلوا بتوافه الأخبار عن السابقين أو اللاحقين. مِمَّن لم ينالوا من تلك الفضائل فتيلا ولا قطميرًا. وهذه وقفة مع صحابيٍّ جليل. وسيّد من سادات الأنصار. رجل المهامّ الصعبة، وقائد سرايا العمليّات الخاصّة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو المفتّش العام في عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو مَنِ اِعتزل الفتنة الكبرى بعد مقتل سيّدنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه، إنّه سيّدنا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَوْسِيُّ الْأَنْصَارِيُّ. وُلِد قبل البعثة النبوية باثنتين وعشرين سنة، وكان مِمَّن سُمِّي في الجاهلية محمدا، قال القاضي عياض في كتابه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) فِي الْفَصْلُ الثَّالِثَ عَشَرَ: فِي أَسْمَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ فَضِيلَتِهِ: ثُمَّ فِي هَذَيْنِ الِإسْمَيْنِ (مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ) مِنْ عَجَائِبِ خَصَائِصِهِ، وَبَدَائِعِ آيَاتِهِ فَنٌّ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ حَمَى أَنْ يُسَمَّى بِهِمَا أَحَدٌ قَبْلَ زَمَانِهِ. أَمَّا أَحْمَدُ الَّذِي أَتَى فِي الْكُتُبِ، وَبَشَّرَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ فَمَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِحِكْمَتِهِ أَنْ يُسَمَّى بِهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ، وَلَا يُدْعَى بِهِ مَدْعُوٌّ قَبْلَهُ حَتَّى لَا يَدْخُلَ لَبْسٌ عَلَى ضَعِيفِ الْقَلْبِ أَوْ شَكٌّ. وَكَذَلِكَ مُحَمَّدٌ أَيْضًا لَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَلَا غَيْرُهُمْ إِلَى أَنْ شَاعَ قُبَيْلَ وُجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِيلَادِهُ. أَنَّ نَبِيًّا يُبْعَثُ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، فَسَمَّى قَوْمٌ قَلِيلٌ مِنَ الْعَرَبِ أَبْنَاءَهُمْ بِذَلِكَ، رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ هُوَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهُ، وَهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ أُحَيْحَةَ بْنِ الْجُلَاحِ الْأَوْسِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَرَاءٍ الْبَكْرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ مُجَاشِعٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ حُمْرَانَ الْجُعْفِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ خُزَاعِيٍّ السُّلَمِيُّ، لَا سَابِعَ لَهُمْ. ثُمَّ حَمَى اللَّهُ كُلَّ مَنْ تَسَمَّى بِهِ أَنْ يَدَّعِيَ النُّبُوَّةَ أَوْ يَدَّعِيَهَا أَحَدٌ لَهُ، أَوْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ سَبَبٌ يُشَكِّكُ أَحَدًا فِي أَمْرِهِ. حَتَّى تَحَقَّقَتِ السِّمَتَانِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يُنَازَعْ فِيهِمَا. أيّها المسلمون. أَسْلَمَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ في المدينة المنوّرة عَلَى يَدِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَبْلَ إِسْلَامِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رضي الله عنهم أجمعين، وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ، وشهد بدرًا وأُحُدًا. والمشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما عدا غزوة تبوك التي استخلفه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة. وكان له مواقف مشرّفة في غزوة أُحُد، إذ كان يحرس النبي صلى الله عليه وسلم ومعسكر المسلمين. فقد ولاّه النبي صلى الله عليه وسلم الحرس، فكان يطوف حول العسكر وفي العسكر، في خمسين رجلا. وكان فيمن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حين ولّى الناس. وجُرح النبي صلى الله عليه وسلم وقد عطش عطشًا شديدًا، فكان أوّل مَن سقاه الماء محمد بن مسلمة رضي الله عنه. حيث ذهب إلى قناة حتى استقى، فأتى بماء عذْب فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعا له بخير. وفي غزوة

يهود بني قينقاع تولّى رضي الله عنه إخراج اليهود من المدينة. وجمع الغنائم والأموال والأسلحة التي خلّفوها وراءهم. ويبدو أنّه أبلى فيها بلاء حسنا فكرّمه النبي صلى الله عليه وسلم ووهب له درعا من دروعهم. ومن أشهر مواقفه رضي الله عنه ما كان منه في قتل عدوّ الله كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ اليهودي. وكان كعب هذا شاعرًا يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويهجو الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ويحرّض عليهم الكفّار. ففي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا (أيْ يقول كلامًا في حق النبي صلى الله عليه وسلم) قَالَ: قُلْ. فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ. قَالَ: وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلُّنَّهُ. قَالَ: إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ، فَقَالَ: نَعَمِ ارْهَنُونِي. قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ قَالَ: ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ. قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ فَيُقَالُ: رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا؛ وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ. يعني السلاح. فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنْ الرَّضَاعَةِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ. فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ. قَالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ قَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ. قَالَ: وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ. فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا أَيْ أَطْيَبَ. قَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ، فَقَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ قَالَ: دُونَكُمْ، فَقَتَلُوهُ. ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ)). وكان ذلك في الرابع عشر من شهر ربيع الأوّل للعام الثالث من الهجرة النبوية. ولمّا بيّت يهود بني النضير الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم. بعث إليهم محمد بن مسلمة برسالة يبلغها لسادتهم: ((قد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بي. أخرجوا من بلادي، لا تساكنوني فيها، فقد أجّلتكم عشراً، فمَن رُئي بعد ذلك ضربتُ عنقه)). فلم يجدوا جواباً يردّون به سوى أن قالوا لمحمد بن مسلمة: يا محمد ما كنّا نظنّ أنْ يجيئنا بهذا رجل من الأوس. وذلك أنّ الأوس كانوا حلفاء بني النضير. فقال لهم: تغيّرت القلوب ومحا الإسلام العهود. ثم وَلِيَ رضي الله عنه إخراجهم كما وَلِيَ قبض أموالهم وسلاحهم. فأثبت محمد بن مسلمة أنّ ولاءه

للإسلام وحده لا لأعداء الإسلام حتى ولو كانوا من حلفائه المقرّبين إلى قومه، ولمّا خرج رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم إلى عمرة القضاء، فانتهى إلى ذي الحُليفة قدّم الخيل أمامه. وهي مائة فرس واستعمل عليها محمّد بن مسلمة، ولمّا دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وطاف بالكعبة. كان محمد بن مسلمة رضي الله عنه هو الذي يمسك بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. بعد فشل الأحزاب، ورحيلهم عن حصار المدينة المنوّرة، رفع النبي صلى الله عليه وسلم شعار (الآن نغزوهم ولا يغزونا)، فوجّه السرايا الإسلامية لعقاب الذين شاركوا في حصار المسلمين، وكانت أُولى هذه الحملات هي سريّة محمد بن مسلمة رضي الله عنه إلى منطقة تعرف بالقُرْطَاء على بُعد أكثر من ثلاثمائة كيلومتر من المدينة المنوّرة، وكانت هذه السريّة موجَّهة إلى بطن بني بكر بن كلاب وكانت من قبائل نجد التي اشتركت في حصار المدينة في غزوة الأحزاب، وكانت السريّة تضمّ ثلاثين فارسا، وقد ألقى الله عزّ وجلّ الرعب في قلوب بني بكر، ففرّوا وتفرّقوا في الصحراء، وقُتِل منهم عشرة، وساق ابن مسلمة وسريّته عددا كبيرا من الإبل والشّاء. بلغ مائة وخمسين من الإبل، وثلاثة آلاف من الشّاء، وزادت هيبة المسلمين، وارتفعت معنويّاتهم. ولم تكن هذه السريّة أُولى السرايا التي قادها محمد بن مسلمة، ولا كانت آخرها، فقد بعثه النبيّ صلى الله عليه وسلم على رأس خمس عشرة سريّة، وكان ابن مسلمة يفخر بذلك ويقول: يا بني. سلوني عن مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإنّي لم أتخلّف عنه في غزوة قط، إلاّ واحدة في تبوك خلّفني على المدينة، وسلوني عن سراياه صلى الله عليه وسلم فإنّه ليس منها سريّة تخفى عليّ، إمّا أن أكون فيها، أو أن أعلمها حين خرجت. لقد عاش سيّدنا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رضي الله عنه قويّا في الحقّ. ثابتا عند الملمّات، شجاعا لا يخشى في الحقّ لومة لائم، وقد سأله سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمّا تولّى الخلافة فَقَالَ له: يَا مُحَمَّدُ، كَيْفَ تَرَانِي؟ قَالَ: أَرَاكَ كَمَا أُحِبُّ، وَكَمَا يُحِبُّ مَنْ يُحِبُّ لَكَ الْخَيْرَ، قَوِيًّا عَلَى جَمْعِ الْمَالِ، عَفِيفًا عَنْهُ، عَدْلًا فِي قَسْمِهِ، وَلَوْ مِلْتَ عَدَلْنَاكَ كَمَا يُعْدَلُ السَّهْمُ فِي الثِّقَافِ. قَالَ عُمَرُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي جَعَلَنِي فِي قَوْمٍ إِذَا مِلْتُ عَدَلُونِي. ومن أشهر مواقفه كذلك مع الفاروق سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي استعان به في متابعة الولاّة، ومحاسبتهم، والتأكّد من الشكاوَى التي تأتي ضدّهم، فكان موقع محمد بن مسلمة كالمفتّش العام في دولة الخلافة. ويروى في ذلك كثير من الروايات منها أنّ عمر رضي الله عنه علم أنّ سعد بن أبي وقاص وكان واليه على العراق، بنى قصرا له في الكوفة، وبلغ عمر أنّ سعدا لمّا سمع أصوات الناس من الأسواق قال: سكّنوا عنّي الصويت أيْ النداء، وجعل على القصر بابا، فبعث عمرُ محمدَ بنَ مسلمة إلى الكوفة، يقول الراوي: وكان عمر إذا أحبّ أن يؤتى بالأمر كما يريد بعثه، وكانت مهمّته محدَّدة حسب

أوامر أمير المؤمنين: أنْ يحرق باب القصر ثم يرجع، فلمّا قدم أخرج زنده، وأورى ناره، وابتاع حطبا بدرهم، وقيل لسعد إنّ رجلا فعل كذا، وكذا، ولما وصفوه له عرفه. وقال: ذاك محمد بن مسلمة، فخرج إليه، فقال محمد: إنّه بلغ أمير المؤمنين عنك أنّك قلت: انْقَطَعَ الصُّوَيْتُ، فحلف سَعْدُ بالله ما قال ذلك، فقال: نؤدّي عنك الذي تقوله. ونفعل ما أمرنا به أمير المؤمنين، فَقَدَحَ، وَأَحْرَقَ الْبَابَ، وأقبل سعد يعرض على ابن مسلمة أن يزوّده، فأبى ثم ركب راحلته يريد المدينة، فوصلها، ولم تستغرق رحلته منها إلى الكوفة ذهابا وإيّابا غير تسع عشرة يوما وليلة، قدم بعدها على عمر فقال له: لولا حُسْن الظّنّ بك لرأينا أنّك لم تؤدّ عنّا، أيْ من قِصَرِ المدّة وسرعة الأداء. فقال محمد: بلى قد فعلت، وهو أرسل يقرؤك السلام، ويعتذر، ويحلف بالله ما قاله، فصدّقه عمر. أيّها المسلمون. وممّا أكرم الله به سيّدنا محمد بن مسلمة رؤيته لأمين الوحي سيّدنا جبريل عليه السلام. فعنه رضي الله عنه قَالَ: ((مَرَرْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا، وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى يَدِ رَجُلٍ، فَذَهَبْتُ. فَقَالَ: مَا مَنْعَكَ أَنْ تُسَلِّمَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلْتَ بِهَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا مَا فَعَلْتَهُ بِأَحَدٍ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَقْطَعَ عَلَيْكَ حَدِيثَكَ، مَنْ كَانَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، وَقَالَ لِي: هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ لَمْ يُسَلِّمْ، أَمَّا إِنَّهُ لَوْ سَلَّمَ رَدَدْنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ. قُلْتُ: فَمَا قَالَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا زَالَ يُوصِينِي بِالْجَارِ ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ يَأْمُرُنِي فَأُوَرِّثُهُ)). وكان رضي الله عنه ممّن اعتزل الفتنة الكبرى التي قامت بعد مقتل سيّدنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه، فعَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمان رضي الله عنه، قَالَ: ((مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَأَنَا أَخَافُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا تَضُرُّهُ الْفِتْنَةُ)). فلم يحضر موقعة الجمل ولا صِفّين، بل أخذ سيفه، وذهب إلى صخرة قويّة، وأخذ يضرب السيف على الصخرة حتى كسّر السيف، واتّخذ لنفسه سيفًا من خشب، وذهب إلى الرَّبَذَةِ وبنى لنفسه بيتًا صغيرًا جلس فيه، فقال له أصحابه: لماذا فعلت ذلك يا محمد؟ فأجابهم قائلا: ((أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفًا، وقال لي: يا محمد بن مسلمة، جاهد بهذا السيف في سبيل الله، حتى إذا رأيت أمّتي يضرب بعضهم بعضًا، فائت به أُحُدًا أي: جبل أُحُد فاضرب به حتى ينكسر، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منيّة قاضيّة. يعنى الموت))، وقد فعلت ما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وظلّ على وصيّة حبيبه صلى الله عليه وسلم فاعتزل الفتن، وأقام بِالرَّبَذَةِ حتى اقتحم عليه المنزل شقيّ من أهل الأردن فقتله، وذلك سنة ثلاث وأربعين للهجرة، عن عمر يناهز سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً. وخَلَّفَ مِنَ الْوَلَدِ عَشَرَةَ بَنِينَ; وَسِتَّ بَنَاتٍ، وصلّى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ أمير على المدينة، وصلّى عليه معه بقيّة الصحابة وصالحو التابعين. ودُفِن إلى جانب أبي ذرّ الغفاري بِالرَّبَذَةِ. رحمه الله ورضي عنه وأرضاه، وبعث فينا أخلاقه

وفضائله، ووفّقنا إلى الإقتداء به في صِدْقه وجهاده وولايته للإسلام وأهله. وَاحشرنَا معَه تحتَ لِوَاءِ حَبِيبِه سيّدنا محمّدٍ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في جنّات ونهر، في مقعد صِدْق عند مليك مقتدِر، اللهمّ إن عجزت أعمالنا الصالحة أن ننال بها مرضاتك. فبلّغنا اللهمّ بحبّنا لصحابة نبيّك وآل بيته وأزواجه جنّاتك، واجعلنا ممّن دخل في حصنهم الحصين وظلّهم الظليل. واكتسب بمحبّتهم والثناء عليهم العمل المتقبَّل والثواب الجزيل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

26- محادثة ذوي البصائر والتّمييز بالقول الوجيز عن بعض مناقب أمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سيّدنا عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

الحمد لله الذي قدّم مَنْ شاء بفضله. وأخّر من شاء بعدله. لا يَعْترض عليه ذو عقْل بعقله. ولا يسأله مخلوق عن علّة فعله. فسبحانه من إله أَكْرَمَ بِالإِسْلاَمِ أَوْلِيَاءَهُ. وَشَرَّفَ بِالإِيمَانِ أَصْفِيَاءَهُ. وَأَقَامَ بِالْمِيزَانِ وَالْعَدْلِ أَرْضَهُ وَسَمَاءَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، شرع القدوة بالمهتَدين، وجعل في هذه الأمّة جموعاً من الأخيار والصالحين، والزّهّاد والمتعبّدين، من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وأَشْهَدُ أَنَّ سيدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وصفيّه من خلقه وخليله. أَقْوَمُ الخَلْقِ سِيرةً، وأَنْقاهُم بَاطِناً وسَرِيرَةً، قَامَ خَيْرَ الْقِيَامِ بِأَدَاءِ رِسَالَتِهِ، وَنَصَحَ فَأَخْلَصَ النُّصْحَ لأُمَّتِهِ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ،

يا أمّة المصطفى الهادي إلى الرَّشَدِ * والمرتجين ثوابَ الواحدِ الصمدِ
إنْ شئتُمُ أنْ تنالوا أعظمَ المددِ * من الإله وتنجوا في شفاعته
صلّوا على المصطفى يا أهل ملّته

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. منبع الشرف والسيادة. وعلى آله ينابيع العلوم والإفادة. وصحابته ذوي العزّ والمجادة. صلاة تكتبنا بها في جوار أهل الفوز والسعادة. وتجعلنا بها ممّن ختمت لهم بالإيمان وكَلِمَتَيِّ الشهادة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. ما أحوجنا دائمًا إلى معرفة سِيَر سلفِنا الصالح. أعلامِ الهدى. ومصابيحِ الدجى. الذين جمعوا بين العلم والعمل، وامتلأت قلوب المسلمين بحبّهم، وشُغِلَتْ ألسنتُهُم بالثناء عليهم وذِكْرِهِم؛ وذلك لزهدهم وورعهم وخشيتهم لربّهم عزّ وجلّ. وعلوّ هِمَمِهم في طلب العلم النافع. والعمل الصالح، حتى نكون على منوال الكرام، لنتبوّأ منازل الخير والإنعام. قال تعالى في سورة الأحزاب: ((مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)). وَكَلامُنا في هذه الجمعة المباركة إن شاء الله تعالى عن رَجُلٍ مِنْ هؤلاءِ الرِّجالِ. حَسَنِ الخَلْق

والخُلُقِ، عن رجل قضى نحبه، وطوى أيّامه، ولكنّه لم يُطْوَ ذِكْرُه الحسن، وسيرتُه العطرة.

دقّاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ له * إنّ الحياة دقائقُ وثواني

فارفع لنفسك بعد موتِك ذِكْرَها * فالذِّكْرُ للإنسان عُمْرٌ ثاني

عن رجل مَلأَتْ مَحَبَّتُهُ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ. وَشَهِدَ لَهُ بِالْخَيْرِيَّةِ وَالصَّلاَحِ حَتَّى غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ. طَلَبَ الْعِلْمَ فِي صِبَاهُ فَقَادَهُ إِلَى الْخَشْيَةِ وَالنَّقَاءِ. وَكَانَ بِهِ وَرِيثَ الأَنْبِيَاءِ. تَوَلَّى إِمْرَةَ الْمَدِينَةِ المنوّرة. فَكَانَ لَهَا نِعْمَ الأَمِيرُ. ثُمَّ تَوَلَّى الْخِلاَفَةَ فَفَرِحَ بِهِ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ. ملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلِئت ظلمًا وجُورًا، وغيّر وجه الأرض في سنتَيْن وخمسة أشهر، قضى بعد ذلك نحبه. ولقي ربّه، عُدَّ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ مِنَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ. وَالعُلَمَاءِ العامِلينَ، وَهُوَ أَوَّلُ مُجَدِّدٍ كَانَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ على رأس المائة الأولى، أقبلت عليه الدنيا بِخَيْلِها ورَجْلِها فأعرض عنها رغبةً في النعيم المقيم. والْمُلْكِ العظيم. في جوار ربّ العالمين، إِنَّهُ الْعَالِمُ الرَّاشِدُ. وَالْخَلِيفَةُ الزَّاهِدُ. أَشَجُّ بَنِي أُمَيَّةَ وَنَجِيبُهُا. إنّه أمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سيّدنا عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ابْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ الْقُرَشِيُّ. رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، ورضي عنه وأرضاه. الذي في مثل هذا الشهر أعني في التاسع من شهر محرّم سنة إحدى وستّين للهجرة. كانت ولادته بالمدينة المنوّرة، وقيل ولد سنة ثلاث وستّين للهجرة. وهي السنة التي توفّيت فيها أمّ المؤمنين السيّدة ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. لنعيش وإيَّاكم مع بعض من مواقف هذا الرجل الذي ضرب فيها أروعَ الأمثلة في العدل ورَفْعِ الظلم عن الناس، وفي الزهد والوَرَع والخوف من الله، وكم نحن اليوم بحاجة إلى سماع مثل هذه الأخبار؛ لعلَّها تكون دافعًا لنا إلى التغيير. لقد روت لنا كتب التاريخ والسِّيَر أنّ فاروق هذه الأمة سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد حرّم في خلافته خلط اللبن بالماء، وفي ليلة من الليالي المظلمة الشاتية الممطرة والناس نيام، ولكن أنّى للنوم أن يعشى عمر! خرج سيّدنا عمر بن الخطاب يتفقّد أحوال الرعية، وأمام بيتٍ من بيوت الناس سمع حواراً جميلاً جذّاباً بين أمٍّ وفتاتها التقيّة النقيّة الزاهدة الورعة. الأمّ تقول لفتاتها: هيّا يا بنيّتي أسرعي وامزجي اللبن بالماء قبل أن يطلع علينا الصباح! والبنت التقيّة تجيب أمّها وتقول: يا أمّاه! ألم ينه أمير المؤمنين عمر عن مزج اللبن بالماء؟! فتقول الأمّ لفتاتها: يا بنيّتي! إنّ الناس يمزجون، وما يدري أمير المؤمنين بنا الآن؟ فتردّ الفتاة الورعة التقيّة وتقول لأمّها: يا أمّاه! إن كان أمير المؤمنين لا يرانا، فربّ أمير المؤمنين يرانا! واغرورقت عَيْنَا عمر بدموع الغبطة والسرور والفرح، وأطلق ساقيه للريح يجري إلى داره، يا عاصم ! مَنْ عاصم هذا؟ إنّه عاصم بن عمر، يا ولدي! اذهب إلى هذا البيت الفلاني وتزوّج بهذه الفتاة الورعة التقية، فإنّي واللهِ أرجو اللهَ أن يخرج منها فارساً يقود العرب

والمسلمين! إنّها عبقرية فاروق الأمّة رضي الله عنه وأرضاه. ويستجيب الولد لرغبة أبيه، ويتزوّج عاصم بن عمر رضي الله عنهما بهذه الفتاة المراقبة لله جلّ وعلا، وتنجب له هذه الفتاة فتاةً أَسْمَوْها ليلى. وكَنَّوْها بأمّ عاصم، فتزوّجت أمّ عاصم هذه رجلاً من خيار بني أميّة يقال له عبد العزيز بن مروان، فولدت لعبد العزيز هذا الشاب التّقي النّقي. الزاهد العابد الورع. سيّدنا عمر بن عبد العزيز، إنّها ذريّة كريمة بعضها من بعض، فهذا الشبل من ذاك الأسد! فالفاروق رضي الله عنه جدّه من جهة أمّه. ورث منه كثيرًا من شمائله الشّمّاء، ومناقبه الغرّاء. ومن إيثار الحق. ومناصرة العدل. والعفة والورع والتقوى. ويُذكَر أنّ سيّدنا عمر بن الخطاب رأى ذات ليلة رؤيا، فقال: ليت شعري مَن ذو الشَّيْنِ مِن ولدي الذي يملؤها عدلاً كما ملئت جورًا؟! وكان يقول: إنّ من ولدي رجلاً بوجهه أثر يملأ الأرض عدلاً. أمّا والده فهو عبد العزيز بن مروان بن الحكم، وكان من خيار أمراء بني أميّة، شجاعًا كريمًا، بقي أميرًا لمصر أكثر من عشرين سنة، وكان من تمام ورعه وصلاحه أنّه لمّا أراد الزوّاج قال لقَيِّمِه: اجمع لي أربعمائة دينار من طِيبِ مالي؛ فإنّي أريد أن أتزوّج إلى أهل بيت لهم صلاح. فتزوّج ليلى أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وهي حفيدة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، كما أنّ زواجه من آل الخطاب ما كان ليتمّ لولا عِلْمُهم بحاله. وحُسْن سيرته وخُلُقه، فقد كان حَسَن السيرة في شبابه. فضلاً عن التزامه وحرصه على تحصيل العلم. واهتمامه بالحديث النبوي الشريف، فقد جلس إلى أبي هريرة وغيرِه من الصحابة وسمع منهم، وقد واصل اهتمامه بالحديث بعد ولايته مصر، فطلب مِنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّة في الشام أن يبعث إليه ما يسمعه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما كان من طريق أبي هريرة فإنّه عنده. أيّها المسلمون. كان سيّدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يُلَقَّبُ بالأشجّ، وكان يقال له: أشجّ بني مروان، وذلك أنّه لمّا كان صغيرًا دخل إلى إصطبل أبيه عندما كان واليًا على مصر ليرى الخيل، فضربه فرس في وجهه فشجّه. فجعل أبوه يمسح الدمّ عنه ويقول: إنْ كنتَ أشجّ بني أميّة إنّك إذًا لسعيد. ولمّا رأى أخوه الأصبغ الأثر قال: الله أكبر! هذا أشجّ بني مروان الذي يملك، كلاهما تفاءلا لعلّه أن يكون ذلك الأشجّ الذي يملأ الأرض عدلاً. كان رضي الله عنه يأتي سيّدنا عبد الله بن عمر وهو بعد غلام صغير لقرابة أمّه منه، ثم يرجع إلى أمّه فيقول: يا أمّاه، فأنا أحبّ أن أكون مثل خالي. يريد عبد الله بن عمر. فتؤفِّف به وتقول له: أُغرب، أنت تكون مثل خالك! وتكرّر عليه ذلك غير مرّة، فلمّا كبر سار أبوه عبد العزيز بن مروان إلى مصر أميرًا عليها. ثم كتب إلى زوجته أمّ عاصم أن تَقْدُم عليه بولدها، فأتت عمّها عبد الله بن عمر فأعلمته بكتاب زوجها إليها، فقال لها: يا ابنة أخي. هو زوجك فالحقي به، فلمّا أرادت الخروج قال لها: خلّفي هذا الغلام عندنا. يريد عمر بن عبد العزيز. فإنّه أشبهكم

بنا، فخلّفته عنده ولم تخالفه. فلمّا قدمت على عبد العزيز أخبرته بخبر ابنه عمر، فسُرّ بذلك. وكتب إلى أخيه عبد الملك بن مروان يخبره بأمره، فكتب عبد الملك أن يُجْدَى عليه ألف دينار في كل شهر. ثم قدم عمر على أبيه بعد ذلك فأقام عنده ما شاء الله. وهكذا تربّى سيّدنا عمر بن عبد العزيز بين أخواله بالمدينة المنوّرة من أسرة جدّه الفاروق سيّدنا عمر بن عبد الخطاب، ولا شكّ أنّه تأثّر بهم وبمجتمع الصحابة هناك. فكان للإقامة بالمدينة المنوّرة آثارٌ نفسيّة، ومعانٍ إيمانيّة. وتعلّق روحي، وكان لذلك المجتمع أثره في صياغة شخصيّة سيّدنا عمر بن عبد العزيز العلمية والتربوية. فقد كان عدد من الصحابة رضي الله عنهم ما زالوا بالمدينة، فقد حدّث عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والسائب بن يزيد، وسهل بن سعد، واستوهب منه قَدَحًا شرب منه النبيّ صلى الله عليه وسلم. وحدّث عن أنس بن مالك، فقال عنه: ما رأيت أحدًا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى. أيّها المسلمون. إِنَّ لِتَرْبِيَةِ الْوَالِدَيْنِ تَأْثِيراً بَالِغاً لاَ يُنْكَرُ. فَقَدْ بَعَثَ بِهِ أَبُوهُ مِنْ مِصْرَ دَارِ الإِمَارَةِ. حَيْثُ كَانَ أَمِيراً عَلَيْهَا. بَعَثَ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ المنوّرة دَارِ الْهِجْرَةِ وَالْعِلْمِ. بَعَثَهُ إِلَيْهَا لِيَنْهَلَ مِنَ الْعِلْمِ الشَّامِخِ. وَيَتَأَدَّبَ بِأَدَبِ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ. فَقَدِ اشْتَهَرَ عُمَرُ عَلَى صِغَرِ سِنِّهِ بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ. وَلِلْعِلْمِ نُورٌ وَبَرَكَةٌ لاَ تُجْهَلُ. كَتَبَ أَبُوهُ إِلَى صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ليكون مربيًّا لابنه عمر ويَتَعَاهَدهُ ويرعاه، وَكَانَ صَالِح يُلْزِمُ عمر بِالصَّلَوَاتِ المفروضة في المسجد. فَأَبْطَأَ يَوْماً عَنِ الصَّلاَةِ. فَقَالَ له: مَا حَبَسَكَ؟ قَالَ: كَانَتْ مُرَجِّلَتِي أَيْ مُسَرِّحة شعري. تُسَكِّنُ شَعْرِي. فَقَالَ: بَلَغَ مِنْ تَسْكِينِ شَعْرِكَ أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى الصَّلاَةِ؟! وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى وَالِدِهِ. فَأَرْسَلَ رَسُولاً إِلَيْهِ. فَمَا كَلَّمَهُ حَتَّى حَلَقَ شَعْرَهُ. وكان سيّدنا عمر حريصًا على التّشبّه برسول الله صلى الله عليه وسلم أشدّ الحرص. فكان يتمّ الركوع والسجود، ويخفّف القيام، والقعود. وفي رواية صحيحة أنّه كان يسبّح في الركوع والسجود عشرًا عشرًا، وتربّى وتعلّم رضي الله عنه على أيدي كثير من العلماء والفقهاء، وقد بلغ عدد شيوخه ثلاثة وثلاثين، ثمانية منهم من الصحابة، وخمسة وعشرون من التابعين؛ فقد نهل من علمهم، وتأدّب بأدبهم. ولازم مجالسهم حتى ظهرت آثار هذه التربية في أخلاقه وتصرّفاته، فامتاز بصلابة الشخصية، والجدّية والحزم في معالجة الأمور، وإمعان الفكر وإدامة النظر في القرآن، والإرادة القوية والترفّع عن الهزل والمزاح. قَالَ عَنْهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رحمه الله: إذا رأيتَ الرّجل يحبّ عمر بن عبد العزيز، ويذكرُ محاسنه وينشرها، فاعلم أنّ من وراء ذلك خيراً إن شاء الله. وقال الحافظ ابن حجر في كتابه (فتح الباري شرح صحيح البخاري) عند شرح قوله صلى الله عليه وسلّم: ((إنّ الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنةٍ من يجدّد لها دينها)). قال: لا يلزم أنّ جميع خصال الخير كُلِّها في شخص واحد، إلا أن يُدّعى ذلك في عمر بن عبد العزيز، فإنّه القائم بالأمر على رأس المائة الأولى.

باتّصافه بجميع صفات الخير. وتقدّمه فيها، ومن ثَمَّ أطلق الإمام أحمد أنّهم كانوا يحملون الحديث عليه. أهـ. وَقَالَ عَنْهُ الإِمَامُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رحمه الله: مَا وَرَدَ عَلَيْنَا قَطُّ كِتَابُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلاَّ بِإِحْيَاءِ سُنَّةٍ. أَوْ إِمَاتَةِ بِدْعَةٍ. أَوْ رَدِّ مَظْلَمَةٍ، وَقَالَ عَنْهُ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ: وَكَانَ إِمَاماً فَقِيهاً مُجْتَهِداً عَارِفاً بِالسُّنَنِ. كَبِيرَ الشَّأْنِ. ثَبْتاً حُجَّةً حَافِظاً، قَانِتاً للهِ، أَوَّاهاً مُنِيباً. يُعَدُّ فِي حُسْنِ السِّيرَةِ وَالْقِيَامِ بِالْقِسْطِ مَعَ جَدِّهِ لأُمِّهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. وَفِي الزُّهْدِ مَعَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ. وَفِي الْعِلْمِ مَعَ الزُّهْرِيِّ. أيّها المسلمون. وفي ربيع الأوّل سنة سبع وثمانين للهجرة وَلِيَ عُمَرُ بن عبد العزيز المدينة المنوّرة. فسار سيرة حسنة، وعرف للعلماء حقّهم وفضلهم. فأولاهم ما هم أهله من الإكبار والإجلال، وكَانَ رضي الله عنه وَزِيرَ صِدْقٍ. يَعِظُ الْخَلِيفَةَ وَيُبْكِيهِ. وَيُحَبِّبُ إِلَيْهِ الرَّعِيَّةَ وَيَهْدِيهِ. فَفِي إِحْدَى السَّنَوَاتِ حَجَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ. الْخَلِيفَةُ آنَذَاكَ. فَرَأَى الْخَلاَئِقَ بِالْمَوْقِفِ. فَقَالَ لِوَزِيرِهِ عُمَرَ: أَمَا تَرَى هَذَا الْخَلْقَ الَّذِي لاَ يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلاَّ اللهُ؟ فَقَالَ عُمَرُ: هُؤلاَءِ الْيَوْمَ رَعِيَّتُكَ، وَهُمْ غَداً خُصَمَاؤُكَ. فَبَكَى الْخَلِيفَةُ بُكَاءً شَدِيداً. وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُسْتَشَارُونَ. وَكَذَلِكَ يَكُونُ الْوُزَرَاءُ النَّاصِحُونَ. وفي سنة تسع وتسعين للهجرة وَلِيَ رضي الله عنه الْخِلاَفَةَ بعد ابن عمّه سليمان بن عبد الملك بن مروان. فقد استخلفه وأخذ له البيعة بالخلافة. لِمَا توسّمه فيه من الصلاح والتقوى. والميل إلى العدل. فوَلِيَها رضي الله عنه وَهُوَ لَهَا كَارِهٌ. فاسْتَعَانَ بِاللهِ فَأَعَانَهُ. وَإِذَا نَظَرَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى الْمَسْؤُولِيَّةِ وَرَآهَا مَغْنَماً. فَقَدْ رَآهَا الْخَلِيفَةُ عُمَرُ عد العزز مَغْرَماً. وَمَسْؤُولِيَّةً وَهَمّاً. وَطَالَمَا بَكَى وَحُقَّ لَهُ الْبُكَاءُ لِعِظَمِ الْحَمَالَةِ الَّتِي يَحْمِلُهَا، وَهَذِهِ زَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ تَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ وَهُوَ فِي مُصَلاَّهُ. يَدُهُ عَلَى خَدِّهِ، سَائِلَةً دُمُوعُهُ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلِشَيْءٍ حَدَثَ؟ قَالَ: يَا فَاطِمَةُ إِنِّي تَقَلَّدْتُ أَمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلّم فَتَفَكَّرْتُ فِي الْفَقِيرِ الْجَائِعِ، وَالْمَرِيضِ الضَّائِعِ، وَالْعَارِي الْمَجْهُودِ، وَالْمَظْلُومِ الْمَقْهُورِ، وَالْغَرِيبِ الْمَأْسُورِ، وَالْكَبِيرِ وَذِي الْعِيَالِ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ، فَعَلِمْتُ أَنَّ رَبِّي سَيَسْأَلُنِي عَنْهُمْ، وَأَنَّ خَصْمَهُمْ دُونَهُمْ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلّم فَخَشِيتُ أَلاَّ تَثْبُتَ لِي حُجَّةٌ عِنْدَ خُصُومَتِهِ، فَرَحِمْتُ نَفْسِي فَبَكَيْتُ. وفي زَمَنِ خِلافَتِهِ كَانَتِ الغَنَمُ وَالذِّئَابُ تَرعَى في مَكَانٍ وَاحِدٍ، فَلَقَدْ جَاءَ في كِتَابِ حِلْيَةِ الأَوْلِيَاءِ لأبي نُعَيم. أَنَّ رَجُلاً قَالَ: كُنْتُ أَحْلبُ الغَنَمَ في خِلافَةِ عُمَرَ بنِ عبدِ العَزِيزِ فَمَرَرْتُ بِرَاعٍ وفي غَنَمِهِ نَحْوٌ مِنْ ثَلاثِينَ ذئبًا. فَحَسِبْتُها كِلابًا. وَلَمْ أَكُنْ رَأَيْتُ الذِّئَابَ قَبْلَ ذلكَ. فَقُلْتُ: يَا رَاعِي مَا تَرْجُو بِهذِهِ الكِلابِ كُلِّهَا؟ فَقَالَ: يا بُنَيَّ إِنَّها لَيْسَتْ كِلابًا إِنَّمَا هِيَ ذِئَابٌ. فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ ذِئْبٌ في غَنَمٍ لا تَضُرُّها؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِذَا صَلَحَ الرَّأْسُ فَلَيْسَ عَلَى الجَسَدِ بَأْسٌ. وممّا يروى عن مالك بن دينار رضي الله عنه في عدل عمر بن عبد العزيز أنّه قال: لمّا وُلِيَ عمر بن عبد العزيز رحمه الله قالت رعاة الشاة في ذروة الجبل: مَن هذا الخليفة الصالح الذي قد قام على الناس؟ قيل لهم: وما أعلمكم بذلك؟

قالوا: إنّا إذا قام على الناس خليفة صالح كُفَّت الذئاب والأُسْد عن شياهنا. أيّها المسلمون. وممّا تجدر الإشارة إليه والتنويه به هو أنّه رضي الله عنه سنّ في الإسلام سنّة حسنة وافقه عليها العلماء، لأنّها كانت من جملة البدع الحسنة التي توافق الشرع ولا تخالفه، وهي تجويفه المحراب في المساجد، فهو أوّل من عمل المحراب، وهو أوّل من منع مَسَبَّة الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه على المنابر. وأمر أن يُقرأ مكان السّبّ قول الله تعالى في سورة النحل: ((إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)). إذ كان بنو أميّة يأمرون بسبّ الإمام علي رضي الله عنه وكرّم وجهه. على منابر المسلمين ولعنه، والعياذ بالله، فاستعمل الناس هذه الآية في الخطبة إلى يومنا هذا، كما اشتهر بحب آل البيت النبوي الطاهر، قال لعبد الله بن الحسن المثنّى، حفيد الإمام علي رضي الله عنه: (واللهِ ما على ظهر الأرض أهل بيت أحبّ إليّ منكم. ولأنتم أحبّ إليّ من أهل بيتي)، وحين ذُكِر الزهّاد عنده قال: (أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب)، ويروى أنّ عبد الله ابن الحسن ذهب إلى عمر بن عبد العزيز في حاجة له، فلمّا قضى حاجته قال له: إذا كانت لك حاجة فأرسل إليّ أحضر، أو اكتب لي ورقة. فإنّي أستحي من الله أن يراك على بابي). وروى أبو الفرج الأصبهاني عن سعيد بن أبّان القرشي. أنّ عبد الله بن الحسن دخل على عمر بن عبد العزيز، وهو حديث السّنّ. له وفرة، فرفع مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه. ثم أخذ عكنة من عكنه فغمزها حتى أوجعه، وقال: اذكره عندك للشفاعة، فلمّا خرج لأَمَه قومُه. وقالوا: فعلت هذا بغلامٍ حَدَثٍ. فقال: إنّ الثقة حدّثني حتى كأنّي أسمعه من في أيْ فَمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال: ((إنّما فاطمة بضعة منّي يسرّني ما يسرّها))، وأنا أعلم أنّ فاطمة لو كانت حيّة لسرّها ما فعلتُ بابنها. قالوا: فما معنى غمزك بطنه، وقولك ما قلت، قال: (إنّه ليس أحد من بني هاشم إلا وله شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا). وقيل أنّه كتب بعد ذلك إلى عامله بالمدينة: (أن أقسم في وَلَد علي من فاطمة، رضوان الله عليهم، عشرة آلاف دينار، فطالما تخطّتهم حقوقهم). ومن أعماله رضي الله عنه الجليلة أيضًا. أنّه أبطل المكوس التي كان بنو أميّة قد أخذوها من الناس بغير حقّ. وردّ الحق إلى أهله، وله أعمال كثيرة بالإضافة إلى شهرته وشهادات العلماء بفضله وصلاحه تؤكّد تقواه وورعه وخدمته للأمّة الإسلامية. وهو أوّل من أمر بتدوين الحديث الشريف. جاء في كتاب فتح الباري في باب كتابة العلم: وأوّل من دوّن الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة، بأمر من عمر بن عبد العزيز، ثم كثر التدوين والتصنيف وحصل بذلك خير كثير. وهو الذي أمر ببناء المساجد على الآثار النبوية الشريفة محافظة عليها. وفي عهده رضي الله عنه اختفى الفقر والفقراء. حتى إنّ الأغنياء كانوا يَخْرُجون بزكاة أموالهم فلا يجدون يد

فقير تبسط إلى هذا المال، يا للعجب! إنّها المعجزة! إنّها الكرامة الكبرى. وأُرسلت الكُتُب من أمير المؤمنين وتُقرأ في مساجد عواصم دولته. التي كانت تبلغ مساحتها ربع مساحة العالم اليوم في القرن العشرين، تقرأ كُتُب أمير المؤمنين رضي الله عنه: من كان عليه أمانة وعجز عن أدائها فلتؤدّ عنه من بيت مال المسلمين! من كان عليه دَيْن وعجز عن سداده فسداد دَيْنه من بيت مال المسلمين! مَن أراد مِنَ الشباب أن يتزوّج وعجز عن الصداق فصداقه من بيت مال المسلمين! من أراد من المسلمين أن يحج وعجز عن النفقة فليعط النفقة من بيت مال المسلمين! وما من يوم إلا وينادي المنادي من قِبَل عمر: أين الفقراء، أين اليتامى، أين الأرامل، أين المساكين؟! كلّ هذا في سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام! وذلك إذا سلك الناس طريق الحق ومنهج الله عزّ وجلّ. قال تعالى في سورة الأعراف: ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)). وقال سبحانه في سورة نوح: ((فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً)). أيّها المسلمون. لَقَدْ عُرِفَ سيّدنا عُمَرُ بن عبد العزيز بِخَوْفِهِ الْعَظِيمِ. وَتَعْظِيمِهِ أَمْرَ الآخِرَةِ. يَقُولُ مَكْحُولٌ: لَوْ حَلَفْتُ لَصَدَقْتُ: مَا رَأَيْتُ أَزْهَدَ وَلاَ أَخْوَفَ للهِ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَتَقُولُ زَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلَكِ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَشَدَّ خَوْفاً مِنْ رَبِّهِ مِنْهُ، كَانَ إِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ، قَعَدَ فِي مَسْجِدِهِ، ثُمَّ يَرْفَعُ يَدَيْهِ يَبْكِي حَتَّى تَغْلِبَهُ عَيْنُهُ، يَفْعَلُ ذَلِكَ لَيْلَهُ أَجْمَعَ، وَيَقُولُ عَطَاءٌ: كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَجْمَعُ كُلَّ لَيْلَةٍ الْفُقَهَاءَ، فَيَتَذَاكَرُونَ الْمَوْتَ وَالْقِيَامَةَ وَالآخِرَةَ وَيَبْكُونَ. وَهَكَذَا عباد الله. فَمَنْ كَانَ بِاللهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنْهُ أَخْوَفَ. وَمَنْ خَافَ فِي الدُّنْيَا أَمِنَ فِي الآخِرَةِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى في سورة الطور: ((وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ)). أَمَّا الشُّعَرَاءُ وَالْمَدَّاحُونَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ سُوقٌ فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ. وَعَنْهُمْ يُعَبِّرُ الشَّاعِرُ جَرِيرٌ الَّذِي طَالَ مُقَامُهُ عَلَى بَابِ عُمَرَ. وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ. فَكَتَبَ جَرِيرٌ إِلَى عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ. وَكَانَ خَصِيصاً بِعُمَرَ. يَقُولُ:

يَا أَيُّهَا الْقَارِئُ الْمُرْخِي عِمَامَتَهُ * هَذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمَنِي

أَبْلِغْ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لاَقِيَهُ * أَنِّي لَدَى الْبَابِ كَالْعُصْفُورِ فِي قَرَنِ

أيّها المسلمون. وتمضي الأيامُ على أميرِ المؤمنين عمرَ بن عبد العزيز سريعًا، ويدنو الأجلُ، ويكون سببُه السّمّ. كان بنو أميّةُ قد تضايقوا منه لكونه شدّد عليهم، وانتزع من أيديهم كثيرًا ممّا اغتصبوه، قال مجاهد: قال لي عمر بن عبد العزيز: ما يقول الناس فيَّ؟ قلت: يقولون مسحور، قال: ما أنا مسحور، وإنّي لأعلم الساعة التي سُقِيتُ فيها السّمّ، ثم دعا غلامًا له فقال له: ويحك، ما حملك على أن سقيتني السّمّ؟! قال: ألف دينار أُعطيتُها وعلى أن أُعتق، قال: هاتها، قال: فجاء بها فألقاها

في بيت المال، ثم قال: اذهب حيث لا يراك أحد. وعند احتضاره رضي الله عنه قال لمن عنده: أَجلسوني، فأجلسوه، ثم نادى ربّه فقال: أنا الذي أمرتني فقصّرت، ونهيتني فعصيت، ولكن لا إله إلا الله، ثم قال: اخرُجُوا عنّي فلا يبقى عندي أحد، وكان عنده مسلمةُ بن عبد الملك قال: فخرجوا، فقعد مسلمةُ على الباب هو وفاطمة زوجته، قال: فسمِعُوه يقول: مرحبًا بهذه الوجوه، ليست بوجوه إنس ولا جآنّ، قال: ثم تلا قوله تعالى في سورة القصص: ((تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ))، قال: ثم هدأ الصوتُ. فقال مسلمةُ لفاطمةَ: قد قُبِضَ صاحبك، فدخلوا فوجدوه قد قبُض، فنظر إليه مسلمة فقال: يرحمك الله، لقد ليّنتَ قُلوبًا قاسيةً، وأبقيتَ لنا في الصالحين ذكرًا. ثُمَّ عَمَّ الْحُزْنُ جَمِيعَ النَّاسِ. فَبَكَاهُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلُ. وَالأَغْنِيَاءُ وَالْفُقَرَاءُ. وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ. وَالصَّالِحُونَ وَالْعُلَمَاءُ. قَالَ عَنْهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَاتَ خَيْرُ النَّاسِ، وَقَالَ جَرِيرٌ شَاعِرُ زَمَانِهِ:

تَنْعَى النُّعَاةُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا * يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللهِ وَاعْتَمَرَا
حُمِّلْتَ أَمْراً عَظِيماً فَاصْطَبَرْتَ لَهُ * وَقُمْتَ فِيهِ بِأَمْرِ اللهِ يَا عُمَرَا
فَالشَّمْسُ كَاسِفَةٌ لَيْسَتْ بِطَالِعَةٍ * تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا

توفي رضي الله عنه في رجب سنة مائة وواحد للهجرة. وكانت خلافته سنتَيْن وخمسة أشهر، ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر. في محلّة يقال لها: دَيْرَ سَمْعان بمدينة حمّص. فسلامٌ عليه في الصالحين، وسلامٌ عليه في العادلين. لقد عامل الله بنيّته فاستفاض له الثناء. ولهج له المسلمون بالدعاء، وليس المسلمون وحدهم هم الذين لهجوا بالثناء على عمر، فلقد ذكر ملك الروم لويس الثالث عمر بن عبد العزيز فقال: لو كان رجل يحيي الموتى بعد عيسى لكان عمر. واللهِ، لا أعجبُ من راهبٍ جلس في صومعتِه وقال: إنّي زاهدٌ، ولكنّي أعجب ممّن أتته الدنيا حتى أناخت عند قدمه فأعرض عنها. فَرَحِمَ اللهُ سيّدنا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ. وَأَسْكَنَهُ فَسِيحَ الْجَنَّاتِ. جَزَاءَ مَا حَكَمَ فَعَدَلَ. وَجَاهَدَ فَنَصَرَ. وَأَقَامَ الدِّينَ وَعَلَّمَ. وَلَيْسَ عُمَرُ فَلْتَةً فِي التَّارِيخِ. بَلْ لَهُ نَظَائِرُ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ. وَلاَ يَزَالُ الْخَيْرُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ المحمّدية. وَلَئِنْ غَفَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ. فَمَا أَسْرَعَ مَا يَسْتَيْقِظُ النَّائِمُ!؛ فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلّم فيما أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ: ((مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لاَ يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ))، رحم الله سيّدنا عمر رحمة واسعة، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، كما نسأل الله جلّ وعلا أن يمنّ على الأمّة الإسلاميّة بالقائد الرباني الذي يقودها ويسير بها على السواء. كما فعل سيّدنا عمر بن عبد العزيز، ونسأله جلّ وعلا بأسمائه الحسنى. وصفاته العُلى أن يصلح جميع حكّام المسلمين، ويرزقهم البطانة الصالحة. وَوَفِّقِ اللَّهُمَّ وُلاَةَ أَمورِنَا لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَوَاصِيهِمْ لِلْبِرِّ

وَالتَّقْوَى، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً مُطْمَئِنًّا سَخَاءً رَخَاءً وَسَائِرَ بِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ، يا رب العالمين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن لحمد لله رب العالمين.اهـ

27- إجتماعُ أهْلِ القُرْب حوْل سيرةِ الصحابي الحِبُّ بنُ الحِبّ سيّدِنا أُسامة بنِ زَيْد عليه رِضْوان الرّبّ

الحمد لله الذي خَصَّ مَنْ شاء بما شاء مِنْ كراماته. واختار مَنِ ارتضاه مِنْ خُلَّص عباده بعظيم هباته. ففازوا برضوانه وكمال إحسانه. وفاقوا باصطفائه وظفِروا بعفوه وغفرانه. فسبحانه مِنْ إله عمّر سرائر مَنِ اصطفاهم بأسرار المحبّة المحمّدية. وجبل أخلاقهم على خدمة سيادته الأحمدية. ففازوا بمشاهدة جمال طلعته البهيّة. وتنعّموا في محاسن شمائله النبويّة. وشربوا من كأس مودّته المصطفوية. أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. رفع قدر السيادة المحمّدية وعظّمها تعظيما. وأخدَم مقامه الشريف بالصحابة الكرام. فنالوا بذلك عزّا وهيبة وتفخيما. وبذلوا أنفسهم في مرضاته. وأنزلوه منزلة الروح من الجسد. فغدا لهم أبا وأمّا. وكان بهم رؤوفا رحيما. وأشهَدُ أَنَّ سيّدَنا مُحمّداً عَبدُهُ ورَسولُهُ، وصفيّه مِنْ خَلْقه وخليله. أطلعه الله في سماء الكمالات سراجا لامعا. وخُصَّ بالمقام المحمود. فكان للأوّلين والآخِرين شافعا. وأيّده بأصحابٍ كانوا بعد النبيئين أفضلَ أهلِ الأرض طُولا وعُرْضا. وجعل محبّتهم ومودّتهم على جميع الأنام فَرْضا. وحَكَم بالخَيْبة والشقاء لِمَنْ أبدى لهم بُغْضا. وجعل مَنْ يحبّهم ويعظِّمهم لأنواع الفضائل جامعا. إخواني: صلّوا على هذا النبيّ الكريم محبّة فيه وإذعانا. وطيّبوا بها مجالسكم سرّا وإعلانا. اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدِنا محمّد. صاحب الزعامة في عرصات القيامة. وعلى آله المخصوصين بالسيادة والإمامة. وصحابته الدّاعين إلى طريق الرُّشْد والسلامة. صلاة تتحفنا بها من بركاته بكل خير وكرامة. وتجعلها لنا بين المحبّين شعارا وعلامة. وتنجينا بها من الفزع الأكبر يوم الحسرة والندامة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ من حقوق سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم تعظيمَ أصحابه وتبجيلِهم واحترامِهم والدعاءِ لهم والتّرضّي عنهم وكفِّ اللسان عنهم وعمّا شجر بينهم. فإنّهم سَلَفُ هذه الأمّة وصفوتُها وخيرتُها بعد نبيّها عليه الصلاة والسلام. بهم نصر اللهُ رسولَه. وأعزّ دينَه. وأعلى كلمتَه. وبسببهم اهتدينا إلى الإسلام، فالمنّة في هدايتنا إلى الإسلام لله تبارك وتعالى أوّلا ثم لمصطفاه صلى الله عليه وسلّم. ثم لأصحاب رسوله. الذين جاهدوا بين يديه أحسن جهاد. والذين نقلوا إلى الأمّة من بَعْدِه السُّنَن والشرائع

والقرآن. فلولاهم ما عرفنا شيئا عن الإسلام. ولولاهم ما عرفنا شيئا من القرآن. ولولاهم ما اهتدينا إلى الإيمان. أثنى عليهم ربّهم، وأحسن الثناء، ورفع ذِكْرهم في التوراة والإنجيل والقرآن، ووعدهم عظيم الأجر. وجميل الغفران. قال تعالى في سورة الفتح: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)). وأخبر سبحانه عن رضاه عنهم ورضاهم عنه؛ وأعدَّ لَهُم جنّات النعيم. قال تعالى في سورة التوبة: ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)). وروى الإمام أحمد والحاكم وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنّ الله نظر في قلوب العباد فوجد قلبَ محمّد صلى الله عليه وسلم خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه. فابتعثه برسالته، ثمّ نظر في قلوب العباد بعدَ قلب محمّد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوبَ أصحابه خيرَ قلوب العباد، فجعلهم وزراءَ نبيّه، يقاتلون على دينه. فما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوه سيّئًا فهو عند الله سيّء. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرَ هذه الأمّة قلوبًا، وأعمقَها عِلْمًا، وأقلَّها تَكَلُّفًا، قوم اختارهم الله عزّ وجلّ لصحبة نبيّه ونَقْل دينه.

أولئك أصحابُ النبّيّ وحِزْبُه * ولولاهُمُ ما كان في الأرض مُسْلِمُ
ولولاهُمُ كادت تَمِيدُ بأهلِها * ولكنْ رَوَاسِيَهَا وأَوْتَادُهَا هُمُ
ولولاهُمُ كانت ظلاماً بأهلها * ولكنْ هُمُ فيها بُدُورٌ وأنْجُمُ

وبالوقوف على أخبارهم تحيا القلوب. وبالإقتداء بآثارهم تكون السعادة. وكم تزداد الحاجة إلى ذلك في زمنٍ شُغِلَ فيه الناس. وأُشْغِلوا بتوافه الأخبار عن السابقين أو اللاحقين. مِمَّن لم ينالوا من تلك الفضائل فتيلا ولا قطميرًا. أيّها المسلمون. هذه وقفة مع صحابيٍّ جليل. حبيبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنِ حبيبِه. حتّى لُقِّبَ بالحِبِّ بنِ الحِبّ. الذي في مثل هذا الشهر أعني شهر صفر من سنة إحدى عشرة للهجرة، أَمّرَهُ النبيّ صلى الله عليه وسلم على جيشٍ لغزو الروم. بين أفراده وجنوده كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار وأصحاب السبق في الإسلام. وهو في الثامنة عشرة من عُمُرِه. إنّه سيّدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما. فلنستمع لشيء من سيرته وأخباره، وَلْنَجْنِ من أزهاره وأعطاره. وُلِدَ رضي الله عنه في السنة السابعة قبل الهجرة في مكة، من أبوَيْن مسلمَيْن كريمَيْن من أوائل السابقين إلى الإسلام، فأبوه سيّدنا زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنه. كان عبدًا

للسيّدة خديجة أمّ المؤمنين رضي الله عنها فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وربّاه كالأولاد وتبنّاه قبل الإسلام، وكان يدعى زيد بن محمد. إلى أن نزل قولُه تعالى في سورة الأحزاب: ((أُدْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوالِيكُمْ)). فصاروا ينادونه: بزيد بن حارثة. وكان رضي الله عنه أحبّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وصاحبَه وموضعَ سرِّه، وأحدَ أهله. إلى أن لُقِّبَ بِحِبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو الوحيد الذي ذُكِرَ باسمه العَلَم في القرآن العظيم دون سائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. قال تعالى في سورة الأحزاب: ((فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها)). وأمّا أمّه رضي الله عنه فهي السيّدة أمّ أيمن. واسمها بركة بنت ثعلبة الحبشية. حاضنة ومربيّة النبي صلى الله عليه وسلم. وقد كانت مملوكة للسيّدة آمنة بنت وهب أمّ الرسول عليه الصلاة والسلام، فربّته في حياتها، وحضنته بعد وفاتها، ففتح عينيه على الدنيا وهو لا يعرف لنفسه أمّاً غيرها. فأحبّها أعمقَ الحبّ وأصدقَه، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحْسِن معاملتها، وينادِيها: يا أمّاه، ويقول عنها: ((هي أمِّي بعد أُمِّي)). وإذا رآها فَرِح برؤياها وقال: ((هذه بَقِيَّة أهل بيْتي)). هاجرت الهجرتين. الأولى إلى الحبشة. والثانية إلى المدينة المنورة. بذلت أقصى ما تستطيع في خدمة الإسلام. وشاركت في الجهاد في غزة أُحُد وخيبر وحُنَيْن. وبعد وفاة زوجها عُبَيْد بن عمرو. والدُ ولدِها أيمن. وانتهاء عدّتها منه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ سَرَّه أن يتزوّج من امرأة من أهل الجنّة فليتزوَّج أمّ أيمن))، فتزوّجها سيّدنا زيد بن حارثة، فأنجبت له فارس الإسلام سيّدنا أسامة بن زيد. رضي الله عنهم أجمعين. وقد فرح المسلمون بمولده كما لم يفرحوا بمولود سواه، ذلك لأنّ كل ما يُفرِح النبي صلى الله عليه وسلم يُفْرِحُهم، وكل ما يُدْخِل السرور على قلبه يسرّهم، فأطلقوا على الغلام المحظوظ لقب: الحِبُّ وابنُ الحِبِّ. ولم يكن المسلمون مبالِغين حين أطلقوا هذا اللقب على الصبي الصغير سيّدنا أسامة، فقد أحبّه الرسول صلوات الله وسلامه عليه حبّاً تغبطه عليه الدنيا كلها. فقد كان سيّدنا أسامة مقارِباً في السّنّ لسبطه ابنِ ابنته سيّدنا الحسن بن مولاتِنا فاطمة الزهراء. وكان الحَسَن أبيض أزهر رائع الحُسْن والجمال شديد الشبه بجدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان أسامة أسود البَشْرة أفطس الأنف شديد الشبه بأمّه الحبشية. ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ما كان يفرّق بينهما في الحبّ، فكان يأخذ أسامة فيضعه على إحدى فخذيه، ويأخذ الحسن فيضعه على فخذه الأخرى ثم يضمّهما معاً إلى صدره الشريف ويقول: ((اللهم إنّي أُحِبُّهما فأَحِبَّهما)). وقد بلغ مِنْ حبّ الرسول صلوات الله وسلامه عليه لسيّدنا أسامة أنّه عثر ذات مرّة بعتبة الباب فشُجَّت جبهتُه، وسال الدّمّ من جُرْحِه، فأشار النبي صلوات الله وسلامه عليه للسيّدة عائشة رضوان الله عليها أنْ تُزيلَ الدّمّ عن

جُرْحِه. فلم تَطِبْ نفسها لذلك. فقام إليه النبي صلوات الله وسلامه عليه وجعل يمصّ شجّته، ويمجّ الدّمّ وهو يُطَيِّبُ خاطِرَه بكلماتٍ تَفِيضُ عُذوبة وحناناً. بل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بحبِّ سيّدنا أسامة بن زيد رضي الله عنه؛ فعن السيّدة عائشة رضي الله عنها قالت: لا ينبغي لأحد أن يبغض أسامة بعد ما سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَنْ كان يحبُّ اللهَ ورسولَه فليحبّ أسامة)). وكان نَقْشُ خاتمه رضي الله عنه (حِبُّ رسول الله). نشأ سيّدنا أسامة حتى أدرك ولم يَعْرِفْ إلا الإسلام. ولم يَدِنْ بغيره لله تعالى، وهاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنوّرة، وكما أحبّ الرسولُ صلوات الله وسلامه عليه أسامة في صِغَرِه فقد أحبّه في شبابه. فلقد أَهْدَى حكيم بن حِزام أحد سُراة قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم حُلَّة ثمينة شراها من اليمن بخمسين ديناراً ذهباً كانت لذي يزن أحد ملوكهم. فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل هديّته. لأنّه كان يومئذ مشركاً، وأخذها منه بالثمن. وقد لبسها النبي الكريم مرّة واحدة في يوم جمعة، ثم خلعها على أسامة بن زيد، فكان يروح بها ويغدو بين أترابه من شبّان المهاجرين والأنصار. ولما بلغ أسامة بن زيد أَشُدَّه، بدا عليه من كريم الشمائل. وجليل الخصائل. ما يجعله جديراً بحبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد كان ذكيّاً حادّ الذكاء، شجاعاً خارق الشجاعة، حكيماً يضع الأمور في مواضعها، عفيفاً يأنف الدنايا، آلِفاً مألوفاً يحبّه الناس، تقيّاً وَرِعاً يحبّه الله. فقد حمل رضي الله عنه السيف جهاداً في سبيل الله وهو ابن خمس عشرة سنة. وذلك في غزوة الخندق. وأمّا يوم حُنَيْن حين انهزم المسلمون، ثبت أسامة بن زيد مع العباس عمّ الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبي سفيان بن الحارث ابن عمّه وستّة نفر آخرين من كرام الصحابة، فاستطاع الرسول عليه الصلاة والسلام بهذه الفئة الصغيرة المؤمنة الباسلة، أن يُحَوِّل هزيمة أصحابه إلى نَصْر، وأن يَحْمِيَ المسلمين الفارّين من أن يفتك بهم المشركون. وفي يوم مُؤْتة جاهد أسامة تحت لواء أبيه زيد بن حارثة وسِنُّه دون الثامنة عشرة، فرأى بعينَيْه مصرع أبيه، فلم يهن ولم يتضعضع، وإنّما ظلّ يقاتل تحت لواء جعفر بن أبي طالب حتى صُرِع على مرأىً منه ومشهد، ثم تحت لواء عبد الله بن رواحة حتى لَحِقَ بصاحبَيْه، ثم تحت لواء خالد بن الوليد حتى استنقذ الجيش الصغير من براثن الروم. ثم عاد أسامة إلى المدينة محتَسِباً أباه عند الله، تاركاً جسده الطاهر على تخوم الشام، راكباً جواده الذي استَشْهَد عليه. فقد حمل سيّدنا أسامة كل صفات ومواهب القائد الشجاع، مما زاد من إعجاب النبي صلى الله عليه وسلم به. وفي سِنٍّ مبكِّرة، لم تجاوز العشرين، أَمَّر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسامةَ بنَ زيد على جيشٍ لغزو الروم. بين أفراده وجنوده كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار وأصحاب السبق في الإسلام. أمثال ساداتنا أبا بكر، وعمر، وسعد بن أبي وقاص، وأبا عبيدة بن الجراح وغيرهم من جلّة

الصحابة، وذلك يوم الاثنين لأربع ليالٍ بقين من شهر صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة. وسرت همهمة بين نفرٍ من المسلمين تعاظَمَهُمُ الأمر، واستكثروا على الفتى الشاب، أسامة بن زيد، إمارة جيش فيه شيوخ الأنصار وكبار المهاجرين. وبلغ همسُهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((إنّ بعض الناس يطعنون في إمارة أسامة بن زيد. ولقد طعنوا في إمارة أبيه من قبل. وإن كان أبوه لخليقا للإمارة. وإنّ أسامة لخليق لها. وإنّه لِمِنْ أحبّ الناس إليّ بعد أبيه. وإنّي لأرجو أن يكون من صالحيكم. فاستوصوا به خيرا)). وفيما كان الجيش يتجهّز مَرِض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ولما اشتدّ عليه المرض، توقّف الجيش عن المسير انتظاراً لما تَسْفُرُ عنه حال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أسامة: ولمّا ثَقُل على نبيّ الله المرض، أقبلتُ عليه وأقبل الناس معي، فدخلتُ عليه فوجدته قد صَمُتَ فما يتكلّم من وطأة الداء، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليّ، فعرفت أنّه يدعو لي. وقبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أوصى أصحابه أن يسارعوا بتحريك جيش أسامة. فقال لهم: ((أنفذوا بعث أسامة، أنفذوا بعث أسامة)). ثم ما لبث أن فارق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الحياة، وتمّت البيعة لأبي بكر، فأمر بإنفاذ بعث أسامة. فيقول له سيّدنا عمر: إنّ الأنصار ترى أن يتولّى قيادة الجيش مَنْ هو أكبر سنًّا من أسامة، فيغضب أبو بكر رضي الله عنه ويقول: ثكلتك أمّك يابن الخطاب، استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أنزعه، والذي نفسي بيده لو ظننتُ أنّ السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة. ولما انطلق الجيش بقيادة قائده الشاب، شيّعه خليفة رسول الله ماشياً وأسامة راكب، فقال أسامة: يا خليفة رسول الله، والله لتركبن أو لأنزلن، فقال أبو بكر: والله لا تنزل، ووالله لا أركب. وما عَلَيّ أن أغبّر قدميّ في سبيل الله ساعة؟! ثم قال لأسامة: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك، وأوصيك بإنفاذ ما أمرك به رسول الله، ثم مال عليه وقال: إن رأيتَ أن تعينني بعمر فائذن له بالبقاء معي، فأذن أسامة لسيّدنا عمر بالبقاء. ومضى جيش أسامة إلى البلقاء، ليهاجم القرى التي حدّدها له رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته أبو بكر، ونزع هيبة الروم من قلوب المسلمين، ومهّد الطريق أمامهم لفتح ديار الشام، ومصر، والشمال الأفريقي كله حتى بحر الظلمات. فانتصر عليهم وأسر منهم الكثير، وجمع الغنائم، وعاد إلى المدينة منتصرًا بعد أن لقّن الروم درسًا لا ينسى، ويعود الجيش بلا ضحايا فيقول المسلمون يومئذ: ما رأينا جيشًا أسلم وأغنم من جيش أسامة بن زيد. ولقد أثبت أسامة رضي الله عنه في قيادة جيشه إلى الشام أنه ذو جَلَدٍ على تحمّل المشاقّ، وذو شجاعة فائقة، وعقيدة راسخة، وعقلية راجحة متبصّرة بالأحداث والنتائج، ممّا أكسبه سمعة عالية، وصيتًا وشهرة كبيرة بين الصحابة، فقدّروه وأحبّوه، ولمسوا بأنفسهم مدى إصابة الحقّ في اختيار النبي صلى الله عليه وسلم له في للإمارة. كما

كان لهذا البعث أثرًا كبيرًا في تثبيت وتوطيد دعائم الدولة الإسلامية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وارتداد الكثير من القبائل، وكان من شأنه أن ألقى الفزع والهلع في قلوب القبائل العربية التي مرَّ عليها في شمال الجزيرة العربية، وكانوا يقولون: لو لم يكن للمسلمين قوة تحمى المدينة وما حولها ما بعثوا جيشًا إلى هذه المسافات البعيدة حتى وصل إلى تخوم الروم؛ ومن أجل ذلك كانت حركة الردة في تلك المناطق أضعف منها بكثير في أي المناطق الأخرى. وظَلَّ أُسامة بن زَيْد ما امْتَدَّتْ به الحياة مَوْضِعَ إجْلال المُسْلمين وحُبِّهِم وفاءً لِرَسول الله صلى الله عليه وسلَّم فقد كان الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى بعد أنْ وَلِيَ الخلافة إذا رأى أسامة قال: السلام عليك أيّها الأمير، فيقول أسامة: غفر الله لك يا أمير المؤمنين، تقول لي هذا؟ فيقول: لا أزال أدعوك ما عشتُ الأمير. مات رسول الله وأنت عليّ أمير. ولما فرض له الفاروق عطاءً أكثر مما فرضه لابنه عبد الله بن عمر، قال عبد الله لأبيه: يا أبتِ، فرضت لأسامة أربعة آلاف وفرضت لي ثلاثة آلاف، وما كان لأبيه من الفضل أكثر مما كان لك، وليس له من الفضل أكثر مما لي. فقال له الفاروق: هيهات. إنّ أباه كان أحبّ إلى رسول الله من أبيك، وكان هو أحبّ إلى رسول الله منك. فرضيَ عبد الله بن عمر بما فُرض له من عطاء. إعتزل سيّدنا أسامة بن زيد رضي الله عنه الفتن بعد مقتل سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أن توفي في المدينة المنورة أواخر خلافة سيّدنا معاوية رضي الله عنه، سنة أربع وخمسين للهجرة. رحم الله هذه النفوس الكبيرة، فما عرف التاريخ أعظم ولا أكمل ولا أنبل من صحابة رسول الله. صلى الله عليه وسلم. وما ننعم فيه اليوم من نعمة الإسلام، فلهم فيه فضل والمنّة. بعد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وإنّ إحياء ذكراهم، ونَشْر سيرتهم العطرة. من أقلّ الواجبات اتِّجاههم، فرضي الله تعالى عن سيّدنا أسامة بن زيد. وعن الصحابة الكرام أجمعين. رزقنا الله حبّ الجميع. وأمدّنا من إمدادهم الفائض الوسيع. ونسأل الله تعالى أن لا يحرمنا لُقياهم، وأن يجمعنا بهم في دار كرامته. ومستقرّ رحمته. بفضله ومنّته. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ

فهرس الجزء الثّالث

الموضوع	الصفحة
السيرة النّبويّة:	03
صحابة الرسول ﷺ:	05
01- تحفة أهل التّصديق بالرَّوْض الأنيق المشتمل على بعض مناقب سيّدنا أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه رضاءًا هو به خليق	07
02- فتْحُ المَلِكِ الوهّاب وقُرَّةُ عيْنِ الأحباب في معرفةِ بعضِ مناقبِ سيّدِنا عمر بنِ الخطاب أدام الله رضوانَه عليه بغير حساب	13
03- إتْحاف مَجالس الخِلاّن بعَبيق الرَّيْحان في ذِكْر مناقب ذي النُّورَيْن سيّدِنا عثمان بنِ عفّان عليه رِضَى الرّحمان	24
04- جواهر المطالب لكلّ راغِب في التّعرّف عن بعض مناقب الإمام سيّدنا علي بن أبي طالب له من الله في الجنّة أعلى المراتب	31
05- ذكرى استشهاد سيّدِنا عمر بنِ الخطاب رضي الله عنه	40
06- فتح الأكمام عن الورد البسّام في رياض مناقب الصحابيّ الهُمَام سيّدنا الزّبير بن العوّام حواريّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام	45
07- ذكرى استشهاد سيّدِنا عثمان بنِ عفّان رضيَ اللهِ عنه	52
08- تطييب الأفواه في مجالس أهل الله بذكر بعض مناقب الصحابي الشهيد ذو الخير والجاه سيّدنا طلحة بن عُبَيْد الله	55
09- السّرور والإنشراح بالنّور الوضّاح عن بعض مناقب أمين هذه الأمّة سيّدنا أبي عبيدة بن الجرّاح عليه رضوان الله الفتّاح	62
10- بغية المستفيد من المختصر المفيد في سيرة الحِبِّ سيّدنا زيد بن حارثة الأمير الشهيد	67
11- العِطر العبيق من بعض مناقب سيّدتِنا ومَولاتِنا أسماء بنتِ سيّدِنا أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنهما وأَوْصَلنا الله بحبل مَودّتِهما الوثيق	74
12- حُسن الفَذْلَكة في بعض مناقِب الصّحابيّ الجليل سيّدِنا عامِر بنِ فُهَيْرة دَفين الملائكة عليه من الله الرضوان والبركة ورزقنا الثّبات من غير زَيغ ولا فِتنةٍ مُهلِكة	79

13- القطرات النّديّة مِن مناقب السّيّدة أمّ مَعْبَد الخُزاعيّة ووَصْفها للذّات المحمّديّة عليه من الله أفضل الصّلاة وأزكى التّحيّة	85
14- كفاية الطالب بنيل الرغائب من مختصر سيرة سيّدنا جعفر بن أبي طالب	92
15- سيرة الصحابي سيِّدنا أسامة بن زَيْد رضي الله عنهما	98
16- إجتماع أهل الخير حول ذِكر بعض مناقب سيّدنا عبد الله بن الزبير	103
17- النّجوم الدّراري لهداية الساري إلى معرفة سيرة الصّحابي الجليل سيّدنا أبي ذَرٍّ الغفاري عليه رضى الباري	109
18- إدْرَكُ السُّول وبلوغُ المأمُول بالقَوْل المَعْسُول من بعض مناقب الصحابي الجليل سيّدنا خالد بن الوليد سَيْف اللهِ المَسْلُولُ	115
19- المقالة العَذْبة في التعرّف عن بعض مناقب الصحابي الجليل سيّدنا عثمان بن طلحة سادِن الكعبة	120
20- القول الواضح لكل سائل ولائح عن بعض مناقب سيّدنا عمرو بن العاص الرجل المؤمن الصالح	126
21- الرَّوْض المِعطار في ذِكر فضائل سادتنا الأنصار وما لهم من مناقب وآثار رضي الله عنهم وعن مَن على نهجهم سار	131
22- مجلسُ الأُنْس ومزيلُ البأس حَوْل مناقبِ سيِّدِنا سَعْدِ بنِ معاذ سيِّدِ الأَوْس	137
23- فضل الله ذو المنّة على سادتنا الأنصار بسكناهم المدينة لسابق علمه لينصروا دينه	142
24- غايةَ الوُصُول بإدراك السُّوْل ونَيْل المأمُول من مختصر سيرة سيّدنا عبد الله بن رواحة شاعر الرسول	146
25- إضاءة الظّلّمة لأهل الهمّة عن بعض مناقب الصّحابيّ الجليل سيّدنا محمّد بن مَسْلَمَة	151
26- محادثة ذوي البصائر والتّمييز بالقول الوجيز عن بعض مناقب أمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سيّدنا عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ	157
27- إجتماعُ أهْلِ القُرْب حوْل سيرةِ الصحابي الحِبُّ بنُ الحِبّ سيِّدِنا أُسامة بنِ زَيْد عليه رِضْوان الرّبّ	165